

قصص من اليهود



المراجع الديني المراحل

الإمام السيد محمد باقر الشيرازي

(أعلى الله درجاته)

دار العلوم

قصص من اليهود

كافة الحقوق محفوظة محفوظة ومسجلة

الطبعة الأولى

٢٠١٠م / ١٤٣١هـ



المكتب : الرويس - بناية عروس الرويس - تلفاكس : 01/545182 - 03/473919

ص.ب : 140 / 24 - المستودع : بئر العبد - مقابل البنك اللبناني الفرنسي - هاتف : 01/541650

www.daraloloum.com

E-mail: info@daraloloum.com

قصص من اليهود

المرجع الديني الراجل
الإمام السيد محمد الحسيني الشيرازي
(أعلى الله درجاته)

دار العلوم
الطبع والنشر والتوزيع

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال رسول الله ﷺ :

«يكون في هذه الأمة كل ما كان في بني إسرائيل
حذو النعل بالنعل، والقذة بالقذة» .

وقال ﷺ : «مثل أهل بيتي مثل باب حطة
في بني إسرائيل» .

كلمة الناشر

بسم الله الرحمن الرحيم

كثرت الكتابات في الآونة الأخيرة حول اليهود وتأريخهم وعقائدهم وأخلاقهم وعوامل سيطرتهم على كثير من المواقع الحساسة، ولكن قلّما كُتب حول قصصهم عبر التاريخ.

ولا يخفى أن للقصة أثراً عظيماً على نفوس الناس وضمائرهم، ولذا ذكر القرآن الكريم بين طيات كثير من سوره المباركة قصصاً لأُمم مختلفة، ليعتبر منها كل من يريد العبرة. ففي القرآن الكريم هناك أكثر من آية تدعو إلى الاعتبار من قصص الأمم السالفة، منها:

قوله تعالى: ﴿فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾^(١).

وقوله عز وجل: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ﴾^(٢).

بل في بعض الآيات أن قصص القرآن الكريم هي أحسن القصص: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ﴾^(٣).

وفي بعضها أن قصص القرآن هي القصص الحق، وليست كسائر القصص البعيدة عن العبرة والحكمة: ﴿إِنْ هَذَا لَهَوَ الْقَصَصِ الْحَقِّ﴾^(٤).

ومن بين الذين كتبوا في قصص اليهود قلّ أن تجد من علّق عليها وأشار إلى العبر والحكم التي توحىها، بل عادة ما تُنقل القصة والحكاية ويمرّ عليها بسلام. وناهيك عن ذلك كله، قلّما تجد من كتب في قصص اليهود بمنظار التأثير الإيجابي

(١) سورة الأعراف: ١٧٦.

(٢) سورة يوسف: ١١١.

(٣) سورة يوسف: ٣.

(٤) سورة آل عمران: ٦٢.

فيهم، والدعوة إلى جذبهم إلى الإسلام بالحكمة والموعظة الحسنة، كما فعل ذلك رسول الله ﷺ وأهل بيته الأطهار ﷺ وعلمائنا الأعلام.

من هنا تتجلى قيمة الكتاب الذي بين يديك - عزيزي القارئ - حيث إنه كتبه مرجع عظيم شهد له بحصانة الفكر، وكثرة التجارب، وبعد الرؤية وسلامتها، فعمد مُنْتَرِث إلى جمع مجموعة من قصص اليهود عبر العصور المختلفة وعلّق على بعضها بتعليقات مختصرة نافعة.

والجدير بالذكر إنه مُنْتَرِث أفرد فصلاً مستقلاً لقصص اليهود في العصر الأخير وأشار إلى بعض القصص التي عايشها بنفسه مؤكداً على بعض النقاط الأساسية التي جعلت اليهود يتقدمون على المسلمين رغم قَلَّتْهم وضحالة عوامل التقدم لديهم.

هذا وقد كان الإمام الشيرازي رحمه الله حريصاً على هداية الناس بأجمعهم إلى الإسلام، حتى اليهود، وكان رحمه الله يقول: اليهود بشر وهم قابلون للهداية، كما اهتدى كثير منهم في صدر الإسلام على يد رسول الله ﷺ والإمام أمير المؤمنين عليه السلام وسائر المعصومين (صلوات الله عليهم أجمعين)، وكان قد أكّد رحمه الله قبل رحيله بعدة أيام على بعض التجار بفتح مواقع على الانترنت باللغة العبرية لهداية اليهود إلى الإسلام.

يبقى القول: إن الكتاب رغم بساطته واختصاره إلا إنه حوا على نكات مهمة حرية بالالتفات إليها وأخذها بعين الاعتبار إزاء اليهود الذين أصبحوا اليوم قوّة لا يُستهان بها في العالم.

مركز الجواد للتحقيق والنشر

قم المقدسة

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على محمد وآله الطاهرين .

لقد باحثت في العراق والكويت كثيراً من المسيحيين ممن كان يتفق اللقاء بهم^(١) وذلك لغرض هدايتهم إلى الإسلام ، سواء كانوا من دول الغرب أم البلاد العربية أم غيرها . وقد اقتنع كثير منهم بالإسلام فأسلم ودخل في التشيع ، وذكرت جملة من تلك القصص والحوارات في كتاب (كيف ولماذا أسلموا؟)^(٢) .

أما اليهود فلم يتفق لي معهم حتى بحث واحد ، علماً أنهم قبل خمسين سنة وقبل اغتصاب فلسطين كانوا موجودين في العراق بكثرة ، كنا نراهم في كربلاء المقدسة والنجف الأشرف وبغداد ، وبين كربلاء والنجف عند مقام «ذي الكفل»^(٣) ، فإن

(١) كان بعض هؤلاء يأتي لزيارة الإمام الشيرازي الراحل رحمه الله بتشجيع من صديق مسلم له للتعرف على الدين الإسلامي ، وفي كثير من الأحيان كانت هذه الزيارة تسبب هدايتهم إلى الإسلام .

(٢) تناول الإمام المؤلف رحمه الله في الكتاب قصص المسيحيين الذين أسلموا على أثر مناظراتهم معهم ، ومن ذلك : إسلام دكتور أمريكي مدرّس بكلية الطب ببغداد ، إسلام نسوة إيطاليات مثقفات ، إسلام مسيحي مهندس موظف في العراق ، إسلام فتاة ألمانية ، إسلام شاب أمريكي ، إسلام زوجين مسيحيين ، إسلام مسيحي إيطالي ...

(٣) وهو النبي حزقيل عليه السلام الملقب بذئ الكفل المدفون بناحية الكفل بين الكوفة والحلة - وهي أرض بابل التي انصرف بخت نصر بسبايا بني إسرائيل إليها - وكانت بلدة ذي الكفل محل تجمع اليهود آنذاك إلى أن خرجوا من العراق ، وكانت اليهود تقصده من البلاد الشاسعة للزيارة . يقول العلامة الشيخ الطبرسي رحمه الله : وأما ذو الكفل فاختلف فيه ، فقيل : إنه كان رجلاً صالحاً ولم يكن نبياً ، ولكنه تكفل لنبي بصوم النهار وقيام الليل ، وأن لا يغضب ويعمل بالحق ، فوفى بذلك فشكر الله ذلك له . وقيل : هو نبي اسمه ذو الكفل ، ولم يقص الله خبره مفصلاً . وقيل : هو الياس ، وقيل : كان نبياً . وسمي ذا الكفل بمعنى أنه ذو الضعف ، فله ضعف ثواب غيره ممن هو في زمانه لشرف عمله . وقيل : هو اليسع بن خطوط الذي كان مع إلياس ، وليس اليسع الذي ذكره الله في القرآن ، تكفل للملك جبار إن هو تاب دخل الجنة ، ودفع إليه كتاباً بذلك فتأب الملك ، وكان اسمه كنعان فسمي ذا الكفل ، والكفل في ◀

بعضهم كان يسكن هناك، وكنا إذا زرنا النبي ذا الكفل ﷺ نراهم في رواحهم ومجيئهم وسائر أعمالهم، حيث اتخذوا ذلك المقام الشريف مقراً لهم.

وكان المسلمون يتعاملون مع اليهود ومع سائر الأقليات الدينية بالأخلاق الإسلامية والمعايشة السلمية والمعاشرة الطيبة.. وكانوا يسعون لهدايتهم إلى الإسلام بالحكمة والموعظة الحسنة.

وكان بعض اليهود يدور في أزقة كربلاء المقدسة لشراء بعض الحاجات من البيوت مما استغنى أهلها عنها، وبعضهم لإجراء العمليات الطبية البسيطة كمقاومة مرض «الجدرى»^(١).

وكان هناك حمام في كربلاء المقدسة يسمى بـ «حمام اليهود». ونقل أن البريطانيين أيام الحكومة العثمانية^(٢) وقبل احتلالهم العراق فتحوا

► اللغة هو الخط. وفي كتاب النبوة بالإسناد عن عبد العظيم بن عبد الله الحسني، قال: كتبت إلى أبي جعفر ﷺ أسأله عن ذي الكفل وما اسمه، وهل كان من المرسلين؟. فكتب ﷺ: «إن الله بعث مائة ألف نبي وأربعة وعشرين ألف نبي، المرسلين منهم ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً وإن ذا الكفل منهم، وكان بعد سليمان بن داود، وكان يقضي بين الناس كما يقضي داود ﷺ، ولم يغضب قط إلا لله تعالى، وكان اسمه عدوي بن أدارين» انظر تفسير مجمع البيان: ج ٧ ص ١٠٧.

(١) الجُدَرِي، بضم الجيم وفتح الدال وبفتحهما لغتان: قروح في البدن تنفط عن الجلد مملئة ماء - لسان العرب: ج ٤ ص ١٢٠ مادة جدر.

(٢) سلالة السلاطين الأتراك، أسسها عثمان الأول عام ١٢٨١م، نشأت في الأناضول على أنقاض الدولة السلجوقية وامتدت سلطتها إلى البلقان والدول العربية وأفريقيا، احتل محمد الفاتح القسطنطينية عام ١٤٥٣م وجعلها عاصمته وقضى على البيزنطيين، انتقلت خلافة المسلمين إلى سليم الأول الذي أنهى حكم المماليك وسيطر على سوريا وفلسطين ومصر عام ١٥١٦م، خلفه ابنه سليمان القانوني فوطد أركان الدولة وبسط نفوذه على البلاد العربية والإسلامية حتى أفريقيا، وبلغت الإمبراطورية في عهده أوج عزها وقد غدا لها أسطول بحري هام وجيش قوي من الإنكشارية، بدأت الدولة بالانحطاط في أواخر القرن السابع عشر، وأخذ نفوذها يتقلص في البلقان بعد أن قويت شوكة الروس في القرن الثامن عشر، ثم ظهرت الحركات الاستقلالية في القرن التاسع عشر فقوي محمد علي في مصر وتحورت اليونان عام ١٨٣٠م، وتبعتها رومانيا والصرب بعد حرب القرم، تحالف العثمانيون والألمان في الحرب العالمية الأولى فأدى انهزام ألمانيا إلى تفكك الإمبراطورية العثمانية وإعلان الجمهورية بزعامه مصطفى كمال أتاتورك عام ١٩٢٣م.

مواخير^(١) خاصة باليهود في كربلاء المقدسة وغيرها إلا أنني لم أر ذلك، نعم رأيت اليهود بعد خراب محل فحشائهم وحمائمهم.

وعندما كنا نمر بسوق الشورجة في بغداد الذي كان بقرب مرقد السفير الرابع^(٢)

(١) المواخير: جمع ماخور، وهو مجلس الريية ومجمع أهل الفسق والفساد وبيوت الدعارة والخمارين، وهو تعريب (مي خور)، وقيل: هو عربي لتردد الناس إليه من مخر السفينة الماء، انظر لسان العرب: ج ٥ ص ١٦١ مادة (مخر).

(٢) أبو الحسن علي بن محمد السمري أو السيمري أو الصيمري، شيخ جليل وثقة أمين، موضع أسرار الشريعة، والقائم بأعمال النيابة والسفارة عن الإمام الحجة بن الحسن (عجل الله تعالى فرجه الشريف) بعد وفاة الشيخ أبي القاسم الحسين بن روح النوبختي (رضوان الله عليه) عام ٣٢٦ هـ إلى أن لحق بالرفيق الأعلى عام ٣٢٩ هـ في النصف من شعبان، فتكون مدة سفارته ثلاثة أعوام، وقبره اليوم يزار في منطقة سوق السراي في جانب الرصافة ببغداد. فهو السفير الرابع وآخر السفراء، انتقلت إليه النيابة الخاصة والقيام بمهام السفارة بعدما أوصى إليه السفير الثالث الحسين بن روح (رضوان الله عليه) بأمر من الإمام المهدي عليه السلام.

كان (رضوان الله عليه) من عناصر التقوى والإيمان ويكفي في سمو شأنه وعظيم مكانته تقلده للنيابة العامة عن الإمام عليه السلام بنص منه مع وجود كوكبة من علماء الشيعة وخيارهم. ولم تحدد المصادر التاريخية تأريخ ولادته على وجه الدقة، وقد ذكرته بكونه من أصحاب الإمام العسكري عليه السلام.

وقد أخرج إلى الناس قبل وفاته بأيام توقيماً من الإمام المهدي (عجل الله تعالى فرجه الشريف) أعلن فيه انتهاء الغيبة الصغرى وعهد السفارة الخاصة بموته (رضوان الله عليه). فقد ذكر الشيخ الطوسي ثنا في (كتاب الغيبة)، قال: وأخبرنا جماعة عن أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه، قال: حدثني أبو محمد الحسن بن أحمد المكتب، قال: كنت بمدينة السلام في السنة التي توفي فيها الشيخ أبو الحسن علي بن محمد السمري ثنا فحضرت قبل وفاته بأيام، فأخرج إلى الناس توقيماً نسخته: «بسم الله الرحمن الرحيم يا علي بن محمد السمري، أعظم الله أجر إخوانك فيك؛ فإنك ميت ما بينك وبين ستة أيام، فاجمع أمرك ولا توص إلى أحد فيقوم مقامك بعد وفاتك، فقد وقعت الغيبة التامة فلا ظهور إلا بعد إذن الله تعالى ذكره وذلك بعد طول الأمد، وقسوة القلوب، وامتلاء الأرض جوراً. وسيأتي شيعتي من يدعي المشاهدة ألا فمن ادعى المشاهدة قبل خروج السفيناني والصيحة فهو كذاب مفتر، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم». قال: فنسخنا هذا التوقيع وخرجنا من عنده، فلما كان اليوم السادس عدنا إليه وهو يجود بنفسه. فقيل له: من وصيك من بعدك؟. فقال: (الله أمر هو بالغه)، وقضى فهذا آخر كلام سمع منه رضي الله عنه وأرضاه.

وبوفاة السفير الرابع تكون السفارة الخاصة عن الإمام الحجة (عجل الله تعالى فرجه الشريف) قد

للإمام الحجة (عجل الله فرجه الشريف) نشاهد السوق مليئاً بمختلف الناس، ومنهم اليهود حيث محلاتهم وتجاراتهم، وكانوا تجاراً كباراً، وكان الناس يتعاملون معهم ويشترون منهم بشكل عادي، بل إنهم استولوا على قسم كبير من اقتصاد العراق بحيث إن بعض المحلات في العراق كانت تعطل يوم السبت حتى في مدينة كربلاء المقدسة والنجف الأشرف.

وقد سعى الإسلام لهداية اليهود بالحكمة والموعظة الحسنة، فاعتنق كثير منهم الدين الإسلامي كما هو مذكور في تاريخ رسول الله ﷺ، وتاريخ أهل البيت عليه السلام، وتاريخ العلماء والصلحاء.

وفي هذا الكتاب «قصص من اليهود» جمعت بعض قصصهم في عهد الإسلام، وبعض قصصهم المعاصرة في العراق، كما نقلت بعضاً من قصصهم مما شاهدها أو سمعتها من الآخرين، والله ولي التوفيق.

قم المقدسة

محمد الشيرازي

▶ انقطعت والتي شكلت الغيبة الصغرى للإمام الحجة (عجل الله تعالى فرجه الشريف) والتي دامت ٦٩ سنة ابتداء من سنة شهادة الإمام الحسن العسكري عليه السلام سنة ٢٦٠ هـ واستمرت إلى حين وفاة السمري (رضوان الله عليه) سنة ٣٢٩ هـ، وبعدها بدأت الغيبة الكبرى والتي استمرت إلى هذه اللحظة ولا يعلم مداها إلا الله تعالى ويسمح له بالفرج حتى يملأ الأرض قسطاً وعدلاً بعدما ملئت ظلماً وجوراً كما ورد في الروايات الشريفة.

ولما توفي السفير الرابع (رضوان الله عليه) دفن في داره، والتي أصبحت فيما بعد مزاراً للشيعنة تقصده من كل مكان. وأما مرقده الشريف فقد ظل شاخاً للعيان وعليه قبة جنب جامع كبير معروف باسم (مسجد القبلاية) واقع في سوق السراي - وكان معروفاً بسوق الهرج - ببغداد قرب نهر دجلة، قرب المستنصرية في الضفة اليسرى من نهر دجلة. وقد ذكر العلامة السيد حسن الصدر رحمه الله في (نزهة الحرمين): إن قبر علي بن محمد السمري ببغداد في سوق الهرج في حجرة من مسجد له شباك في السوق المذكور على يسار الداخل إلى السوق. وقال الشيخ محمد حرز الدين في (مراقد المعارف): وقفت على قبره - أي السفير الرابع - سنة ١٣٨٧ هـ / ١٩٦٧ م وكان على المرقد صندوق خشبي فوقه ستارة، تظله قبة شاذخة ومنارة المسجد، كما يشاهد قبره من السوق من شبايبك ثلاثة، وله كتيبة نقش بالقاشاني الأزرق كتب عليه اسمه ولقبه.

الفصل الأول

اليهود في منظار القرآن الكريم

أشار القرآن الكريم في كثير من آياته إلى اليهود وتعرض لأحوالهم وقصصهم مع الأنبياء ﷺ، وقد ذكرنا بعض ذلك في سلسلة «القصص الحق»^(١). وفي هذا الفصل نشير إلى بعض الآيات الكريمة التي تشير إلى قصصهم وما يرتبط بهم مع شيء من التوضيح، أما التفصيل فمذكور في التفاسير وكتب الحديث والتاريخ.

(١) مجموعة قصصية مستلهمة من القرآن الكريم والروايات الشريفة حول الأنبياء الكرام ﷺ طبع منها ١١ جزءً، وعناوينها: إبراهيم عليه السلام، نوح عليه السلام، موسى عليه السلام، الكليم عليه السلام وفرعون، بنو إسرائيل في التيه، الكليم عليه السلام وبنو إسرائيل، موسى عليه السلام في البحر، بساط سليمان عليه السلام، سليمان عليه السلام وبلقيس، مريم الطاهرة عليها السلام، عيسى المسيح عليه السلام. وكان الإمام الشيرازي رحمه الله قد كتب خمسين جزءاً من هذه السلسلة ولكن ضاعت في العراق بسبب جور الحكام والطغاة.

١

هَلَّا شَقَقْتُ قَلْبَهُ؟

قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتُ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنْ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا إِنْ اللَّهُ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾^(١).

ذكر القمي رحمته الله (٢) في (تفسيره) في شأن نزول هذه الآية:

لما رجع رسول الله ﷺ من غزوة خيبر وبعث أسامة بن زيد في خيل إلى بعض قرى اليهود في ناحية فدك ليدعوهم إلى الإسلام، وكان رجل من اليهود يقال له: (مرداس بن نهيك الفدكي) في بعض القرى.

فلما أحس بخيل رسول الله ﷺ جمع أهله وماله وصار في ناحية الجبل، فأقبل يقول: أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله ﷺ.

فمر بأسامة بن زيد فطعننه فقتله، فلما رجع إلى رسول الله ﷺ أخبر بذلك.

فقال له رسول الله ﷺ: «قتلت رجلاً شهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله!».!

(١) سورة النساء: ٩٤.

(٢) علي بن إبراهيم بن هاشم القمي صاحب التفسير المعروف باسمه، ولد في عائلة تعرف بالتمدين والإيمان والمحبة لآل البيت عليهم السلام. وتوفي سنة ٣٢٩ هـ. والده من كبار رواة الشيعة، وهو منذ طفولته بدأ بالدراسة على يديه، سمع الحديث من كثير من الرواة والمحدثين، وأصبح هو أيضاً بعد ذلك من المحدثين البارزين في مدينة قم المقدسة. وهو وأبوه كانا أول من أشاع روايات أهل الكوفة في قم، ويُعد في الحقيقة شيخ قم ووجهها. نقلت عنه الموسوعات الروائية الشيعية أحاديث كثيرة روى أكثرها عن والده، يحظى باحترام خاص من علماء الشيعة وفقهائها، وقد أورد الشيخ الكليني في كتابه (الكافي) كثيراً من رواياته المستندة إليه.. من مؤلفاته: نوادر القرآن، الناسخ والمنسوخ، قرب الإسناد، الشرائع، الخيض، التوحيد والشرك، فضائل أمير المؤمنين عليه السلام، المغازي، الأنبياء، ...، إضافة إلى تفسيره الشهير الذي يعتبر من أقدم التفاسير التي تكشف القناع عن وجه أسرار الآيات النازلة في حق أهل البيت عليهم السلام، وحظي هذا التفسير باهتمام بالغ بين مفسري الشيعة، وتوجد نسخ خطية من هذا التفسير في مكتبة آية الله العظمى السيد الحكيم رحمته الله في النجف الأشرف. ونسخة أخرى في مكتبة آية الله العظمى كاشف الغطاء رحمته الله في النجف الأشرف.

فقال: يا رسول الله، إنما قال تعوداً من القتل.

فقال رسول الله ﷺ: «فلا شققت الغطاء عن قلبه^(١)، ولا ما قال بلسانه قبلت^(٢)، ولا ما كان في نفسه علمت؟»^(٣).

وتدل الآية الكريمة على لزوم التعامل مع الآخرين - حتى المشركين والكفار - بالظواهر، أي حسب ظاهر الحال، كما كان رسول الله ﷺ يتعامل مع الناس حسب ظاهر حالهم، مع أنه ﷺ كان عالماً بحقائق الأمور ولكنه لم يرتب على علمه الغيبي شيئاً إلا فيما خرج بالدليل.

علماً بأن بعث النبي ﷺ على اليهود كان بعد نقضهم المعاهدة التي كتبوها مع رسول الله ﷺ حيث تأمروا على النبي ﷺ والمسلمين واتفقوا مع سائر المشركين والكفار للقضاء على الإسلام.

وذكرنا في التبيين في الآية الكريمة: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ﴾ أي سافرتُم ﴿فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ لأجل الجهاد ﴿فَتَبَيَّنُوا﴾ أي اطلبوا بيان الأمر، ولا تسرعوا في محاربة من لا تعلمون أنهم أسلموا أم لا ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ﴾ حياكم بتحية الإسلام ﴿لَسْتَ مُؤْمِنًا﴾ فإن أحد الكفار أظهر الإسلام وكان له غنم فقتله أحد المسلمين بزعم أنه لم يُسلم وأخذ أغنامه ﴿تَبْتَغُونَ﴾ أي تطلبون بقولكم (لست مؤمناً) ﴿عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ هو ما في الدنيا من الثروة إذ لا ثبات له ﴿فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَانِمٌ﴾ جمع مغنم، تغنيكم عن عرض الحياة الدنيا، فاطلبوها ولا تطلبوا عرض الحياة الدنيا ﴿كَذَلِكَ﴾ أي مثل هذا الذي ألقى إليكم السلام ﴿كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ﴾ فإن إسلامكم كان مجرد السلام والشهادتين ﴿فَمَنْ اللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾ بتقوية الإسلام في قلوبكم ﴿فَتَبَيَّنُوا﴾ تأملوا في حكمكم بالإسلام وعدم الإسلام ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾^(٤).

(١) في بحار الأنوار نقلا عن التفسير المذكور: (أفلا شققت الغطاء عن قلبه).

(٢) أي لا الذي قال بلسانه قبلت، ولا الذي كان في نفسه علمت.

(٣) تفسير القمي: ج ١ ص ١٤٨ سورة النساء أحكام القتل.

(٤) تبيين القرآن: سورة النساء: ٩٤، ص ١٠٤.

٢

اليهود يتحاكمون إلى الرسول ﷺ

قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَقْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ وَإِنْ لَمْ تُؤْتُوهُ فَاحْذَرُوا وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَطَهِّرْ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾^(١) الآيات.

روي: (أنه كان بالمدينة بطنان من اليهود من بني هارون وهم: النضير وقريظة. وكانت قريظة سبعمائة والنضير ألفاً، وكانت النضير أكثر مالاً وأحسن حالاً من قريظة، وكانوا حلفاء لعبد الله بن أبي^(٢)). فكان إذا وقع بين قريظة والنضير قتيل وكان

(١) سورة المائدة: ٤١.

(٢) عبد الله بن أبي: رئيس قبيلة الخزرج في يثرب. لم يسلم إلا مصانعة، وكان كارهاً لرسول الله ﷺ منذ اللحظة الأولى لدخوله المدينة المنورة؛ لأنه كان يرى بأن رسول الله ﷺ ينافسه على الزعامة. لذا ترأس حركة النفاق في المدينة فكان رأس المنافقين وزعيمهم في حياة النبي ﷺ. وطالما أذى رسول الله ﷺ بأقواله وأفعاله، كما كان من المشطين لعزائم المسلمين في أثناء غزواتهم، ففي غزوة أحد خرج النبي ﷺ بألف من المسلمين لقتال المشركين، فرجع منهم ثلاثمائة من المنافقين مع عبد الله بن أبي ابن سلول، وبقي سبعمائة نفر مع النبي ﷺ.

وقد نزلت في شأنه آيات من القرآن عديدة تفضح أمره وأمر المنافقين الذين معه. ولما نزلت سورة المنافقون وبيان كذبه، قيل له: نزل فيك أي شدد، فذهب إلى رسول الله ﷺ يستغفر لك. فلوى رأسه ثم قال: أمرتوني أن أؤمن فقد أمنت، وأمرتوني أن أعطي زكاة مالي فقد أعطيت، فما بقي إلا أن أسجد لمحمد! فنزل قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّاْ رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ ﴿١٠﴾ سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿١١﴾ هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تَنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنْفَضُوا وَلَهُ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَقْهَوْنَ ﴿١٢﴾ يَقُولُونَ لِنَنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ﴾

القتيل من بني النضير، قالوا لبني قريظة: لا نرضى أن يكون قتل منا بقتيل منكم. فجري بينهم في ذلك مخاطبات كثيرة حتى كادوا أن يقتتلوا حتى رضيت قريظة، وكتبوا بينهم كتاباً على أنه: أي رجل من اليهود من النضير قتل رجلاً من بني قريظة أن يجنيه ويحمم - والتجنية أن يقعد على جمل ويولي وجهه إلى ذنب الجمل ويلطخ وجهه بالحماة ويدفع نصف الدية -، وأيما رجل من بني قريظة قتل رجلاً من النضير أن يدفع إليه الدية كاملة ويُقتل به.

فلما هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة ودخل الأوس والخزرج في الإسلام ضعف أمر اليهود، فقتل رجل من بني قريظة رجلاً من بني النضير. فبعثوا إليهم بنو النضير: ابعثوا إلينا بدية المقتول وبالقاتل حتى نقتله. فقالت قريظة: ليس هذا حكم التوراة وإنما هو شيء غلبتمونا عليه، فإما الدية وإما القتل، وإلا فهذا محمد ﷺ بيننا وبينكم فهللما نتحاكم إليه.

فمشت بنو النضير إلى عبد الله بن أبي، وقالوا: سل محمداً أن لا ينقض شرطنا في هذا الحكم الذي بيننا وبين قريظة في القتل. فقال عبد الله بن أبي: ابعثوا رجلاً يسمع كلامي وكلامه فإن حكم لكم بما تريدون وإلا فلا ترضوا به.

فبعثوا معه رجلاً فجاء إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، إن هؤلاء القوم قريظة والنضير قد كتبوا بينهم كتاباً وعهداً وثيقاً تراضوا به، والآن في قدومك يريدون نقضه وقد رضوا بحكمك فيهم فلا تنقض عليهم كتابهم وشرطهم؛ فإن بني النضير لهم القوة والسلاح والكراع ونحن نخاف الدوائر.

﴿لِيُخْرِجَنَّ الْأَعَزَّ مِنْهَا الْأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ - سورة المنافقون: ٥ - ٨. ولما توفي عبد الله بن أبي بن سلول، جاء ابنه وأهله فسألوا رسول الله ﷺ أن يصلي عليه. فقام رسول الله بين يدي الصف يريد ذلك، فجاء عمر فجذبه من خلفه، وقال: ألم ينهك الله أن تصلي على المنافقين؟ فقال ﷺ: «إني خيرت فاخترت، فقبل لي: ﴿أَسْتَغْفِرُ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرُ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرُ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ﴾». سورة التوبة: ٨٠. ولو أنني أعلم أنني إذا زدت على السبعين غفر له لزدت». ثم صلى رسول الله ﷺ عليه ومشى معه وقام على قبره. وكان ذلك من عظيم أخلاق رسول الله ﷺ.

فاغتم رسول الله ﷺ من ذلك ولم يجبه بشيء، فنزل عليه جبرئيل بهذه الآيات: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا﴾ يعني اليهود ﴿سَمَاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتَوْكَ بِحَرْفٍ مِنَ الْكَلِمِ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ﴾ يعني عبد الله بن أبي وبني النضير ﴿يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ وَإِنْ لَمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا﴾ يعني عبد الله بن أبي حيث قال لبني النضير: إن لم يحكم لكم بما تريدونه فلا تقبلوا ﴿وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرْ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ سَمَاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَالُونَ لِلْسُّحْتِ إِنْ جَاءُوكَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ وَإِنْ تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَنْ يَضُرُّوكَ شَيْئاً وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ - إلى قوله - وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴿١﴾ (٢).

أقول: لقد عانى رسول الله ﷺ من المنافقين أكثر مما عاناه من اليهود حتى أنه ﷺ صرح في حديث له: أنه لا يخشى على المسلمين من أحد كما يخشى عليهم من المنافقين.

وكان من أبرز المنافقين الذين كانوا يؤلبون ضد رسول الله ﷺ ويحركون الأجواء ضده هو عبد الله بن أبي، وقصته في قوله: ﴿لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ﴾ مشهورة في التاريخ.

ومع كل ذلك كان رسول الله ﷺ يعفو عنهم، كما كان يعفو عن اليهود، ويسعى دائماً لهدايتهم إلى الإسلام بالحكمة والموعظة الحسنة.

وذكرنا في التبيين:

﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ﴾ في إظهار الكفر إذا وجدوا فرصة ﴿مِنْ﴾ بيان لـ (الذين) وهم المنافقون ﴿الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ﴾ أي

(١) سورة المائدة: ٤١ - ٤٤.

(٢) بحار الأنوار: ج ٢٠ ص ١٦٦ - ١٦٨ ب ١٤ ح ٣.

(٣) سورة المنافقون: ٨.

بلسانهم ﴿وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا﴾ أي من اليهود، قوم ﴿سَمَاعُونَ﴾ أي يسمعون ويقبلون ﴿لِلْكَذِبِ﴾ الذي يقولونه في باب القتل ﴿سَمَاعُونَ﴾ لعله عطف بيان لـ ﴿سَمَاعُونَ﴾ الأول ﴿لِقَوْمٍ آخَرِينَ﴾ أي لا يسمعون الكلام من الرسول ﷺ بل من الآخرين ﴿لَمْ يَأْتُوكَ﴾ يارسول الله، وهذا صفة لـ (قوم) أي إن هؤلاء اليهود يقبلون الكذب في باب القتل الذي اعتادوا عليه من جماعتهم الذين لم يأتوا إليك ﴿يُحَرِّفُونَ﴾ أولئك القوم الآخرون ﴿الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ﴾ أي بعد أن وضع الله تلك الكلم مواضعها، والمراد تحريف أحكام التوراة ﴿يَقُولُونَ﴾ أي المنافقون ﴿إِنْ أُوتِيتُمْ﴾ أي أعطيتم ﴿هَذَا﴾ الحكم المحرف ﴿فَخَذُوهُ﴾ وابقبلوه ﴿وَأَنْ لَمْ تُؤْتَوْهُ﴾ لم تعطوا هذا الحكم بل أفتاكم محمد ﷺ ﴿فَاحْذَرُوا﴾ وامتنعوا من قبوله، وقد وردت الآية في المنافق (عبد الله بن أبي) حيث وقع حادث قتل بين طائفتين من اليهود هم بنو قريظة وبني النضير وكان حكم القتل بين الطائفتين مخالفاً لحكم القتل في التوراة فقالوا لابن أبي: قل لمحمد ﷺ أن يحكم بما هو المعتاد بيننا لا يحكم بالتوراة إن تحاكمنا إليه، فقال ابن أبي: ابعثوا رجلاً يسمع كلامي وكلام الرسول ﷺ فإن حكم لكم بما تريدون فاقبلوا كلامه، وإلا فلا.

وقيل: إن الآية نزلت في قصة الزنا حيث أراد اليهود جلد الزاني المحصن، والرسول ﷺ أفتى برجمه، وابن أبي وافق اليهود في الحكم ﴿وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ﴾ بأن يضل ويفتن عن الدين، وإرادة الله عبارة عن تركه بعد عناده ليضل، كابن أبي واليهود ﴿فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً﴾ أي لا تقدر أنت يا محمد ﷺ أن تدفع عنه فتنة الله ﴿أُولَئِكَ﴾ المنافق واليهود ﴿الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرْ قُلُوبَهُمْ﴾ عن أدناس الكفر والانحراف، لأنهم اختاروا هذا السبيل بعد تمام الحجة ﴿لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ﴾ فضيحة وتنفر المسلمين عنهم ﴿وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾.

﴿سَمَاعُونَ لِلْكَذِبِ﴾ تأكيد لما سبق ﴿أَكَاالُونَ لِلْسُّخْتِ﴾ الرشوة وسائر المحرمات، و﴿أَكَاالُونَ﴾ صيغة مبالغة أي كثيرو الأكل ﴿فَإِنْ جَاءُوكَ﴾ للتحاكم في جزاء القاتل ﴿فَاحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ وقل لهم إني لا أحكم بينكم ﴿وَأِنْ تَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾

فَلَنْ يَضُرُّكَ شَيْئًا» فِي دِينِكَ أَوْ دُنْيَاكَ ﴿وَإِنْ حَكَمْتَ﴾ أَيِ أُرِدْتَ الْحُكْمَ ﴿فَاحْكُم بَيْنَهُمْ بِالنِّسْبِ﴾ بِالْعَدْلِ ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾.

﴿وَكَيْفَ يُحْكُمُونَكَ﴾ يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَؤُلَاءِ الْيَهُودُ، اسْتَفْهَامُ تَعْجَبٍ، وَلِبْيَانُ أَنَّهُمْ لَا يَرِيدُونَ حُكْمَ اللَّهِ الْمُنْزَلَ فِي التَّوْرَةِ ﴿وَالْحَالُ أَنَّ﴾ عِنْدَهُمُ التَّوْرَةُ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ يَعْرِضُونَ عَنْ حُكْمِكَ ﴿مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾ الْحُكْمَ ﴿وَمَا أَوْلَيْكَ بِالْمُؤْمِنِينَ﴾ بَكِتَابِهِمُ التَّوْرَةَ ^(١).

٣

تحريف التوراة

قال الله عز وجل: ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ﴾ وَأَمِنُوا بِمَا أُنْزِلَتْ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ ﴿وَلَا تَلْسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ ^(٢).

في التوراة الأصلي غير المحرف جاء ذكر أوصاف نبي الإسلام محمد ﷺ ووصيه علي بن أبي طالب عليه السلام.. ولكن اليهود حرفوا التوراة. قال تعالى: ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ ^(٣).

قال الإمام الحسن العسكري عليه السلام: «قال الله عز وجل: ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ ولد يعقوب إسرائيل الله ﴿اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ﴾ لما بعثت محمداً ﷺ وأقررت في مدينتكم ولم أجشمكم الحط والترحال إليه، وأوضحت علاماته ودلائل صدقه لئلا يشبهه عليكم حاله ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِي﴾ الذي أخذته على أسلافكم أنبياءهم وأمروهم

(١) تبيين القرآن: سورة المائدة: ٤١ - ٤٣، ص ١٢٦ - ١٢٧.

(٢) سورة البقرة: ٤٠ - ٤٢.

(٣) سورة البقرة: ٧٥.

أن يؤدوه إلى أخلافهم ليؤمنوا بمحمد العربي القرشي الهاشمي، المبان بالآيات، والمؤيد بالمعجزات، التي منها أن كلمته ذراع مسمومة، وناطقه ذئب، وحنّ إليه عود المنبر، وكثر الله له القليل من الطعام، وألان له الصلب من الأحجار، وصلب له المياه السيالة، ولم يؤيد نبياً من أنبيائه بدلالة إلا جعل له مثلها أو أفضل منها. والذي جعل من أكبر آياته علي بن أبي طالب عليه السلام شقيقه ورفيقه، عقله من عقله، وعلمه من علمه، وحكمه من حكمه، وحلمه من حلمه، مؤيد دينه بسيفه الباتر، بعد أن قطع معاذير المعاندين بدليله القاهر، وعلمه الفاضل، وفضله الكامل ﴿أَوْفِ بِعَهْدِكُمْ﴾ الذي أوجبت به لكم نعيم الأبد في دار الكرامة ومستقر الرحمة ﴿وَيَايَا فَارَهُبُونَ﴾ في مخالفة محمد ﷺ فإني القادر على صرف بلاء من يعاديكم على موافقتي، وهم لا يقدرّون على صرف انتقامي عنكم إذا أثرتم مخالفتي^(١).

وروي عن الإمام العسكري عليه السلام أنه :

«خاطب الله بها قوماً من اليهود لبسوا الحق بالباطل، بأن زعموا^(٢) أن محمداً ﷺ نبي، وأن علياً عليه السلام وصي، ولكنهما يأتیان بعد وقتنا هذا بخمسائة سنة. فقال لهم رسول الله ﷺ : أترضون التوراة بيني وبينكم حكماً؟ قالوا: بلى. فجاءوا بها وجعلوا يقرؤون منها خلاف ما فيها، فقلب الله عز وجل الطومار^(٣) الذي كانوا منه يقرؤون، وهو في يد قرّائين منهم، مع أحدهما أوله ومع الآخر آخره، فانقلب ثعباناً له رأسان وتناول كل رأس منهما يمين من هو في يده، وجعل يرضضه ويهشّمه، ويصيح الرجلان ويصرخان. وكانت هناك طوامير أخر فنطقت وقالت: لا تزالان في هذا العذاب حتى تقرءا ما فيها من صفة محمد ﷺ ونبوته، وصفة علي عليه السلام وإمامته على ما أنزل الله تعالى فيها. فقرأه صحيحاً، وآمنا برسول الله ﷺ واعتقدا بإمامة علي عليه السلام ولي الله ووصي رسول الله ﷺ. فقال الله عز وجل: ﴿وَلَا تَلْسُؤُوا الْحَقَّ

(١) تفسير الإمام الحسن العسكري عليه السلام : ص ٢٢٧ - ٢٢٨ توسل آدم عليه السلام بمحمد وآله وقبول توبته

بهم عليه السلام ح ١٠٧.

(٢) الزعم هنا بمعنى العلم، أي علموا بذلك.

(٣) الطومار: الصحيفة. انظر لسان العرب: ج ٤ ص ٥٠٤ مادة (طمر).

بِالْبَاطِلِ» بَأَن تَقْرُوا بِمَحْمَدٍ وَعَلِيٍّ مِنْ وَجْهِهِ وَتَجِدُوهُمَا مِنْ وَجْهِهِ «وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ» مِنْ نَبْوَةِ هَذَا وَإِمَامَةِ هَذَا، «وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ» أَنْكُمْ تَكْتُمُونَهُ وَتُكَابِرُونَ عُلُومَكُمْ وَعُقُولَكُمْ، فَإِنَّ اللَّهَ إِذَا كَانَ قَدْ جَعَلَ أَخْبَارَكُمْ حُجَّةً، ثُمَّ جَحَدْتُمْ لَمْ يَضِيعْ هُوَ حُجَّتُهُ، بَلْ يَقِيمُهَا مِنْ غَيْرِ جَهْتِكُمْ فَلَا تَقْدَرُوا أَنْكُمْ تَغَالِبُونَ رِبْكَمُ وَتَقَاهِرُونَهُ»^(١).

أقول: كَانَ يَأْتِي النَّبِيُّ ﷺ بِبَعْضِ الْمَعَاجِزِ لِتُظْهِرَ حَقَانِيَّتَهُ وَتَتِمَّ الْحُجَّةُ، «لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ»^(٢).

وَقَدْ دَلَّتِ الْأَدْلَةُ الْقَطْعِيَّةُ عَلَى نَبْوَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَكَذَلِكَ النُّصُوصُ الْمُتَوَاتِرَةُ عَلَى وِلَايَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ ع عَلَيْهِ السَّلَامُ وَتَعْيِينِهِ خَلِيفَةً بَعْدَ النَّبِيِّ ﷺ مُبَاشَرَةً، فَمِنْذَ أَنْ صَدَعَ الرَّسُولُ الْأَكْرَمُ ﷺ بِالرَّسَالَةِ وَدَعَا عَشِيرَتَهُ الْأَقْرَبِينَ إِلَى الْإِسْلَامِ عَيْنَ عَلِيٍّ ع عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْ بَعْدِهِ وَصِيًّا لَهُ وَخَلِيفَةً، حَتَّى قَالُوا لِأَبِيِّ طَالِبٍ ع عَلَيْهِ السَّلَامُ: قَدْ أَمَرْنَا أَنْ تَسْمَعَ لِعَلِيِّ وَتَطِيعَ^(٣).

وَذَكَرْنَا فِي التَّبَيِّنِ:

«يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ» إِسْرَائِيلُ لَقَبُ يَعْقُوبَ ع عَلَيْهِ السَّلَامُ بِمَعْنَى عَبْدِ اللَّهِ، وَبَنُو إِسْرَائِيلَ هُمُ الْيَهُودُ «اذْكُرُوا نِعْمَتِي الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ» يَبْعَثُ الْأَنْبِيَاءَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِيكُمْ وَجَعَلَ مُلُوكَ مِنْكُمْ «وَأَوْفُوا بِعَهْدِي» الَّذِي أَخَذْتَ مِنْكُمْ بِالْإِيمَانِ وَالطَّاعَةِ «أَوْفِ بِعَهْدِكُمْ» بِإِعْطَائِكُمْ خَيْرَ الدُّنْيَا وَسَعَادَةَ الْآخِرَةِ «وَيَايَا فَارْهُبُونَ» أَيِ خَافُونِي.

«وَأَمِنُوا بِمَا أُنْزِلَتْ» أَيِ الْقُرْآنَ «مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ» مِنَ التَّوْرَةِ «وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ» أَيِ فِي مَقْدَمَةِ الْكَافِرِينَ «بِهِ» أَيِ بِمَا أُنْزِلَتْ مِنَ الْقُرْآنِ «وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا» بَأَن لَا تَوْثِقُوا بِالْآيَاتِ لِأَجْلِ رِئَاسَةِ زَائِلَةٍ فِي الدُّنْيَا «وَيَايَا فَاتَّقُونِ» أَيِ خَافُوا مِنِّي، فَآمَنُوا وَاعْمَلُوا صَالِحًا.

«وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ» بَأَن تَضَعُوا لِبَاسَ الْبَاطِلِ عَلَى الْحَقِّ، فَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ

(١) تَفْسِيرُ الْإِمَامِ الْعَسْكَرِيِّ ع عَلَيْهِ السَّلَامُ: ص ٢٣٠ - ٢٣١ ح ١٠٩ تَوْسِلُ آدَمَ بِمَحْمَدٍ وَآلِهِ وَقَبُولُ تَوْبَتِهِ بِهِمْ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

(٢) سُورَةُ الْأَنْفَالِ: ٤٢.

(٣) بَحَارُ الْأَنْوَارِ: ج ٣٨ ص ٢٢٤ ح ٢٤ ب ٦٥.

أنه باطل ﴿وَتَكْتُمُوا﴾ أي تخفوا ﴿الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أنه حق.
 ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾ قيل: إن صلاة اليهود
 لا ركوع فيها ولذا أمروا بالصلاة بلفظ الركوع^(١).

٤

قلوب أشد من الحجارة

قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً
 وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَقَّقُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا
 لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾^(٢).

بقي بعض اليهود يجادلون الرسول الأكرم ﷺ ويشككون في نبوته، ويماطلون
 في معاجزه التي يقيمها لهم حتى وصف القرآن الكريم قلوبهم بأنها كالحجارة أو أشد
 قسوة.

قال الإمام الحسن بن علي العسكري عليه السلام:

«فقالوا - أي اليهود -: زعمت يا محمد أن الحجارة ألين من قلوبنا، وهذه الجبال
 بحضرتنا فاستشهدها على تصديقك، فإن نطق بتصديقك فأنت الحق. فخرجوا إلى
 أوعر جبل، فقالوا: استشهده؟»

فقال رسول الله ﷺ: أسألك يا جبل بجاه محمد وآله الطيبين الذين بذكر
 أسمائهم خفف الله العرش على كواهل^(٣) ثمانية من الملائكة بعد أن لم يقدرُوا على
 تحريكه.

فتحرك الجبل وفاض الماء، فنادى: أشهد أنك رسول رب العالمين، وأن قلوب

(١) تبين القرآن: سورة البقرة: ٤٠ - ٤٣، ص ١٧.

(٢) سورة البقرة: ٧٤.

(٣) الكواهل: جمع كاهل وهو مقدم أعلى الظهر. لسان العرب: ج ١١ ص ٦٠٢ مادة (كهل).

هؤلاء اليهود كما وصفت أقسى من الحجارة.

فقال اليهود: أعلينا تلبس؟، أجلسست أصحابك خلف هذا الجبل ينطقون بمثل هذا، فإن كنت صادقاً ففتح من موضعك إلى ذي القرار ومر هذا الجبل يسير إليك، ومره أن ينقطع نصفين ترتفع السفلى وتنخفض العليا.

فأشار عليه السلام إلى حجر تدحرج، فتدحرج ثم قال لمخاطبه: خذه وقربه فسيعيد عليك بما سمعت، فإن هذا جزء من هذا الجبل.

فأخذه الرجل فأدناه من أذنه، فنطق الحجر بمثل ما نطق به الجبل. قال: فأنتي بما اقترحت. فتباعد رسول الله عليه السلام إلى فضاء واسع هناك، ثم نادى: أيها الجبل بحق محمد وآله الطيبين لما اقتلعت من مكانك بإذن الله وجئت إلى حضرتي. فترزّل الجبل وسار مثل الفرس الهملاج^(١)، ونادى: ها أنا سامع لك ومطيع مرني.

فقال: هؤلاء اقترحوا عليّ أن أمرك أن تنقطع من أصلك فتصير نصفين، فينخفض أعلاك ويرتفع أسفلك. فتقطع نصفين، فارتفع أسفله وانخفض أعلاه، فصار فرعه أصله. ثم نادى الجبل: أهذا الذي ترون دون معجزات موسى عليه السلام الذي تزعمون أنكم به مؤمنون؟.

فقال رجل منهم: هذا رجل تتأتى له العجائب.

فنادى الجبل: يا أعداء الله أبطلتم بما تقولون نبوة موسى عليه السلام حيث كان وقوف الجبل فوقهم كالظلة، فيقال: هو رجل يأتي بالعجائب.

فلزمتهم الحجة وما أسلموا^(٢).

أقول: إن جحد بعض اليهود لنبوة النبي الأعظم عليه السلام مع اطمئنانهم بصدقه وقطعهم بأحقيته، علامة جلية على شدة قساوة قلوبهم التي وصفها القرآن الكريم بأنها أشد من الحجارة، وهذا غير مقتصر على اليهود فحسب، بل يشمل كل من ينكر الحق ويعرض عنه مع تجليه له.

(١) الهملاج: حسن سير الدابة في سرعة، لسان العرب: ج ٢ ص ٣٩٣ مادة (هملج).

(٢) الخرائج والجرائح: ج ٢ ص ٥١٩ - ٥٢١ ب ١٤ فصل في أعلام رسول الله عليه السلام.

وذكرنا في التبيين^(١): «ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ» بينما كان مقتضى القاعدة أن ترق وتلين حيث شاهدت آيات الله تعالى «مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ» بعد رؤية الآيات، أو إحياء القتيل^(٢) «فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً» كالحديد وما أشبهه، في عدم تقبل النصيحة والوعظ «وَأَنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لِمَا» أي لحجارة «يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ» فإن قسماً من الأنهار تنفجر من الحجارات «وَأَنَّ مِنْهَا لَمَّا يَشْقُقُ» أي يتشقق «فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ» القليل، فبعض الحجارات يخرج منها الماء الكثير، وبعضها يخرج منها الماء القليل، أما قلوب هؤلاء فلا يخرج منها خير أصلاً، لأنها قاسية «وَأَنَّ مِنْهَا» أي من الحجارة «لَمَّا يَهْطُ» لحجارة ينزل من أعالي الجبل «مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ» إما خشية واقعية أو خشية تكوينية، ولكن قلوب اليهود لا تهبط من خشية الله، إذ هي كالحجارة أو أشد قسوة وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عما تَعْمَلُونَ من الأعمال السيئة: الكفر والعصيان.

«أَقْتَطَمْعُونَ» أيها المؤمنون «أَنْ يُؤْمِنُوا» هؤلاء اليهود «لَكُمْ» وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ طائفة من أسلاف هؤلاء، وحيث إن الطبيعة واحدة، فما هي حالة الأسلاف تكون حالة الأخلاف عادة «يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ» التوراة «ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ» يغيرونه فيجعلون الحلال حراماً والحرام حلالاً «مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ» أي فهموه «وَهُمْ يَعْلَمُونَ» أنهم يحرفونه.

«وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا» قسم من اليهود كانوا منافقين فإذا لقوا - أي رأوا - المؤمنين أظهروا الإيمان و«قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَا بِعَضُوبِهِمْ إِلَى بَعْضٍ» في مكان خلوة ليس فيها مؤمن حقيقي «قَالُوا» أي قال بعضهم الذين لم ينافقوا «أَتُحَدِّثُونَهُمْ» أي لماذا أيها اليهود المنافقون تحكون للمسلمين «بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ» أي بما بين الله لكم من نعت محمد ﷺ «لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ» أي ليكون للمؤمنين حجة عليكم عند الله، فإن المؤمنين في يوم القيامة يقولون لله يا رب هؤلاء كانوا يعلمون صفات محمد ﷺ لأنهم اعترفوا بها أمامنا «أَفَلَا تَعْقِلُونَ» أيها اليهود فتعترفون أمام المسلمين.

(١) تبيين القرآن: سورة البقرة: ٧٤ - ٧٦، ص ٢١.

(٢) في قصة بقرة بني إسرائيل المشهورة.

من مؤامرات اليهود

قال الله تعالى: ﴿مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمِعْ غَيْرَ مُسْمِعٍ وَرَاعِنَا لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِي الدِّينِ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاسْمِعْ وَانْظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَكِنْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾^(١).

وقال عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انْظُرْنَا وَاسْمِعُوا وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾^(٢).

كان بعض اليهود في صدر الإسلام يترصدون برسول الله ﷺ وأتباعه الدواهي، ويكيدون لهم بشتى الطرق، علّهم يحطون من شأن الإسلام، ويبعدون الناس عن الدخول فيه، إلا أنهم في كل مرة ييؤون بالفشل، وتفشل مخططاتهم ويفتضحون أمام الناس كافة. وكان النبي ﷺ يعفو عنهم ويعاملهم بأخلاقه الطيبة، وهذا من أهم أسباب هداية كثير منهم إلى الإسلام.

وقد أشارت بعض الآيات المباركة إلى جملة من ألابهم ومؤامراتهم ضد رسول الله ﷺ ..

فإنه وبعد أن أمر الله المسلمين بالتأديب في خطاب النبي ﷺ، وعدم رفعهم لأصواتهم فوق صوته المبارك، فكان المسلمون يتأديبون في مخاطبته قائلين: «راعنا»، أي أراع حالنا واسمع منا لنسمع منك..

استخدم اليهود هذه الكلمة استخداماً سيئاً، فكانوا يخطبون النبي ﷺ قائلين: (راعنا) ومرادهم السب، فإن معناها المتداول بينهم هو: أسمع لا سمعت.

(١) سورة النساء: ٤٦.

(٢) سورة البقرة: ١٠٤.

يقول الإمام الكاظم عليه السلام: «فلما سمع اليهود المسلمون يخاطبون بها رسول الله ﷺ يقولون: (راعنا) ويخاطبون بها. قالوا: كنا نشتم محمداً ﷺ إلى الآن سراً، فتعالوا الآن نشتمه جهراً. وكانوا يخاطبون رسول الله ﷺ ويقولون: (راعنا) يريدون شتمه، ففتظن لهم سعد بن معاذ الأنصاري^(١). فقال: يا أعداء الله، عليكم لعنة الله أراكم تريدون سب رسول الله ﷺ، توهموناً أنكم تجرون في مخاطبته مجرانا، والله لاسمعتها من أحد منكم إلا ضربت عنقه، ولولا أنني أكره أن أقدم عليكم قبل التقدم والاستئذان له ﷺ ولأخيه ووصيه علي بن أبي طالب عليهما السلام القيم بأمر الأمة نائباً عنه لضربت عنق من قد سمعته منكم يقول هذا.

فأنزل الله تعالى يا محمد: ﴿مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمِعْ غَيْرَ مَسْمُوعٍ وَرَاعِنَا لَيًّا بِالْأَسْتِثْمِ وَطَعْنًا فِي الدِّينِ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاسْمِعْ وَانْظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَكِنْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾^(٢)، وأنزل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انْظُرْنَا وَاسْمِعُوا وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾^(٣)»^(٤).

أقول: ينبغي للمؤمنين أن يحذروا أعداءهم ويتجنبوا ما يمكنهم منهم، حتى في بعض الألفاظ والشعارات وما أشبهه، كقول المسلمين للرسول ﷺ آنذاك: (راعنا)، حيث استفاد اليهود من هذه العبارة فكانوا يستهزئون برسول الله ﷺ. ولا يخفى أن هذا في الأمور العادية، كقول (راعنا) أو ما أشبه ذلك، أما ما يرتبط

(١) من أصحاب رسول الله ﷺ، وقد ورد في (الكافي) الشريف: أن النبي ﷺ صلى عليه وقال: «لقد وافى من الملائكة سبعون ألف وفيهم جبرئيل عليه السلام يصلون عليه. فقلت له: يا جبرائيل بم يستحق صلاتكم عليه؟ فقال: بقراءة ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ قائماً وقاعداً، وراكباً ومشياً، وذاهباً وجائياً» الكافي: ج ٢ ص ٦٢٢ باب فضل القرآن ح ١٣، وقال الصدوق رحمته الله في أواخر باب الثلاثة من الخصال: لسعد بن معاذ ثلاثة مواقف في الإسلام لو كانت واحدة منهن بجميع الناس لآكثفوا بها فضلاً، - الخصال: ج ١ ص ١٩٣.

(٢) سورة النساء: ٤٦.

(٣) سورة البقرة: ١٠٤.

(٤) بحار الأنوار: ج ٩ ص ٣٣٢ ب ٢ ح ١٨.

بأصول الدين والأسس العقائدية والشعائر وما أشبه فإنه لا يتنازل عنه بشيء.

ثم إن النبي ﷺ لم يأذن لسعد بقتل اليهود، وكذلك لم يأذن له أمير المؤمنين عليه السلام، ولم يذكر في التاريخ أن سعداً أو غيره قتل أحداً منهم لقوله (راعنا) بالرغم من كونه سباً في لغتهم..

قال الإمام الباقر عليه السلام: «هذه الكلمة سب بالعبرانية إليه كانوا يذهبون»^(١).

وذكرنا في التبيين:

﴿أَلَمْ تَرَ﴾ يا أيها المرائي، والاستفهام للتعجب ﴿إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا﴾ أعطوا ﴿نَصِيبًا﴾ حظاً وقسماً ﴿مِنَ الْكِتَابِ﴾ التوراة، وهم أحبار اليهود ﴿يَشْتَرُونَ الضَّلَالَهَ﴾ يبيعون الهدى ويأخذون بدلها الضلالة ﴿وَيُرِيدُونَ أَنْ تَضِلُّوا﴾ أنتم أيها المسلمون ﴿السَّيْلَ﴾ سبيل الحق.

﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَائِكُمْ﴾ فهو يعلم أن هؤلاء اليهود أعداء لكم ﴿وَكَفَى بِاللَّهِ وَلِيًّا﴾ يلي أمركم فلا يضركم كيد اليهود ﴿وَكَفَى بِاللَّهِ نَصِيرًا﴾ ينصركم على أعدائكم. ﴿مِنَ الَّذِينَ﴾ بيان (للذين أوتوا) ﴿هَادُوا﴾ أي اليهود ﴿يُحَرِّفُونَ﴾ يبدلون ﴿الْكَلِمَ﴾ جمع كلمة، والمراد بها كلام التوراة ﴿عَنْ مَوَاضِعِهِ﴾ التي وضعه الله فيها فيبدلون كلمة الله بكلام أنفسهم ﴿وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا﴾ قولك ﴿وَعَصَيْنَا﴾ أمرك ﴿وَأَسْمَعُ غَيْرَ مُسْمَعٍ﴾ أي اسمع لا سمعت، وهذا دعاء منهم على الرسول ﷺ لحبثهم ﴿و﴾ يقولون ﴿رَاعِنَا﴾ يريدون به السب، لأن معناه اسمع لا سمعت ﴿لِيَا﴾ أي التواء ﴿بِالسَّيْتِهِمْ﴾ فإنهم يقولون لفظاً له معنيان، ويريدون به المعنى السيئ ﴿وَطَعْنَا﴾ أي عيباً ﴿فِي الدِّينِ﴾ أي الإسلام ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ﴾ بدل ما تقدم ﴿قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾ أوامرهم ﴿و﴾ قالوا ﴿أَسْمَعُ و﴾ قالوا ﴿انظُرْنَا﴾ عوض: راعنا ﴿لَكَانَ﴾ قولهم ذلك ﴿خَيْرًا لَهُمْ﴾ في دنياهم وأخراهم ﴿وَأَقُومَ﴾ أقرب إلى العدل ﴿وَلَكِنْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ﴾ أبعدهم عن الخير ﴿بِكُفْرِهِمْ﴾ أي بسبب كفرهم ﴿فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ منهم^(٢).

(١) بحار الأنوار: ج ٩ ص ٦٦-٦٧ ب ١.

(٢) تبيين القرآن: سورة النساء الآية ٤٤-٤٦، ص ٩٦-٩٧.

٦

من مفتريات اليهود

قال الله عز وجل: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَىٰ نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُل فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾^(١).

لم يقتصر اليهود في افتراءهم على أنبياء الله تعالى فحسب، بل افتروا على الله عز وجل وادعوا أنهم أبناؤه وأحباؤه، وأخذوا يترفعون على سائر الناس بذلك، وقد نزلت فيهم قوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ...﴾ الآية، فكشف الله زيفهم وأبطل دعواهم.

روى الطبرسي رحمته الله في شأن نزول الآية قائلاً: (إن جماعة من اليهود منهم كعب بن الأشرف، وكعب بن أسيد، وزيد بن التابوه، وغيرهم، قالوا لنبي الله حين حذرهم بنقمات الله وعقوباته: لا نخوفنا فإننا أبناء الله وأحباؤه، فإن غضب علينا فإنما يغضب كغضب الرجل على ولده، يعني أنه يزول عن قريب)^(٢).

وكان هذا كذب منهم على الله عز وجل؛ لأنه تعالى فرد صمد لم يلد ولم يولد، ولم يتخذ صاحبة ولا ولداً. مضافاً إلى أن الميزان عند الله هو التقوى والعمل الصالح، أما الحسب والنسب فلا يكفيان.

روي عن إبراهيم بن محمد الهمداني^(٣)، قال: سمعت الرضا عليه السلام يقول: «إنه ليس بين الله وبين أحد قرابة، ولا ينال أحد ولاية الله إلا بالطاعة، ولقد قال

(١) سورة المائدة: ١٨.

(٢) تفسير مجمع البيان، الشيخ الطبرسي: ج ٣ ص ٣٠٤ سورة المائدة.

(٣) إبراهيم بن محمد الهمداني: من أصحاب الإمام الرضا والجواد والهادي (عليهم السلام) وثقة الإمام الهادي (عليه السلام) وكان وكيلاً للمعصومين (عليهم السلام) بل كان سفيراً وهي من أرفع درجات الوثاقة.

رسول الله ﷺ لبني عبد المطلب: ائتوني بأعمالكم لا بأنسابكم وأحسابكم»^(١).

وقال طاووس الفقيه: أنه رأى الإمام زين العابدين عليه السلام يطوف من العشاء إلى

السحر ويتعبد، فلما لم ير أحداً رمق إلى السماء بطرفه، وقال:

«إِلَهِي غَارَتْ نَجُومُ سَمَاوَاتِكَ، وَهَجَعَتْ عُيُونُ أُنَامِكَ، وَأَبْوَابُكَ مُفَتَّحَاتٌ لِلسَّائِلِينَ، جِئْتُكَ لِتَغْفِرَ لِي وَتَرْحَمَنِي وَتَرْبِنِي وَجَهَ مُحَمَّدٌ ﷺ فِي عَرَصَاتِ الْقِيَامَةِ»..
ثم بكى وقال: «وَعِزَّتْكَ وَجَلَالُكَ مَا أَرَدْتُ بِمَعْصِيَتِي مُحَالِفَتَكَ، وَمَا عَصَيْتُكَ إِذْ عَصَيْتُكَ وَأَنَا بِكَ شَاكٍ، وَلَا بِنِكَالِكَ جَاهِلٌ، وَلَا لِعُقُوبَتِكَ مُتَعَرِّضٌ؛ وَلَكِنْ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي، وَأَعَانَنِي عَلَى ذَلِكَ سِتْرُكَ الْمُرْخَى بِهِ عَلَيَّ. فَأَنَا الْآنَ مِنْ عَذَابِكَ مَنْ يَسْتَنْقِذُنِي؟، وَيَحْبِلُ مَنْ أَعْتَصِمُ إِنْ قَطَعْتَ حَبْلَكَ عَنِّي؟، فَوَا سَوَاءَهُ غَدَاً مِنَ الْوُقُوفِ بَيْنَ يَدَيْكَ إِذَا قِيلَ لِلْمُخَفِّينَ جُوزُوا، وَلِلْمُثْقَلِينَ حُطُّوا. أَمْ مَعَ الْمُخَفِّينَ أَجُوزُ؟، أَمْ مَعَ الْمُثْقَلِينَ أَحُطُّ؟، وَيَلِي كَلِمَا طَالَ عُمْرِي كَثُرَتْ خَطَايَايَ وَلَمْ أُتْبَ، أَمَا أَنْ لِي أَنْ أُسْتَجِي مِنْ رَبِّي؟».

ثم بكى عليه السلام وأنشأ يقول:

اتحرقني بالنار يَا غَايَةَ الْمُنَى فَأَيْنَ رَجَائِي ثُمَّ أَيْنَ مَحَبَّتِي
اتَّيْتُ بِأَعْمَالٍ قَبِيحٍ رَدِيَةٍ وَمَا فِي الْوَرَى خَلْقٌ جَنَى كَجَنَائَتِي

ثم بكى وقال:

«سُبْحَانَكَ تُعْصَى كَأَنَّكَ لَا تَرَى، وَتَحْلُمُ كَأَنَّكَ لَمْ تُعْصَ، تَتَوَدَّدُ إِلَى خَلْقِكَ بِحُسْنِ الصَّنِيعِ كَأَنَّ لَكَ الْحَاجَةَ إِلَيْهِمْ، وَأَنْتَ يَا سَيِّدِي الْغَنِيُّ عَنْهُمْ».

ثم خر إلى الأرض ساجداً.

قال: فدنوتُ منه وشلْتُ رأسه فوضعتُه على ركبتي، وبكيتُ حتى جرت

دموعي على خدّه، فاستوى جالساً وقال: «من الذي أشغلني عن ذكر ربي؟».

فقلت له: أنا طاووس يا ابن رسول الله، ما هذا الجزع والفرع؟!، ونحن يلزمنا

أن نفعل مثل هذا ونحن عاصون جافون؟! أبوك الحسين بن علي عليه السلام، وأمك فاطمة

الزهراء عليها السلام، وجدك رسول الله ﷺ !

قال: فالتفت إليّ وقال عليه السلام: «هيهات هيهات يا طاووس، دع عني حديث أبي وأمي وجددي، خلق الله الجنة لمن أطاع وأحسن ولو كان عبداً حبشياً، وخلق النار لمن عصاه ولو كان ولداً قرشياً، أما سمعت قول الله تعالى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ﴾^(١) والله لا ينفعك غداً إلاّ تقدمة تقدمها من عمل صالح»^(٢).

وذكرنا في التبيين:

﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ﴾ جمع حبيب، أي يحبنا الله تعالى ﴿قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ﴾ فإنهم كانوا معترفين بأنهم يعذبون في الآخرة، ومن المعلوم الابن الحبيب لا يعذبه الأب ﴿بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ﴾ من جملة من خلقه الله تعالى ﴿يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾ أي مصير البشر فيجازيهم حسب أعمالهم^(٣).

(١) سورة المؤمنون: ١٠١.

(٢) تفسير نور الثقلين: ج ٣ ص ٥٦٣ - ٥٦٤ سورة المؤمنون ح ١٥٥.

(٣) تبيين القرآن: سورة المائدة الآية: ١٨، ص ١٢٣.

٧

ما أجرأهم على الله

قال الله تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾^(١).

نقل المفسرون أن كثيراً من اليهود بعد ما أنكروا نبوة رسول الله محمد ﷺ منعهم الله من تلك النعم الوافرة والخيرات الطائلة التي أنعم عليهم؛ وذلك لأنهم ردوا دعوة النبي ﷺ وكذبوه في رسالته، بعد ذلك افتروا على الله سبحانه بالبخل وقالوا: يدها تعالى مغلولتان، فأنزل الله تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ﴾ الآية. ذكر الطبرسي رحمه الله^(٢): (ثم أخبر الله تعالى بعضهم فريتهم، فقال: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾ أي: مقبوضة عن العطاء، ممسكة عن الرزق. فنسبوه إلى البخل. عن ابن عباس وقتادة وعكرمة والضحاك قالوا: إن الله كان قد بسط على اليهود حتى كانوا من أكثر الناس مالاً وأخصبهم ناحية. فلما عصوا الله في محمد ﷺ وكذبوه، كف الله عنهم ما بسط عليهم من السعة، فقال عند ذلك فنحاص بن عاذورا: (يد الله مغلولة) ولم يقل إلى عنقه... فرد الله تعالى فريتهم بقوله: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ أي: ليس الأمر على ما وصفوه بل هو جواد)^(٣).

(١) سورة المائدة: ٦٤.

(٢) هو الشيخ الفضل بن الحسن الطبرسي أمين الإسلام أبو علي. وُلِدَ في سنة ٤٧٠هـ وتوفي في سنة ٥٥٢هـ أو سنة ٥٤٨هـ في مدينة سبزوار ودفن بالمشهد الرضوي. له كتاب (مجمع البيان في تفسير القرآن)، و(الفرقان)، و(جوامع الجامع)، و(تاج الموالي)، وغيرها. للمزيد راجع ترجمته رحمه الله في مقدمة تفسيره بقلم العلامة السيد محسن الأمين العاملي.

(٣) تفسير مجمع البيان: ج ٣ ص ٣٧٧ - ٣٧٨ سورة المائدة.

قال بعض: إنما قاله فنحاص ولم ينهه الآخرون ورضوا بقوله فأشركهم الله في ذلك. وقيل: معناه يد الله مكفوفة عن عذابنا، فليس يعذبنا إلا بما ييربه قسمه قدر ما عبد أبائنا العجل.

وقال بعض: ويجوز أن يكونوا قالوا ذلك على وجه الهزؤ من حيث لم يوسع على النبي ﷺ وعلى أصحابه^(١).

أقول: هذه ليست أول فرية لليهود على الله عز وجل، بل لهم عليه تعالى افتراءات أخر ذكرت في القرآن منها قوله: ﴿نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ﴾^(٢)، كما سبق. وقولهم: ﴿عُزَيْرُ ابْنِ اللَّهِ﴾^(٣). وقولهم: ﴿لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا﴾^(٤)، وقد ردّ الله تعالى افتراءاتهم هذه في آيات مختلفة..

وذكرنا في التبيين: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾ مقبوضة عن العطاء، فإنهم كانوا يزعمون أن الله لا يتصرف في الكون ﴿غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ﴾ دعاء عليهم بأن تغلّ أيديهم بالأغلال ﴿وَلُعِنُوا﴾ أبعدوا من رحمة الله، دعاء عليهم ﴿بِمَا قَالُوا﴾ أي بسبب هذا القول ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ يعمل في الكون ﴿يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ تأكيد للبسط، وبسط اليد كناية عن تصرفه تعالى في الكون ﴿وَلَيَزِيدَنَّ﴾ فعل، من الزيادة ﴿كَثِيرًا مِنْهُمْ﴾ مفعول (يزيدن) ﴿مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ﴾ فاعل (يزيدن)، أي إن القرآن يزيدهم ﴿مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا﴾ إذ يشتد حسدهم فيطغون أكثر من قبل ﴿وَكُفْرًا﴾ وزيادة الكفر عبارة عن اشتداده ﴿وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ﴾ بين طوائف اليهود ﴿الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ﴾ يبغض بعضهم بعضاً ﴿إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ كلما أوقدوا ﴿أشعل هؤلاء اليهود﴾ ناراً للحرب ﴿لحرب رسول الله ﷺ﴾ ﴿أَطْفَأَهَا اللَّهُ﴾ بغلبة المسلمين عليهم ﴿وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا﴾ أي للفساد ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ﴾ أي يكره ﴿الْمُفْسِدِينَ﴾^(٥).

(١) انظر مجمع البيان: ج ٣ ص ٣٧٧.

(٢) سورة المائدة: ١٨.

(٣) سورة التوبة: ٣٠.

(٤) سورة البقرة: ١١١.

(٥) تبيين القرآن: سورة المائدة الآية: ٦٤، ص ١٣٠.

٨

إنا سائلوك عن أربع خصال

قال الله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾^(١) الآيات.

من صفات معظم اليهود أنهم لا يوفون بعهدهم وينقضون مواعيثهم، فكانوا يعاهدون رسول الله ﷺ بين الحين والآخر بأن يسلموا إذا جاءهم بمعجزة أرادوها، أو أجابهم على أسئلتهم الغامضة، ولكنهم في أغلب الأحيان كانوا لا يوفون بعهودهم وينقضون مواعيثهم ويخلفون عهودهم.

ومن ذلك ما نقله شهر بن حوشب^(٢)، قال: لما قدم رسول الله ﷺ المدينة أتاه رهط من اليهود فقالوا: إنا سائلوك عن أربع خصال فإن أخبرتنا عنها صدقناك وآمنا بك.

فقال ﷺ: «عليكم بذلك عهد الله وميثاقه؟».

قالوا: نعم.

قال ﷺ: «سلوا عما بدا لكم».

قالوا: عن الشبه كيف يكون من المرأة وإنما النطفة للرجل؟.

فقال ﷺ: «أنشدكم بالله أتعلمون أن نطفة الرجل بيضاء غليظة وأن نطفة المرأة حمراء رقيقة، فأيتهما غلبت صاحبها كانت لها الشبه».

قالوا: اللهم نعم.

(١) سورة البقرة: ٩٧.

(٢) شهر بن عبد الله بن حوشب: إمامي من كبار التابعين القراء، ثقة من أصحاب أمير المؤمنين (عليه السلام) وروى عن الإمام الباقر والصادق (عليهما السلام) وروى عنه أبو حمزة الثمالى وغيره، توفي على رأس القرن الأول الهجري.

قالوا: فأخبرنا عما حرم إسرائيل على نفسه من قبل أن تنزل التوراة؟.

قال عليه السلام: «أنشدكم بالله هل تعلمون أن أحب الطعام والشراب إليه لحوم الإبل وألبانها، فاشتكى شكوى فلما عافاه الله منها حرمها على نفسه ليشكر الله به؟».

قالوا: اللهم نعم.

قالوا: أخبرنا عن نومك كيف هو؟.

قال عليه السلام: «أنشدكم بالله هل تعلمون من صفة هذا الرجل الذي تزعمون أنني

لست به تنام عينه وقلبه يقظان؟».

قالوا: اللهم نعم.

قال عليه السلام: «وكذا نومي».

قالوا: فأخبرنا عن الروح؟.

قال عليه السلام: «أنشدكم بالله هل تعلمون أنه جبرئيل عليه السلام؟».

قالوا: اللهم نعم، وهو الذي يأتيك وهو لنا عدو، وهو ملك إنما يأتي بالغلظة

وشدة الأمر ولولا ذلك لاتبعناك. فأنزل الله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ﴾^(١) الآية^(٢).

وذكرنا في التبيين^(٣):

﴿قُلْ﴾ يا رسول الله ﴿مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ﴾ فإن اليهود كانوا أعداء جبرئيل

عليه السلام، وكانوا يقولون للرسول عليه السلام: حيث إن جبرئيل عليه السلام ينزل عليك لا نؤمن نحن

بك ﴿فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ فإن الله أذن لجبرئيل عليه السلام في نزول القرآن، وعلى

فرض المحال بكون جبرئيل عليه السلام مذنباً، فإن ذلك لا يرتبط بالقرآن وبالرسول عليه السلام

﴿مُصَدِّقًا﴾ أي في حال كون القرآن يصدق ﴿لَمَّا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ أي لما تقدمه من الكتب

كالتوراة والإنجيل ﴿هُدًى﴾ هداية ﴿وَبَشْرًى﴾ بشارة بمستقبل زاهر، وهذان عطفان

على ﴿لِلْمُؤْمِنِينَ﴾.

(١) سورة المائدة: ٩٧ - ١٠٠.

(٢) بحار الأنوار: ج ٩ ص ٣٠٧ ب ٢ ح ٩.

(٣) تبيين القرآن: سورة البقرة الآية ٩٧ - ١٠١، ص ٢٥.

﴿مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ﴾ بمخالفة الله عن عناد ﴿وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ﴾ أي عدو هؤلاء يجازى بأن الله يعاديه، فيعاقبه.
﴿وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ﴾ واضحات ﴿وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ﴾
الخارجون عن طريق الهدى والرشاد.

﴿أَوْ كَلِمًا﴾ الهمزة للإنكار، والواو عطف على مقدر، أي أ كفر اليهود وكلما
﴿عَاهَدُوا عَهْدًا نَبَذَهُ﴾ طرحه ولم يعمل به، فإنهم عهدوا بالعمل بما في التوراة، ومن
جملة أحكام التوراة أن يؤمنوا بمحمد ﷺ، لكنهم نبذوه ولم يعملوا به ﴿فَرِيقٌ
مِنْهُمْ﴾ أما بعض اليهود فقد آمنوا بمحمد ﷺ ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ هذا لدفع
وهم أن يراد بـ «فريق» جماعة قليلة، فكأنه قال: الفريق النابذ هم الأكثر منهم.
﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ﴾ محمد ﷺ ﴿مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ﴾ من التوراة
﴿نَبَذَ﴾ ترك ﴿فَرِيقٌ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ وهم علماء اليهود الذين أعطاهم الله
التوراة ﴿كِتَابَ اللَّهِ﴾ أي أحكام التوراة بالإيمان بمحمد ﷺ ﴿وَرَأَى ظُهُورَهُمْ كَأَنَّهُمْ لَا
يَعْلَمُونَ﴾ بأن هذا كتاب الله وأنه يحرم نبذه وعدم العمل به.

بين اليهود والنصارى

قال الله تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾^(١).

قال ابن عباس: إنه لما قدم وفد نجران من النصارى على رسول الله ﷺ أتتهم أجباز اليهود، فتنازعوا عند رسول الله ﷺ. فقال رافع بن حرملة: ما أنتم على شيء. وجحد نبوة عيسى عليه السلام وكفر بالإنجيل، فقال رجل من أهل نجران: ليست اليهود على شيء. وجحد نبوة موسى عليه السلام وكفر بالتوراة، فأنزل الله هذه الآية^(٢).

وقد ذكرنا في التبيين^(٣):

﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ﴾ من الدين فلا دين لهم ﴿وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ﴾ أي قالوا هذه المقالة والحال أنهم من أهل العلم، وأهل العلم يجب أن لا يباذ بعضهم بعضاً ﴿كَذَلِكَ﴾ أي مثل قول هؤلاء ﴿قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أي الكفار ﴿مِثْلَ قَوْلِهِمْ﴾ فإن الكفار يحاربون أهل الكتاب، وبالعكس^(٤)، ﴿فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ﴾ أي بين اليهود والنصارى والمشركين ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾.

(١) سورة البقرة: ١١٣.

(٢) تفسير مجمع البيان: ج ١ ص ٣٥٢ سورة البقرة.

(٣) تبين القرآن: سورة البقرة الآية ١١٣، ص ٢٨.

(٤) أو أن المشركين قالوا للنبي ﷺ وأصحابه: إنهم ليسوا على شيء من الدين.

١٠

لا تتبع ملتهم

قال الله تعالى: ﴿وَلَنْ تَرْضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنْ هَدَىٰ اللَّهُ هُوَ الْهُدَىٰ وَلَئِنْ أَتَبَعْتُ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾^(١).

قال بعض المفسرين: إن اليهود كانوا يسألون النبي ﷺ الهدنة ويعدون أنه ﷺ إذا هادنهم وأمهلهم اتبعوه ووافقوه، ولكنهم كانوا يخالفون وعدهم، فأنزل الله تعالى هذه الآية. وقال ابن عباس: هذا في القبله، وذلك أن يهود المدينة ونصارى نجران كانوا يرجون أن يصلي النبي ﷺ إلى قبلتهم، فلما صرف الله القبله إلى الكعبة شق ذلك عليهم، فيئسوا منه أن يوافقهم على دينهم، فأنزل الله تعالى هذه الآية^(٢).

وذكرنا في التبيين^(٣):

﴿وَلَنْ تَرْضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ﴾ فلا تتوقع يا محمد ﷺ رضاهم عنك ﴿حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾ وطريقتهم ﴿قُلْ﴾ يا محمد ﷺ: ﴿إِنَّ هُدَىٰ اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ﴾ الصحيح، فلا أحيد عنه، وعدم رضاكم ليس بهم ﴿وَلَئِنْ أَتَبَعْتُ﴾ يا رسول الله^(٤)، ﴿أَهْوَاءَهُمْ﴾ أي أهواء اليهود والنصارى في دينهم المنحرف ﴿بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ﴾ ببطلان طريقتهم وصحة طريقة الإسلام ﴿مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ ينصرك من بأس الله.

(١) سورة البقرة: ١٢٠.

(٢) أسباب نزول الآيات، الواحدي النيسابوري: ص ٢٥ سورة البقرة.

(٣) تبيين القرآن: سورة البقرة الآية ١٢٠، ص ٢٩.

(٤) قال الصدوق والسيد المرتضى وجمهور الإمامية (أعزهم الله): إن القرآن - في مثل هذه الآيات - نزل من باب: (إياك أعني واسمعي يا جارة)، أو يكون من باب فرض المحال.

١١

بل أنتم بشر

قال الله تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَلِلَّهِ مَلَكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾^(١).

قيل: إن اليهود قالوا: نحن في القرب من الله بمنزلة الابن من أبيه. والنصارى لما قالوا للمسيح ابن الله، جعلوا أنفسهم أبناء الله وأحباؤه..

وقيل: إن جماعة من اليهود منهم كعب بن الأشرف، وكعب بن أسيد، وزيد بن النابوه، وغيرهم قالوا لنبي الله ﷺ حين حذرهم بنقمت الله وعقوباته: لا نخوفنا فإننا أبناء الله وأحباؤه، فإن غضب الله علينا فإنما يغضب كغضب الرجل على ولده، يعني أنه يزول عن قريب.

وقيل: إنه لما قال قوم إن المسيح ابن الله، أجرى ذلك على جميعهم، كما تقول العرب: هذيل شعراء، أي فيهم شعراء. وكما قالوا في رهط مسيلمة: قالوا نحن أنبياء، أي قال قائلهم.

ثم قال تعالى لنبيه محمد ﷺ: ﴿قُلْ لَهُوَلَاءِ الْمَفْتِرِينَ عَلَى رَبِّهِمْ﴾ ﴿فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ﴾ أي: فلا شيء يعذبكم بذنوبكم إن كان الأمر على ما زعمتم، فإن الأب يشفق على ولده، والحبيب على حبيبه فلا يعذبه، وهم يقولون بأنهم يعذبون لو لم يقولوا به كذبوا بكتابهم، وقد أقرت اليهود بأنهم يعذبون أربعين يوماً، عدد الأيام التي عبدوا فيها العجل^(٢).

(١) سورة المائدة: ١٨.

(٢) تفسير مجمع البيان: ج ٣ ص ٣٠٤ سورة المائدة.

وذكرنا في التبيين^(١) :

﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ﴾ جمع حبيب، أي يحبنا الله تعالى ﴿قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ﴾ فإنهم كانوا معترفين بأنهم يعذبون في الآخرة، ومن المعلوم الابن الحبيب لا يعذبه الأب ﴿بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ﴾ من جملة من خلقه الله تعالى ﴿يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾ أي مصير البشر فيجازيهم حسب أعمالهم.

١٢

لا تتولوهم

قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ مِنكُمُ فَإِنَّهُ مِنَهُمْ إِنِ اللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾^(٢).

قال بعض المفسرين في سبب نزولها وإن كان حكمها عاماً لجميع المؤمنين: إنه لما انهزم الكفار يوم بدر قال المسلمون لأوليائهم من اليهود: آمنوا قبل أن يصيبكم الله بيوم مثل يوم بدر.

فقال مالك بن ضيف: أغركم أن أصبتم رهطاً من قريش لا علم لهم بالقتال، أما لو أمرونا العزيمة أن نستجمع عليكم لم يكن لكم يدان بقتالنا.

فجاء عبادة بن الصامت الخزرجي إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، إن لي أولياء من اليهود كثيراً عددهم، قوية أنفسهم، شديدة شوكتهم، وإنني أبرأ إلى الله ورسوله من ولايتهم، ولا مولى لي إلا الله ورسوله.

فقال عبد الله بن أبي: لكنني لا أبرأ من ولاية اليهود؛ لأنني أخاف الدوائر ولا بد لي منهم.. ونزلت الآية.

(١) تبيين القرآن: سورة المائدة الآية: ١٨، ص ١٢٣.

(٢) سورة المائدة: ٥١.

وقال بعض المفسرين: لما كانت وقعة أحد اشتدت على طائفة من الناس، فقال رجل من المسلمين: أنا ألحق بفلان اليهودي وأخذ منه أماناً.
وقال آخر: أنا ألحق بفلان النصراني ببعض أرض الشام فأخذ منه أماناً. فنزلت الآية^(١).

وذكرنا في التبيين^(٢):

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ﴾ توالونهم وتعتمدون عليهم ﴿بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ فإنهما يوالي بعضهم بعضاً لاتحادهما في الباطل ضد الإسلام في مقابل مضادة بعضهم لبعض بين أنفسهم كما قال تعالى: ﴿فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ﴾^(٣)، ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ﴾ يوالِيهم ﴿مِنْكُمْ﴾ أيها المسلمون ﴿فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾ فإن المرء يحشر مع من أحب ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ الذين يظلمون أنفسهم بموالاتهم للكافرين، فلا يُلطف بهم ألطفه الخفية.

﴿فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾ شك ونفاق من المسلمين ﴿يُسَارِعُونَ فِيهِمْ﴾ أي يتسرعون في موالة الكافرين ﴿يَقُولُونَ﴾ في سبب موالاتهم ﴿نَخْشَى﴾ نخاف ﴿أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ﴾ من دوائر الدهر فتكون الدولة للكفار، ولذا نصادقهم حتى نأمن شرهم عند ذلك ﴿فَعَسَى اللَّهُ﴾ رجاء من الإنسان وبيان احتمال من الله ﴿أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ﴾ بالنصر لرسوله ﷺ على أعدائه ﴿أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ﴾ بإقصاء اليهود عن أطراف المدينة ﴿فَيُصِيبُحُوا﴾ أي المنافقون ﴿عَلَى مَا أَسْرُوا﴾ أخفوا ﴿فِي أَنْفُسِهِمْ﴾ من الشك والنفاق ﴿نَادِمِينَ﴾ لأن أصدقاءهم قد فاتهم والمسلمون لا يصادقونهم.

(١) انظر تفسير (مجمع البيان): ج ٣ ص ٣٥٥ - ٣٥٦ سورة المائدة.

(٢) تبيين القرآن: سورة المائدة الآية ٥١ - ٥٢، ص ١٢٩.

(٣) سورة المائدة: ١٤.

١٣

أشد الناس عداوة

قال الله تعالى: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِيَّيْنَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾^(١).

كان سبب نزول هذه الآية أنه لما اشتدت قريش في أذى رسول الله ﷺ وأصحابه الذين آمنوا به بمكة قبل الهجرة أمرهم رسول الله ﷺ أن يخرجوا إلى الحبشة، وأمر جعفر بن أبي طالب عليه السلام أن يخرج معهم.

فخرج جعفر ومعه سبعون رجلاً من المسلمين حتى ركبوا البحر، فلما بلغ قريش خروجهم بعثوا عمرو بن العاص وعمارة بن الوليد إلى النجاشي ليردوهم إليهم. وكان عمرو وعمارة متعادين، فقالت قريش: كيف نبعث رجلين متعادين، فبرئت بنو مخزوم من جناية عمارة وبرئت بنو سهم من جناية عمرو بن العاص. فخرج عمارة وكان حسن الوجه شاباً مترفاً فأخرج عمرو بن العاص أهله معه، فلما ركبوا السفينة شربوا الخمر فقال عمارة لعمرو بن العاص: قل لأهلك تقبلني. فقال عمرو: أيجوز هذا سبحانه الله!.

فسكت عمارة فلما انتشأ عمرو وكان على صدر السفينة دفعه عمارة وألقاه في البحر، فتشبث عمرو بصدر السفينة وأدركوه فأخرجوه.

فوردوا على النجاشي وقد كانوا حملوا إليه هدايا فقبلها منهم، فقال عمرو بن العاص: أيها الملك، إن قوماً منا خالفونا في ديننا وسبوا آلهتنا وصاروا إليك فردهم إلينا. فبعث النجاشي إلى جعفر عليه السلام فجاءوا به فقال: يا جعفر، ما يقول هؤلاء؟.

فقال جعفر: أيها الملك، وما يقولون؟. قال: يسألون أن أردكم إليهم. قال: أيها

الملك، سلهم أعبيد نحن لهم!. فقال عمرو: لا، بل أحرار كرام.
 قال: فسلمهم ألهم علينا ديون يطالبوننا بها!. قال: لا، ما لنا عليكم ديون.
 قال: فلکم في أعناقنا دماء تطالبوننا بها!. قال عمرو: لا.
 قال: فما تريدون منا، أذيتموننا فخرجنا من بلادكم.
 فقال عمرو بن العاص: أيها الملك، خالفونا في ديننا، وسبوا آلهتنا، وأفسدوا
 شبابنا، وفرقوا جماعتنا، فردهم إلينا لنجمع أمرنا.
 فقال جعفر: نعم أيها الملك، خالفناهم بأنه بعث الله فينا نبياً أمر بخلع الأنداد،
 وترك الاستقسام بالأزلام، وأمرنا بالصلاة والزكاة، وحرّم الظلم والجور، وسفك
 الدماء بغير حقها، والزنا والربا والميتة والدم، وأمرنا بالعدل والإحسان، وإيتاء ذي
 القربى، وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى.
 فقال النجاشي: بهذا بعث الله عيسى ابن مريم عليه السلام.

ثم قال النجاشي: يا جعفر، هل تحفظ مما أنزل الله على نبيك شيئاً؟
 قال: نعم، فقرأ عليه سورة مريم فلما بلغ إلى قوله: ﴿وَهَزَّى إِلَيْكَ إِبْرَاهِيمُ التَّخْلَةَ
 تُسَاقِطُ عَلَيْكَ رُطْبًا غَنِيًّا﴾ ﴿١﴾ فَكَلِمِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا.
 فلما سمع النجاشي بهذا بكى بكاءً شديداً، وقال: هذا والله هو الحق.

فقال عمرو بن العاص: أيها الملك، إن هذا مخالفنا فردّه إلينا.
 فرفع النجاشي يده فضرب بها وجه عمرو، ثم قال: اسكت والله يا هذا لئن
 ذكرته بسوء لأفقدنك نفسك.

فقام عمرو بن العاص من عنده والدماء تسيل على وجهه وهو يقول: إن كان
 هذا كما تقول أيها الملك فإننا لا نتعرض له.

وكانت على رأس النجاشي وصيفة له تذب عنه، فنظرت إلى عمارة بن الوليد
 وكان فتى جميلاً فأحبته، فلما رجع عمرو بن العاص إلى منزله قال لعمارة: لو
 راسلت جارية الملك. فراسلها فأجابته، فقال عمرو: قل لها تبعث إليك من طيب

الملك شيئاً. فقال لها فبعثت إليه ، فأخذ عمرو من ذلك الطيب وكان الذي فعل به عمارة في قلبه حين ألقاه في البحر ، فأدخل الطيب على النجاشي .

فقال : أيها الملك ، إن حرمة الملك عندنا وطاعته علينا وما يكرمنا إذا دخلنا بلاده ونأمن فيه أن لا نغشه ولا نريبه ، وإن صاحبي هذا الذي معي قد أرسل إلى حرمتك وخدعها وبعثت إليه من طيبك . ثم وضع الطيب بين يديه فغضب النجاشي وهم بقتل عمارة ، ثم قال : لا يجوز قتله ؛ فإنهم دخلوا بلادني فأمان لهم . فدعا النجاشي السحرة فقال لهم : اعملوا به شيئاً أشد عليه من القتل .

فأخذوه ونفخوا في إحليله الزئبق فصار مع الوحش يغدو ويروح ، وكان لا يأنس بالناس . فبعثت قريش بعد ذلك فكمنوا له في موضع حتى ورد الماء مع الوحش فأخذوه ، فما زال يضطرب في أيديهم ويصيح حتى مات .

ورجع عمرو إلى قريش فأخبرهم أن جعفر في أرض الحبشة في أكرم كرامة ، فلم يزل بها حتى هادن رسول الله ﷺ قريشاً وصالحهم وفتح خيبر ، فوافى بجميع من معه ووُلد لجعفر بالحبشة من أسماء بنت عميس عبد الله بن جعفر ، ووُلد للنجاشي ابن فسماه محمداً .

وبعث النجاشي إلى رسول الله ﷺ بمارية القبطية أم إبراهيم ، وبعث إليه بثياب وطيب وفرس ، وبعث ثلاثين رجلاً من القسيسين . فقال النجاشي لهم : انظروا إلى كلامه وإلى مقعده ومشربه ومصلاه . فلما وافوا المدينة دعاهم رسول الله ﷺ إلى الإسلام وقرأ عليهم القرآن : ﴿ إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَالِدَتِكَ ﴾ إلى قوله ﴿ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾ ^(١) ، فلما سمعوا ذلك من رسول الله ﷺ بكوا وأمنوا ورجعوا إلى النجاشي ، فأخبروه خبر رسول الله ﷺ وقرأوا عليه ما قرأ عليهم ، فبكى النجاشي وبكى القسيسون ، وأسلم النجاشي ولم يظهر للحبشة إسلامه وخافهم على نفسه ، وخرج من بلاد الحبشة إلى النبي ﷺ ، فلما عبر البحر توفي ، فأنزل الله على رسوله : ﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً ﴾

لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ» إِلَى قَوْلِهِ «وَذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ» (١).

وذكرنا في التبيين :

«لَتَجِدَنَّ» يَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ «أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا» فأشد أعداء المسلمين اليهود والمشركون «وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً وَحَبًّا» لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى» لكن لا مطلق النصارى بل المتصفون بالأوصاف الآتية «ذَلِكَ» الحب منهم «بِأَنَّ مِنْهُمْ» أي بسبب أن منهم «فَيَسِّسِينَ» علماء «وَرُهَبَانًا» زهاداً «وَأَنْهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ» عن إيتباع الحق إذا عرفوه.

«وَإِذَا سَمِعُوا» هؤلاء النصارى «مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ» محمد ﷺ «تَرَى أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ» تملأ «مِنَ الدَّمْعِ» لرقعة قلوبهم «مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ» أي بسبب معرفتهم أن القرآن حق من عند الله «يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا» بالحق «فَاكْتَبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ» الذين شهدوا حقبة الرسول ﷺ ، قيل : إن الآية نزلت في النجاشي وأصحابه حين آمنوا لما سمعوا القرآن الذي تلاه جعفر عليه السلام.

«وَمَا لَنَا» أي : أي شيء يكون لنا ، وهذا استفهام إنكار «لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ» بيان (ما) «وَالْحَالُ إِنَّا «نَطْمَعُ» ونرجو «أَنْ يَدْخُلَنَا رَبَّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ» في الجنة.

«فَأَنَابَهُمْ» أي جازاهم «اللَّهُ بِمَا قَالُوا» أي بسبب ما اعترفوا من التوحيد «جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا» تحت قصورها وأشجارها «الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ» الذين أحسنوا عقيدة وعملاً (٢).

(١) تفسير القمي : ج ١ ص ١٧٦ - ١٧٩ سورة المائدة ، الهجرة إلى الحبشة.

(٢) تسنن القرآن : سورة المائدة الآية : ٨٢ - ٨٥ ، ص ١٣٣ - ١٣٤.

١٤

قاتلهم الله

قال الله تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِيُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾^(١).

قال ابن عباس: القائل لذلك جماعة من اليهود جاءوا إلى النبي ﷺ، منهم: سلام بن مشكم، ونعمان بن أوفى، وشأس بن قيس، ومالك بن الضيف، فقالوا ذلك.

قيل: وإنما قال ذلك جماعة منهم من قبل وقد انقضوا، وأن عزيراً أُملى التوراة من ظهر قلبه وقد علّمه جبرائيل عليه السلام، فقالوا: إنه ابن الله، إلا أن الله تعالى أضاف ذلك إلى جميعهم وإن كانوا لا يقولون ذلك اليوم لأنهم رضوا به، ويدل على أن هذا مذهب اليهود أنهم لم ينكروا ذلك لما سمعوا هذه الآية مع شدة حرصهم على تكذيب الرسول ﷺ.

﴿وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ﴾ معناه: إنهم اخترعوا ذلك القول بأفواههم لم يأتهم به كتاب ولا رسول وليس عليه حجة ولا برهان ولا له صحة.

وقيل: إنه لم يذكر القول مقروناً بالأفواه إلا إذا كان ذلك القول زوراً، كقوله: ﴿يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ﴾^(٢).

﴿يُضَاهِيُونَ﴾ أي يشابهون أو يوافقون ﴿قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ يعني: عباد الأوثان في عبادتهم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى، وقيل: في عبادتهم الملائكة وقولهم

(١) سورة التوبة: ٣٠.

(٢) سورة آل عمران: ١٦٧.

إنهم بنات الله. ﴿مِنْ قَبْلُ﴾ أي: ضاهت النصارى قول اليهود من قبل. فقالت النصارى: المسيح ابن الله كما قالت اليهود: عزيز ابن الله^(١).

وذكرنا في التبيين:

﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عَزِيزُ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ﴾ بدون حجة ﴿يُضَاهِوْنَ﴾ يشابه قولهم ﴿قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ﴾ أي المشركين الذين قالوا الملائكة بنات الله ﴿قَاتَلَهُمُ اللَّهُ﴾ دعا عليهم بأن يهلكهم الله حتى يستريح الناس من عقائدهم الضالة ﴿أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ كيف يصرفون عن الحق. ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ﴾ علماءهم ﴿وَرُهْبَانَهُمْ﴾ زهادهم ﴿أَرْبَابًا﴾ بأن أطاعوهم في تحليل الحرام وتحريم الحلال ﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ وَ﴾ اتخذوا ﴿الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ﴾ ربًّا ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ﴾ أنزهه تنزيهاً عن الشريك ﴿عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ عن أن يكون له شريك^(٢).

١٥

منهم المؤمنون

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾^(٣).

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ اختلف في هؤلاء المؤمنين، من هم؟

فقال قوم: هم الذين آمنوا بـعيسى عليه السلام ثم لم يهودوا ولم ينتصروا ولم يصبئوا وانتظروا خروج محمد ﷺ.

(١) تفسير مجمع البيان: ج ٥ ص ٤٢ - ٤٣ سورة التوبة.

(٢) تبيين القرآن: سورة التوبة الآية ٣٠ - ٣١، ص ٢٠٣.

(٣) سورة البقرة: ٦٢.

وقيل : هم طلاب الدين منهم : حبيب النجار ، وقس بن ساعدة ، وزيد بن عمرو بن نفيل ، وورقة بن نوفل ، والبراء الشني ، وأبو ذر الغفاري ، وسلمان الفارسي ، وبحير الراهب ، ووفد النجاشي ، آمنوا بالنبي ﷺ قبل مبعثه . فمنهم من أدركه وتابعه ، ومنهم من لم يدركه .

وقيل : هم مؤمنو الأمم الماضية .

وقيل : هم المؤمنون من هذه الأمة .

وقال السدي : هو سلمان الفارسي وأصحابه النصارى الذين كان قد تنصر على أيديهم قبل مبعث رسول الله ﷺ ، وكانوا قد أخبروه بأنه سيبعث وأنهم يؤمنون به إن أدركوه .

واختلفوا في قوله : ﴿ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ﴾ . فقال قوم : هو خبر عن الذين هادوا والنصارى والصابئين والضمير يرجع إليهم ؛ لأن الذين آمنوا قد كانوا مؤمنين فلا معنى أن يشترط فيهم استئناف الإيمان ، فكأنه قال : إن الذين آمنوا ومن آمن من اليهود والنصارى والصابئين بالله واليوم الآخر فلهم أجرهم .

وقال آخرون : من آمن منهم الضمير راجع إلى الكل ، ويكون رجوعه إلى الذين آمنوا بمعنى الثبات منهم على إيمانهم والاستقامة وترك التبديل ، وإلى الذين هادوا والنصارى والصابئين بمعنى استئناف الإيمان بالنبي ﷺ وما جاء به .

وقال بعضهم : أراد من آمن بمحمد ﷺ بعد الإيمان بالله وبالكتب المتقدمة ؛ لأنه لا يتم أحدهما إلا بالآخر ونظيره قوله : ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ ۖ ﴾^(١) .

وروي عن ابن عباس أنه قال : إنها منسوخة بقوله : ﴿ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ ۖ ﴾^(٢) ، وهذا بعيد لأن النسخ لا يجوز أن يدخل الخبر الذي هو متضمن للوعد ، وإنما يجوز دخوله في الأحكام الشرعية التي يجوز تغييرها وتبديلها

(١) سورة محمد : ٢ .

(٢) سورة آل عمران : ٨٥ .

بتغيير المصلحة^(١).

وذكرنا في التبيين :

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا﴾ أي اليهود ﴿وَالنَّصَارَى وَالصَّابِّينَ﴾ دين خاص ، ولعلهم انشعبوا من أهل الكتاب ﴿مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا﴾ أي كل هذه الطوائف الموجودين فعلاً إن آمنوا بالله إيماناً صادقاً . أي أسلموا . وعملوا صالحاً ﴿فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ تقدم تفسيره^(٢) ،^(٣).

١٦

العصيان والحرمان

قال الله تعالى : ﴿فَظَلَمَ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَمًا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدَّهُمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا﴾^(٤) .. الآيات.

عن عبد الله بن أبي يعفور^(٥) ، قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : «من زرع حنطة في أرض فلم يترك زرعه ، أو خرج زرعه كثير الشعير فبظلم عمله في ملك رقبة الأرض ، أو بظلم لمزارعيه وأكرته ؛ لأن الله يقول : ﴿فَظَلَمَ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَمًا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ﴾ يعني لحوم الإبل و البقر و الغنم . وقال - إن إسرائيل كان إذا أكل من لحم البقر هيج عليه وجع الحاصرة فحرم على نفسه لحم الإبل ، وذلك من قبل أن ينزل التوراة ، فلما أنزلت التوراة لم يحرمه ولم يأكله»^(٦).

(١) تفسير مجمع البيان : ج ١ ص ٢٤٣ - ٢٤٤ سورة البقرة.

(٢) الخوف : المكروه المترقب ، والحزن : المكروه الواصل.

(٣) تبيين القرآن : سورة البقرة الآية ٦٧ ، ص ٢٠.

(٤) سورة النساء : ١٦٠ .

(٥) عبد الله بن أبي يعفور العبدي أبو محمد ، كان جليلاً في الطائفة ومن الفقهاء الأعلام ، ثقة ، وكان كريماً على مولانا أبي عبد الله (عليه السلام) ومن خواصه من القراء ، مات في حياته (عليه السلام).

(٦) تفسير العياشي : ج ١ ص ٢٨٤ - ٢٨٥ من سورة النساء ح ٣٠٤.

وذكرنا في التبيين: ﴿فَبِظُلْمٍ﴾ أي بسبب ظلم ﴿مِنَ الَّذِينَ هَادُوا﴾ اليهود ﴿حَرَمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ﴾ كانت حلالاً لهم قبل ذلك، كلحوم الأنعام، حرمت مجازاة كما تقدم ﴿وَبِصَدْهِمْ﴾ أي منعهم الناس ﴿عَنِ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا﴾ أي صداً كثيراً ﴿وَبِسَبِّ أَخَذِهِمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهِوا عَنْهُ﴾ عن الأخذ ﴿وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ﴾ بالرشوة ونحوها ﴿وَأَعْتَدْنَا﴾ أي هيأنا ﴿لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ﴾ دون من تاب وآمن ﴿عَذَابًا أَلِيمًا﴾ مؤلماً.

﴿لَكِنَّ الرَّاسِخُونَ﴾ الثابتون ﴿فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ﴾ من اليهود ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ أي سائر المؤمنين ﴿يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ﴾ من الكتب ﴿وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ﴾ إنما نصب (المقيمين) للإلفات، ونصبه على المدح، أي المؤمنون بك وبالكتب السابقة ﴿وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ﴾ أي: معطونها ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ قدم أولاً الإيمان بالأنبياء ﷺ ثم الإيمان بالله والمعاد ﴿أُولَئِكَ﴾ كل أولئك المتقدم وصفهم ﴿سَنُؤْتِيهِمْ﴾ سنعطيههم في الآخرة ﴿أَجْرًا عَظِيمًا﴾^(١).

١٧

بقرة بني إسرائيل

قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوءًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾^(٢) الآيات.

قال الإمام الحسن العسكري عليه السلام في تفسيره:

قال الله عز وجل ليهود المدينة اذكروا ﴿إِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً﴾ تضربون بعضها هذا المقتول بين أظهركم ليقوم حياً سواً بإذن الله عز وجل، ويخبركم بقاتله. وذلك حين ألقى القتيل بين أظهرهم، فالزم موسى عليه السلام

(١) تبيين القرآن: سورة النساء الآية ١٦٠ - ١٦٢، ص ١١٤.

(٢) سورة البقرة: ٦٧.

أهل القبيلة بأمر الله تعالى أن يحلف خمسون من أمثالهم بالله القوي الشديد إله موسى وبني إسرائيل، مفضل محمد وآله الطيبين على البرايا أجمعين إنا ما قتلناه، ولا علمنا له قاتلاً، فإن حلفوا بذلك غرموا دية المقتول، وإن نكلوا نصوا على القاتل أو أقر القاتل فيُقاد منه، فإن لم يفعلوا حبسوا في محبس ضنك إلى أن يحلفوا أو يقرّوا أو يشهدوا على القاتل.

فقالوا: يا نبي الله أما وقت أيماننا أموالنا ولا أموالنا أيماننا، قال: لا، هكذا حكم الله. وكان السبب أن امرأة حسناء ذات جمال وخلق كامل، وفضل بارع، ونسب شريف وستر ثخين كثر خطابها، وكان لها بنو أعمام ثلاثة، فرضيت بأفضلهم علماً وأثخنهم سترًا، وأرادت التزويج به، فاشتد حسد ابني عمه الآخرين له غيظًا، وغبطاه عليها لإيثارها إياه فعمدا إلى ابن عمهما المرضي، فأخذاه إلى دعوتهما، ثم قتلاه وحملاه إلى محلة تشتمل على أكثر قبيلة في بني إسرائيل، فألقياه بين أظهرهم ليلاً. فلما أصبحوا وجدوا القتل هناك، فعرف حاله، فجاء ابنا عمه القاتلان له، فمزقا ثيابهما على أنفسهما، وحثيا التراب على رؤوسهما، واستعديا عليهما، فأحضرهم موسى ﷺ وسألهم، فأنكروا أن يكونوا قتلوه أو علموا قاتله. فقال: فحكم الله عز وجل على من فعل هذه الحادثة ما عرفتموه فالتزموه.

فقالوا: يا موسى أي نفع في أيماننا لنا إذا لم تدرأ عنا الغرامة الثقيلة، أم أي نفع في غرامتنا لنا إذا لم تدرأ عنا الأيمان؟ فقال موسى ﷺ: كل النفع في طاعة الله والايتمار لأمره، والانتهاه عما نهى عنه.

فقالوا: يا نبي الله غرم ثقيل ولا جنائية لنا، وأيمان غليظة ولا حق في رقابنا، لو أن الله عرفنا قاتله بعينه، وكفانا مئنته، فادع لنا ربك يبين لنا هذا القاتل لتنزل به ما يستحقه من العقاب، وينكشف أمره لذوي الأبواب.

فقال موسى ﷺ: إن الله عز وجل قد بين ما أحكم به في هذا، فليس لي أن أقترح عليه غير ما حكم، ولا أعترض عليه فيما أمر. ألا ترون أنه لما حرم العمل في يوم السبت، وحرم لحم الجمل لم يكن لنا أن نقترح عليه أن يغير ما حكم به علينا من

ذلك، بل علينا أن نسلم له حكمه، ونلتزم ما ألزمنّا، وهم بأن يحكم عليهم بالذي كان يحكم به على غيرهم في مثل حادثهم، فأوحى الله عز وجل إليه: يا موسى أجبهم إلى ما اقترحوا، وسلني أن أبين لهم القاتل ليقتل، ويسلم غيره من التهمة والغرامة، فإني إنما أريد بإجابتهم إلى ما اقترحوا توسعة الرزق على رجل من خيار أمتك، دينه الصلاة على محمد وآله الطيبين، والتفضيل لمحمد ﷺ وعلي بعده على سائر البرايا، أغنيه في الدنيا في هذه القضية، ليكون بعض ثوابه عن تعظيمه محمد وآله.

فقال موسى ﷺ: يا رب بين لنا قاتله.

فأوحى الله تعالى إليه قل: لبني إسرائيل إن الله يبين لكم ذلك بأن يأمركم أن تذبحوا بقرة، فتضربوا ببعضها المقتول فيحيى فتسلمون لرب العالمين ذلك، وإلا فكفوا عن المسألة، والتزموا ظاهر حكمي. فذلك ما حكا الله عز وجل: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً﴾ إن أردتم الوقوف على القاتل، وتضربوا المقتول ببعضها لحيى ويخبر بالقاتل ﴿قَالُوا﴾ يا موسى ﴿أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا﴾ وسخرية تزعم أن الله يأمرنا أن نذبح بقرة، ونأخذ قطعة من ميت، ونضرب بها ميتاً فيحيى أحد الميتين بملاقاة بعض الميت الآخر له، فكيف يكون هذا؟!

﴿قَالَ﴾ موسى ﴿أَعُودُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ أنسب إلى الله تعالى ما لم يقل لي، وأن أكون من الجاهلين أعارض أمر الله بقياسي على ما شاهدت، دافعاً لقول الله عز وجل وأمره.

ثم قال موسى ﷺ: أو ليس ماء الرجل نطفة ميتة، وماء المرأة كذلك، ميتان يلتقيان فيحدث الله تعالى من التقاء الميتين بشراً حياً سوياً، أو ليس بذوركم التي تزرعونها في أرضيكم تتفسخ وتتعفن وهي ميتة، ثم يخرج الله منها هذه السنابل الحسنة البهيجة وهذه الأشجار الباسقة المونقة؟ فلما بهرهم موسى ﷺ ﴿قَالُوا﴾ له يا موسى ﴿ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ﴾ أي ما صفتها لنقف عليها؟. فسأل موسى ﷺ ربه عز وجل، فقال ﴿إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا فَارِضٌ كَبِيرَةٌ وَلَا بِكْرٌ﴾ صغيرة لم تغبط ﴿عَوَانٌ﴾ وسط ﴿بَيْنَ ذَلِكَ﴾ بين الفارض والبكر ﴿فَاعْمَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ﴾ إذا أمرتم به. ﴿قَالُوا﴾ يا

موسى ﴿ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بَيْنَ لَنَا مَا لَوْنَهَا﴾ أي لون هذه البقرة التي تريد أن تأمرنا بذبحها. ﴿قَالَ﴾ موسى عن الله بعد السؤال والجواب ﴿إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ﴾ حسن الصفرة ليس بناقص يضرب إلى البياض، ولا مشبع يضرب إلى السواد ﴿لَوْنَهَا﴾ هكذا فاقع ﴿تَسْرُ﴾ البقرة ﴿النَّاطِرِينَ﴾ إليها لبهجتها وحسنها وبريقها. ﴿قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بَيْنَ لَنَا مَا هِيَ﴾ ما صفتها؟ يزيد في صفتها. ﴿قَالَ﴾ عن الله تعالى ﴿إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ﴾ لم تذلل لإثارة الأرض ولم ترض بها ﴿وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ﴾ ولا هي مما تجر الدلاء، ولا تدير النواكير قد أعفيت من ذلك أجمع ﴿مُسَلَّمَةٌ﴾ من العيوب كلها، لا عيب فيها ﴿لَا شَيْءَ فِيهَا﴾ لا لون فيها من غيرها. فلما سمعوا هذه الصفات قالوا: يا موسى أفقد أمرنا ربنا بذبح بقرة هذه صفتها؟ قال: بلى. ولم يقل موسى ﷺ في الابتداء إن الله قد أمركم لأنه لو قال إن الله أمركم لكانوا إذا قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي وما لونها وما هي كان لا يحتاج أن يسأله ذلك عز وجل، ولكن كان يجيبهم هو بأن يقول أمركم ببقرة، فأى شيء وقع عليه اسم بقرة فقد خرجتم من أمره إذا ذبحتموها. قال: فلما استقر الأمر إليهم، طلبوا هذه البقرة فلم يجدوها إلا عند شاب من بني إسرائيل أراه الله عز وجل في منامه محمداً وعلياً وطيبى ذريتهما، فقالا له: إنك كنت لنا ولياً محباً ومفضلاً، ونحن نريد أن نسوق إليك بعض جزائك في الدنيا، فإذا راموا شراء بقرتك فلا تبعها إلا بأمر أمك، فإن الله عز وجل يلقنها ما يغنيك به وعقبك. ففرح الغلام..

وجاءه القوم يطلبون بقرته، فقالوا: بكم تباع بقرتك هذه؟ قال: بدينارين، والخيار لأمي. قالوا: قد رضينا بدينار فسألها.

فقلت: بأربعة. فأخبرهم فقالوا: نعطيك دينارين. فأخبر أمه، فقالت: بثمانية. فما زالوا يطلبون على النصف مما تقول أمه، ويرجع إلى أمه، فتضعف الثمن حتى بلغ ثمنها ملء مسك ثور أكبر ما يكون ملؤه دنانير، فأوجب لهم البيع. ثم ذبحوها، وأخذوا قطعة وهي عجز الذنب الذي منه خلق ابن آدم^(١)، وعليه يركب إذا أعيد

(١) وذلك لأن ماء الرجل يخرج من صلبه وهو في عجزه.

خلقاً جديداً، فضربوه بها، وقالوا: اللهم بجاه محمد وآله الطيبين لما أحيت هذا الميت، وأنطقته ليخبرنا عن قاتله.

فقام سالماً سوياً وقال: يا نبي الله قتلني هذان ابنا عمي، حسداني على بنت عمي فقتلاني، وألقياني في محلة هؤلاء ليأخذوا ديتي منهم.

فأخذ موسى عليه السلام الرجلين فقتلتهما، وكان قبل أن يقوم الميت ضرب بقطعة من البقرة فلم يحي، فقالوا: يا نبي الله أين ما وعدتنا عن الله عز وجل؟ فقال: موسى عليه السلام قد صدقت، وذلك إلى الله عز وجل.

فأوحى الله تعالى إليه: يا موسى إني لا أخلف وعدي، ولكن ليقدموا للفتى ثمن بقرته ملء مسكها دنانير ثم أحيي هذا. فجمعوا أموالهم، فوسع الله جلد الثور حتى وزن ما ملئ به جلده فبلغ خمسة آلاف ألف دينار. فقال بعض بني إسرائيل لموسى عليه السلام وذلك بحضرة المقتول المنشور المضروب ببعض البقرة: لا ندري أيهما أعجب إحياء الله هذا وإنطاقه بما نطق أو إغناؤه لهذا الفتى بهذا المال العظيم؟ فأوحى الله إليه: يا موسى قل لبني إسرائيل من أحب منكم أن أطيب في الدنيا عيشه، وأعظم في جناتي محله، وأجعل لمحمد وآله الطيبين فيها منادمته، فليفعل كما فعل هذا الفتى، أنه كان قد سمع من موسى بن عمران عليه السلام ذكر محمد صلى الله عليه وآله وسلم وعلي وآلهما الطيبين عليهم السلام، فكان عليهم مصلياً، ولهم على جميع الخلائق من الجن والإنس والملائكة مفضلاً، فلذلك صرفت إليه هذا المال العظيم ليتنعم بالطيبات ويتكرم بالبهات والصلاة، ويتحجب بمعروفه إلى ذوي المودات، ويكبت بنفقاته ذوي العداوات.

قال الفتى يا نبي الله كيف أحفظ هذه الأموال أم كيف أحذر من عداوة من يعاديني فيها، وحسد من يحسدني لأجلها؟

قال عليه السلام: قل عليها من الصلاة على محمد وآله الطيبين ما كنت تقوله قبل أن تنالها، فإن الذي رزقها بذلك القول مع صحة الاعتقاد يحفظها عليك أيضاً بهذا القول مع صحة الاعتقاد.

فقالها الفتى فما رامها حاسد له ليفسدها، أو لص ليسرقها، أو غاصب

ليغصبها، إلا دفعه الله عز وجل عنها بلطف من ألطافه حتى يمتنع من ظلمه اختياراً أو منعه عنه بأفة أو داهية حتى يكفه عنه، فيكف اضطراباً.

قال الإمام العسكري عليه السلام: فلما قال موسى عليه السلام للفتى ذلك وصار الله عز وجل له لمقاتله حافظاً، قال هذا المنشور: «اللهم اني أسألك بما سألك به هذا الفتى من الصلاة على محمد وآله الطيبين والتوسل بهم أن تبقيني في الدنيا متمتعاً بابنة عمي وتجزي عني أعدائي وحسادي، وترزقني فيها خيراً كثيراً طيباً». فأوحى الله إليه: يا موسى إنه كان لهذا الفتى المنشور بعد القتل ستون سنة، وقد وهبت له بمسألته وتوسله بمحمد وآله الطيبين سبعين سنة تمام مائة وثلاثين سنة صحيحة حواسه، ثابت فيها جنانه، قوية فيها شهواته، يتمتع بحلال هذه الدنيا ويعيش ولا يفارقها ولا تفارقه، فإذا حان حينه - حان حينها - وماتا جميعاً معاً فصارا إلى جناني، وكانا زوجين فيها ناعمين. ولو سألتني يا موسى هذا الشقي القاتل بمثل ما توسل به هذا الفتى على صحة اعتقاده أن أعصمه من الحسد وأقنعه بما رزقته وذلك هو الملك العظيم لفعلت. ولو سألتني بذلك مع التوبة من صنعه أن لا أفضح له ما فضحته، ولصرفت هؤلاء عن اقتراح إبانة القاتل، ولأغنيت هذا الفتى من غير هذا الوجه بقدر هذا المال أوجده، ولو سألتني بعد ما افتضح، وتاب إلي، وتوسل بمثل وسيلة هذا الفتى أن أنسي الناس فعله بعد ما ألطف لأوليائه فيعفونه عن القصاص لفعلت، فكان لا يعيره بفعله أحد ولا يذكره فيهم ذاكراً، ولكن ذلك فضل أوتيته من أشياء، وأنا ذو الفضل العظيم، وأعدل بالمنع على من أشياء، وأنا العزيز الحكيم.

فلما ذبحوها قال الله تعالى ﴿فَذَبِّحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ﴾ فأرادوا أن لا يفعلوا ذلك من عظم ثمن البقرة، ولكن اللجاج حملهم على ذلك، واتهامهم لموسى عليه السلام حداهم عليه.

قال: فضجوا إلى موسى عليه السلام وقالوا: افتقرت القبيلة ودفعت إلى التكفف وانسلخنا بلجاجنا عن قليلنا وكثيرنا فادع الله لنا بسعة الرزق.

فقال موسى عليه السلام: ويحكم ما أعمى قلوبكم أما سمعتم دعاء الفتى صاحب

البقرة وما أورثه الله تعالى من الغنى؟ أو ما سمعتم دعاء الفتى المقتول المنشور، وما أثمر له من العمر الطويل والسعادة والتنعيم والتمتع بحواسه وسائر بدنه وعقله؟ لم لاتدعون الله تعالى بمثل دعائهما؟ وتتوسلون إلى الله بمثل توسلهما ليسد فافتكم، ويجبر كسرکم، ويسد خلتكم؟

فقالوا: اللهم إليك التجأنا، وعلى فضلك اعتمدنا، فأزل فقرنا وسدّ خلتنا بجاء محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين والطيبين من آلهم.

فأوحى الله إليه: يا موسى قل لهم ليذهب رؤسأوهم إلى خربة بني فلان، ويكشفوا في موضع كذا الموضع عينه وجه أرضها قليلا، ثم يستخرجوا ما هناك، فإنه عشرة آلاف ألف دينار، ليردوا على كل من دفع في ثمن هذه البقرة ما دفع، لتعود أحوالهم إلى ما كانت عليه ثم ليتقاسموا بعد ذلك ما يفضل وهو خمسة آلاف ألف دينار على قدر ما دفع كل واحد منهم في هذه المحنة لتتضاعف أموالهم جزاء على توسلهم بمحمد وآله الطيبين، واعتقادهم لتفضيلهم.

فذلك ما قال الله عز وجل: ﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا﴾ اختلفتم فيها وتدارأتم، ألقى بعضكم الذنب في قتل المقتول على بعض، ودرأه عن نفسه وذويه ﴿وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَّظْهَرٌ﴾ مظهر ﴿مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ ما كان من خبر القاتل، وما كنتم تكتمون من إرادة تكذيب موسى ﷺ باقتراحكم عليه ما قدرتم أن ربه لا يجيبه إليه. ﴿فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا﴾ ببعض البقرة ﴿كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى﴾ في الدنيا والآخرة كما أحيا الميت بملاقاة ميت آخر له. أما في الدنيا فيلاقي ماء الرجل ماء المرأة فيحيي الله الذي كان في الأصلاب والأرحام حياً. وأما في الآخرة فإن الله تعالى ينزل بين نفختي الصور بعد ما ينفخ النفخة الأولى من دوين السماء الدنيا من البحر المسجور الذي قال الله تعالى فيه ﴿وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ﴾ وهي مني كماني الرجال، فيمطر ذلك على الأرض فيلقى الماء المنى مع الأموات البالية فينبتون من الأرض ويحيون. ثم قال الله عز وجل: ﴿وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ﴾ سائر آياته سوى هذه الدلالات على توحيده ونبوة موسى ﷺ نبيه وفضل محمد ﷺ على الخلائق سيد إمامه وعبيده، وتبينه فضله وفضل آل

الطيبين ﷺ على سائر خلق الله أجمعين. ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ تعتبرون وتتفكرون أن الذي يفعل هذه العجائب لا يأمر الخلق إلا بالحكمة، ولا يختار محمداً وآله ﷺ إلا لأنهم أفضل ذوي الألباب»^(١).

وروي عن أبي عبد الله ﷺ قال: إن رجلاً من خيار بني إسرائيل وعلمائهم خطب امرأة منهم فأنعمت له، وخطبها ابن عم لذلك الرجل وكان فاسقاً رديئاً فلم ينعموا له، فحسد ابن عمه الذي أنعموا له فقعد له فقتله غيلة، ثم حمله إلى موسى ﷺ فقال: يا نبي الله هذا ابن عمي فقد قتل!

فقال موسى ﷺ: من قتله؟ قال: لا أدري، وكان القتل في بني إسرائيل عظيماً جداً، فعظم ذلك على موسى ﷺ فاجتمع إليه بنو إسرائيل فقالوا: ما ترى يا نبي الله؟ وكان في بني إسرائيل رجل له بقرة وكان له ابن بار وكان عند ابنه سلعة فجاء قوم يطلبون سلعته وكان مفتاح بيته تحت رأس أبيه وكان نائماً، وكره ابنه أن ينبهه وينغص عليه نومه، فانصرف القوم فلم يشترها سلعته، فلما انتبه أبوه قال له: يا بني ما ذا صنعت في سلعتك؟ قال: هي قائمة لم أبعها لأن المفتاح كان تحت رأسك فكرهت أن أنبهك وأنغص عليك نومك، قال له أبوه: قد جعلت هذه البقرة لك عوضاً عما فاتك من ربح سلعتك، وشكر الله لابنه ما فعل بأبيه، وأمر موسى ﷺ بني إسرائيل أن يذبحوا تلك البقرة بعينها، فلما اجتمعوا إلى موسى ﷺ وبكوا وضجوا قال لهم موسى ﷺ: إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة، فتعجبوا وقالوا: أتخذنا هزواً، نأتيك بقتيل فتقول: اذبحوا بقرة، فقال لهم موسى ﷺ: أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين، فعلموا أنهم قد أخطئوا، فقالوا: ادع لنا ربك يبين لنا ما هي؟

قال: إنه يقول إنها بقرة لا فارض ولا بكر، والفاض التي قد ضربها الفحل ولم تحمل، والبكر التي لم يضربها الفحل.
فقالوا: ادع لنا ربك يبين لنا ما لونها؟

(١) تفسير الإمام الحسن العسكري ﷺ: ص ٢٧٣ - ٢٨٣ سورة البقرة ح ١٤٠ قصة ذبح بقرة بني

قال: إنه يقول إنها بقرة صفراء فاقع لونها، أي شديدة الصفرة تسر الناظرين إليها.

قالوا: ادع لنا ربك يبين لنا ما هي إن البقر تشابه علينا وإن شاء الله لمهتدون.
قال: إنه يقول إنها بقرة لا ذلول تثير الأرض، أي لم تذلل، ولا تسقي الحرث أي لا تسقي الزرع، مسلمة لا شية فيها أي لا نقطة فيها إلا الصفرة.

قالوا: الآن جئت بالحق هي بقرة فلان، فذهبوا ليشتروها، فقال: لا أبيعها إلا بملء جلدها ذهباً، فرجعوا إلى موسى عليه السلام فأخبروه، فقال لهم موسى عليه السلام: لا بد لكم من ذبحها بعينها، فاشتروها بملء جلدها ذهباً فذبحوها، ثم قالوا: يا نبي الله ما تأمرنا؟ فأوحى الله تبارك وتعالى إليه قل لهم: اضربوه ببعضها وقولوا من قتلك؟ فأخذ الذنب فضربوه به وقالوا: من قتلك يا فلان؟ فقال: فلان بن فلان ابن عمي الذي جاء به، وهو قوله: فقلنا اضربوه ببعضها كذلك يحيي الله الموتى ويريكم آياته لعلكم تعقلون^(١).

وذكرنا في التبيين:

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً﴾ وذلك أنه قتل شخص فلم يعرف قاتله، فتحاكموا إلى موسى عليه السلام فأمرهم أن يذبحوا بقرة، ويضربوا الميت ببعضها، ليحيي القاتل ويخبر عن قاتله ﴿قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا﴾ أي أتريد الاستهزاء والسخرية بنا، وإلا فما ربط القاتل بذبح البقرة، ﴿قَالَ﴾ موسى عليه السلام ﴿أَعُودُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ فإن الجاهل يستهزئ.

﴿قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ﴾ أي اطلب من الله تعالى ﴿يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ﴾ تلك البقرة وما صفتها ﴿قَالَ﴾ موسى عليه السلام ﴿إِنَّهُ﴾ تعالى ﴿يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا فَارِضٌ﴾ لا مسنة ﴿وَلَا يَكْرُ﴾ ولا فنية ﴿عَوَانٌ﴾ متوسط العمر بين المسنة والفنية ﴿بَيْنَ ذَلِكَ﴾ أي بين ذين العمرين ﴿فَاعْمَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ﴾ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يَبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْهَآ﴾ أي لون البقرة ﴿قَالَ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَوْهَآ﴾ أي حسن الصفرة ﴿تَسْرُ النَّاطِرِينَ﴾ أي تبعث السرور

في قلب من يراها لكل هذه الصفات الحسنة أو كانت الصفرة بحيث تجلو القلب.

﴿قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ﴾ ما هي صفاتها الأخرى غير السن واللون
﴿إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا﴾ إذ البقر بهذا السن وهذا اللون كثير ﴿وَأَنَا إِن شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ﴾
﴿نريد اتباع الأمر لا أننا نسأل لمجرد العلم والمجادلة.

﴿قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا ذَلُولُ تُثِيرُ الْأَرْضَ﴾ أي لا تكون عاملة في إثارة
الأرض للزراعة ، وهذا تفسير لذلول ﴿وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ﴾ أي ليست تسقي لأجل
الزرع ﴿مُسْلَمَةً﴾ سلمها الله من العيوب لا عيب فيها ﴿لَا شِيَةَ فِيهَا﴾ لا لون فيها
يخالف لونها ﴿قَالُوا الْآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ﴾ الواضح ﴿فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ﴾ وذلك
لأن ثمنها كان كثيراً جداً، حتى قالوا إنه كان ملء جلد ثور ذهباً.

﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ﴾ أي تدافعتم في قتل النفس بأن قال كل واحد: أنا لم
أقتله وإنما قتله غيري ﴿فِيهَا﴾ أي في تلك النفس ، وأنه من قتلها ﴿وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَا كُنْتُمْ
تَكْتُمُونَ﴾ أي ما أخفيتموه من القاتل ، فإن الله يظهره بسبب ذبح البقرة. ﴿فَقُلْنَا
اضْرِبُوهُ﴾ أي القتل ﴿بِبَعْضِهَا﴾ أي ببعض تلك البقرة ﴿كَذَلِكَ﴾ أي كما أحى الله هذا
القتيل ﴿يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى﴾ في يوم القيامة ﴿وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ﴾ أي دلائله على كامل قدرته
﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾^(١).

(١) تبين القرآن: سورة البقرة الآية ٦٧ - ٧٣، ص ٢٠ - ٢١.

١٨

التوراة الأصلية نور

قال الله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوُا اللَّهَ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾^(١).

لما بين الله تعالى أن اليهود تولوا عن أحكام التوراة، وصف التوراة المنزلة وما فيها فقال: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى﴾ أي بيان للحق ودلالة على الأحكام ﴿وَنُورٌ﴾ أي ضياء لكل ما تشابه عليهم، وجلاء لما أظلم عليهم.

وقيل: معناه فيها هدى وبيان للحكم الذي جاؤوا يستفتون فيه النبي ﷺ، ونور بيان أن أمر النبي ﷺ حق، ﴿يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا﴾ معناه: يحكم بالتوراة النبيون الذين أذعنوا بحكم الله وأقروا به ونبينا داخل فيهم.

وقال أكثرهم: هو ﷺ المعني بذلك لما حكم في رجم المحسن، وهذا لا يدل على أنه ﷺ كان متعبداً بشرع موسى عليه السلام؛ لأن الله هو الذي أوجب ذلك بوحي أنزله عليه، لا بالرجوع إلى التوراة فصار ذلك شرعاً له وإن وافق ما في التوراة، ونبه بذلك اليهود على صحة نبوته من حيث أخبر عما في التوراة من غامض العلم الذي قد التبس على كثير منهم، وقد عرفوا جميعاً أنه لم يقرأ كتابهم ولم يرجع في ذلك إلى علمائهم، فكان من دلائل صدقه ﷺ.

وقيل: يريد بالنبين الأنبياء الذين كانوا بعد موسى عليه السلام، وذلك أنه كان في بني إسرائيل ألوف من الأنبياء، بعثهم الله لإقامة التوراة يحدون حدودها ويحلون حلالاتها ويحرمون حرامها، فمعناه: يقضي بها النبيون الذين أسلموا من وقت موسى إلى وقت

عيسى، وصفهم بالإسلام؛ لأن الإسلام دين الله، فكل نبي مسلم وليس كل مسلم نبياً.

وقوله: ﴿لِلَّذِينَ هَادُوا﴾ أي تابوا عن الكفر، وقيل: لليهود، واللام فيه يتعلق (حكم) أي يحكمون بالتوراة لهم وفيما بينهم. وقيل: وجائز أن يكون المعنى على التقديم والتأخير، وتقديره: إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور للذين هادوا، يحكم بها النبيون الذين أسلموا. ﴿وَالرَّبَّانِيُّونَ﴾ الذي علت درجاتهم في العلم. وقيل: الذين يعملون بما يعلمون. ﴿وَالْأَحْبَارُ﴾ العلماء الخيار ﴿بِمَا اسْتَحْفِظُوا﴾ به أي بما استودعوا ﴿مِنْ كِتَابِ اللَّهِ﴾ قيل: بما أمروا بحفظ ذلك والقيام به وترك تضييعه.

﴿وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ﴾ أي وكانوا على حكم النبي ﷺ في الرجم أنه ثابت في التوراة شهداء، وقيل: كانوا شهداء على الكتاب أنه من عند الله وحده لا شريك له. ﴿فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَآخِشُونِ﴾ أي لا تخشوا يا علماء اليهود الناس في إظهار صفة النبي محمد ﷺ وأمر الرجم واخشوني في كتمان ذلك، وقيل: الخطاب للنبي ﷺ وأمته، أي: لا تخشوهم في إقامة الحدود وإمضائها على أهلها كائنًا من كان واخشوني في ترك أمري، فإن النفع والضرر بيدي.

﴿وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا﴾ أي لا تأخذوا بترك الحكم الذي أنزلته على موسى أيها الأحرار عوضاً خسيساً، وهو الثمن القليل. نهاهم الله تعالى بهذا عن أكل السحت على تحريفهم كتاب الله، وتغييرهم حكمه. ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ معناه: من كتم حكم الله الذي أنزله في كتابه وأخفاه وحكم بغيره من رجم المحصن والقود ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ اختلف في ذلك: فمنهم من أجرى ظاهره على العموم. ومنهم من خصه بالجاحد لحكم الله، ومنهم من قال: هم اليهود خاصة^(١).

وذكرنا في التبيين:

﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى﴾ إلى الحق ﴿وَنُورٌ﴾ يجلو المشكلات، وهذا لا ينافي تحريفه من بعد ﴿يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا﴾ لله ﴿لِلَّذِينَ هَادُوا﴾ أي بين اليهود

(١) انظر تفسير مجمع البيان: ج ٣ ص ٣٤١ - ٣٤٢ سورة المائدة.

﴿يَحْكُمُ بِالتَّوْرَةِ﴾ «الرَّبَّانِيُّونَ» المنسوبون إلى الرب «وَالْأَحْبَارُ» علماءهم ﴿بِمَا اسْتَحْفِظُوا﴾ أي بسبب الذي كلفهم الله حفظه ﴿مِنْ كِتَابِ اللَّهِ﴾ أي التوراة ﴿وَكَانُوا عَلَيْهِ﴾ أي على كونه من عند الله «شُهَدَاءَ» يشهدون بأنه حق ﴿فَلَا تَخْشَوْا﴾ أيها الحكام «النَّاسَ وَآخِشُونَ» فلا تبدلوا حكمي ﴿وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ بأن لا تحكموا بحكمي لأجل رشوة أو عرض دنيوي ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ سواء سكت عن الحكم عمداً أو حكم بغير ما أنزل ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ كفراً عملياً.

﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا﴾ أي في التوراة ﴿أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ﴾ أي يقتص ويقتل الإنسان في مقابل قتله الإنسان «وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ» أي الجراحات متقاسة بعضها في مقابل بعض ﴿فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ﴾ أي بالقصاص بأن عفي عنه فلم يقتص «فَهُوَ» فالتصدق «كَفَّارَةٌ لَهُ» أي للمصدق يكفر الله به ذنوبه ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ ظلموا أنفسهم بتعريضها لعقاب الله^(١).

١٩

لحوم محرمة على اليهود

قال الله تعالى: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفْرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوِ الْحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِبَغْيِهِمْ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾^(٢).

يعني حرم الله على اليهود لحوم الطير، وحرم عليهم الشحوم وكانوا يحبونها، إلا ما كان على ظهور الغنم أو في جانبه خارجاً من البطن «الْحَوَايَا» أي الجنين «أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِبَغْيِهِمْ» لأن ملوك بني إسرائيل كانوا يمنعون فقراءهم

(١) تبيين القرآن: سورة المائدة الآية ٤٤ - ٤٥، ص ١٢٧.

(٢) سورة الأنعام: ١٤٦.

من أكل لحم الطير والشحوم، فحرم الله ذلك عليهم ببغيتهم على فقرائهم^(١). وقد أخبر تعالى فيه هذه الآية الكريمة أنه حرم على اليهود في أيام موسى ﷺ كل ذي ظفر. قال ابن عباس: إنه كل ما ليس بمنفرج الأصابع كالإبل والنعام والبط والإوز. وأخبر تعالى أيضاً أنه كان حرم عليهم شحوم البقر والغنم مما في أجوافهما واستثنى من ذلك بقوله: ﴿إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا﴾ فإنه لم يحرمه، واستثنى أيضاً ما على الحوايا من الشحم فإنه لم يحرمه، واستثنى أيضاً من جملة ما حرم ما اختلط بعظم وهو شحم الجنب والألية؛ لأنه على العصص. وهذه الأشياء وإن كانت محرمة في شرع موسى ﷺ فقد نسخ الله تحريمها وأباحها على لسان محمد ﷺ، ثم قال تعالى: ﴿ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِبَغْيِهِمْ﴾ معناه أنا حرّمنا ذلك عليهم عقوبة لهم على ببغيتهم^(٢).

وذكرنا في التبيين:

﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا﴾ اليهود، قبل نسخ شريعتهم ﴿حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفْرٍ﴾ كل ذي إصبع كالإبل والطيور والسباع، أو كل ذي مخلب وظفر ﴿وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا﴾ كل شحم ﴿إِلَّا مَا﴾ أي شحماً ﴿حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا﴾ أي اشتمل الظهر على ذلك الشحم ﴿أَوْ الْحَوَايَا﴾ أي ما اشتمل عليه الأمعاء، جمع حاوية ﴿أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ﴾ كشحم الإلية المختلطة بالعصص ﴿ذَلِكَ﴾ التحريم ﴿جَزَيْنَاهُمْ بِبَغْيِهِمْ﴾ أي بسبب ظلمهم ﴿وَأَنَا لَصَادِقُونَ﴾^(٣).

(١) تفسير القمي: ج ١ ص ٢٢٠ سورة الأنعام، ولادة إبراهيم ﷺ.

(٢) فقه القرآن: ج ٢ ص ٢٦٨.

(٣) تبيين القرآن: سورة الأنعام الآية ١٤٦، ص ١٥٩.

٢٠

هم الظالمون

قال الله تعالى: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾^(١).

قوله عز وجل: ﴿هَادُوا﴾ يعني اليهود ﴿حَرَّمْنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ﴾ يعني بذلك ما ذكره في سورة الأنعام من قوله: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفْرٍ﴾^(٢) الآية، فإنه نزل قبل نزول هذه الآية. ﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ﴾ بتحريم ذلك عليهم ﴿وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ بالعصيان والكفر بنعم الله تعالى والجحود بأنبيائه واستحقوا بذلك تحريم هذه الأشياء عليهم، لتغيير المصلحة عند كفرهم وعصيانهم^(٣).

وذكرنا في التبيين:

﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا﴾ اليهود ﴿حَرَّمْنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ﴾ في سورة الأنعام في آية ﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفْرٍ﴾^(٤) ﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ﴾ في تحريم تلك المحرمات عليهم ﴿وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ بالكفر والعصيان فالتحريم كان جزاء أعمالهم^(٥).

(١) سورة النحل: ١١٨.

(٢) سورة الأنعام: ١٤٦.

(٣) تفسير مجمع البيان: ج ٦ ص ٢٠٧ - ٢٠٨ سورة النحل.

(٤) سورة الأنعام: ١٦٤.

(٥) تبيين القرآن: سورة النحل الآية ١١٨، ص ٢٩٢.

٢١

وفي يوم القيامة

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾^(١).

أي إن الله تعالى يبين الحق من المبطل يوم القيامة بما يضطر إلى العلم بصحة الصحيح، فيبيض وجه الحق ويسود وجه المبطل. والفصل: التمييز بين الحق والباطل. ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ أي عليم مطلع على ما من شأنه أن يشاهد بعلمه قبل أن يكون؛ لأنه علام الغيوب^(٢). وذكرنا في التبيين: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا﴾ اليهود ﴿وَالصَّابِئِينَ﴾ قسم من المتدينين بيحيى عليه السلام ﴿وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ﴾ بالحكومة بينهم وإظهار الحق من المبطل ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ شاهد عليه^(٣).

٢٢

تمنوا الموت

قال الله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾^(٤) الآيات.

لما أنكر اليهود ما في التوراة، أمر سبحانه نبيه محمد ﷺ أن يخاطبهم بما يفهمهم. فقال: ﴿قُلْ﴾ يا محمد ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا﴾ أي سموا يهوداً ﴿إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ﴾ أي إن كنتم تظنون على زعمكم أنكم أنصار لله وأن الله ينصركم ﴿مِنْ دُونِ

(١) سورة الحج: ١٧.

(٢) انظر تفسير مجمع البيان: ج ٧ ص ١٣٧ سورة الحج.

(٣) تبيين القرآن: سورة الحج الآية ١٧، ص ٣٤٦.

(٤) سورة الجمعة: ٦.

الناس فتمنوا الموت إن كنتم صادقين﴾ أنكم أبناء الله وأحباؤه ؛ فإن الموت هو الذي يوصلكم إليه. ثم أخبر سبحانه عن حالهم في كذبهم، واضطرابهم في دعواهم، وأنهم غير واثقين بذلك، فقال: ﴿وَلَا يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ من الكفر والمعاصي ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾^(١) أي عالم بأفعالهم وأحوالهم.

وفي ذلك معجزة للرسول ﷺ ؛ لأنه أخبر أنهم لا يتمنون الموت أبداً لما يعرفون من صدق النبي ﷺ وكذبهم، فكان الأمر كما قال. وروي أنه ﷺ قال: «لو تمنوا لما توا عن آخرهم»^(٢).

وذكرنا في التبيين:

﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا﴾ أظهروا اليهودية ﴿إِنْ زَعَمْتُمْ أَنْكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ﴾ إذ كانوا يقولون نحن أحباء الله دون سوانا ﴿فَتَمَنَّا﴾ اطلبوا من الله ﴿الْمَوْتَ﴾ بنقلكم من دار البلية إلى دار الكرامة ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ في زعمكم.

﴿وَلَا يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ أي بسبب ما قدموا إلى آخرتهم من الكفر والمعاصي ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ فيجازيهم على ظلمهم.

﴿قُلْ إِنْ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُونَ مِنْهُ﴾ بإعداد الوسائل لامتداد حياتكم خوفاً من الآخرة ﴿فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ﴾ تلقونه لا محالة ﴿ثُمَّ﴾ بعد الموت ﴿تُرَدُّونَ﴾ ترجعون ﴿إِلَى عَالَمِ الْغَيْبِ﴾ ما غاب عن الحواس ﴿وَالشَّهَادَةِ﴾ ما ظهر للحواس ﴿فَيُنَبِّئُكُمْ﴾ يخبركم لأجل أن يجازيكم ﴿بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾^(٣).

وفي سورة البقرة، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمْ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِّنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾^(٤).

وذكرنا في التبيين:

﴿قُلْ﴾ يا محمد ﷺ لليهود ﴿إِنْ كَانَتْ لَكُمْ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِّنْ

(١) سورة الجمعة: ٧.

(٢) راجع تفسير مجمع البيان: ج ١٠ ص ١٢ سورة الجمعة.

(٣) تبيين القرآن: سورة الجمعة الآية: ٦ - ٨، ص ٥٦٥.

(٤) سورة البقرة: ٩٤.

دُون النَّاسِ ﴿فَلَا يَدْخُلُ سَائِرُ النَّاسِ الْجَنَّةَ كَمَا تَزْعُمُونَ أَيُّهَا الْيَهُودُ ﴿فَتَمَنُّوا الْمَوْتَ إِنَّ كُتُمَ صَادِقِينَ﴾ فِي هَذَا الزَّعْمِ ، لِأَنَّ الْيَهُودَ كَانُوا يَقُولُونَ الْجَنَّةَ لَهُمْ فَقَطْ ، وَقَدْ أَمَرَهُمُ الْقُرْآنُ بِتَمَنِّي الْمَوْتِ ، لَكِنَّهُمْ مَا كَانُوا يَتَمَنُّونَهُ لَمَّا عَلِمُوا بِأَنَّ مَحَلَّهُمُ النَّارَ .

﴿وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ﴾ أَيِ الْمَوْتِ ﴿أَبَدًا بِمَا قَدَّمْتَ أَيْدِيَهُمْ﴾ أَيِ بِسَبَبِ مَا عَمَلُوهُ مِنَ الْكُفْرِ وَالْمَعَاصِي ، حَيْثُ إِنْ الْيَدُ تَعْمَلُ الْأَعْمَالَ نَسَبُ مَا عَمَلُوهُ إِلَى أَيْدِيهِمْ ، فَأَيْدِيَهُمْ قَدَّمْتَ تِلْكَ الْأَعْمَالَ الْبَشْعَةَ إِلَى الْآخِرَةِ ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ .

﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ﴾ يَا رَسُولَ اللَّهِ ﴿أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ﴾ فَإِنْ حَرَصَهُمْ - الْيَهُودَ - عَلَى بَقَائِهِمْ فِي الدُّنْيَا أَشَدَّ مِنْ حَرَصِ سَائِرِ النَّاسِ ، فَكَيْفَ يَتَمَنُّونَ الْمَوْتَ ؟ ﴿وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ أَيِ الْيَهُودِ أَحْرَصَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَمِنْ غَيْرِ الْمُشْرِكِينَ عَلَى الْحَيَاةِ ، وَإِنَّمَا خَصَّ الْمُشْرِكَ بِالذِّكْرِ ، لِأَنَّ الْمُشْرِكَ حَيْثُ يَرَى أَنَّهُ لَا آخِرَةَ يَشْتَدُّ حَرَصُهُ عَلَى الْحَيَاةِ ﴿يَوَدُّ﴾ أَيِ يُحِبُّ ﴿أَحَدُهُمْ لَوْ﴾ لِلتَّمَنِّيِ ﴿يُعَمَّرُ﴾ أَيِ يَبْقَى فِي الدُّنْيَا وَيَطُولُ عَمْرُهُ ﴿أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِدَلٍّ عَلَى الْحَالِ لَيْسَ الْعُمُرُ الطَّوِيلُ ﴿بِمُزْجِرِهِ﴾ أَيِ يَبْعَدُهُ ﴿مِنَ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ﴾ بَدَلِ (هُوَ) فَلَا فَائِدَةَ فِي طَوْلِ عَمْرِهِمْ ﴿وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ فَيُجَازِيهِمْ بِسَيِّئَاتِهِمْ^(١) .

ذكر النعم الإلهية

قال الله تعالى: ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾^(١).

قال الإمام الحسن العسكري عليه السلام: «قال: ﴿اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ﴾ أن بعثت موسى وهارون إلى أسلافكم بالنبوة، فهديناهم إلى نبوة محمد ﷺ ووصية علي وإمامة عترته الطيبين. وأخذنا عليكم بذلك العهود والمواثيق التي إن وفيتم بها كنتم ملوكاً في جنانه مستحقين لكراماته ورضوانه ﴿وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ هناك، أي فعلته بأسلافكم فضلتهم ديناً ودنياً. أما تفضيلهم في الدين فلقبولهم نبوة محمد وولاية علي وآلهما الطيبين، وأما تفضيلهم في الدنيا فأن ظلت عليهم الغمام، وأنزلت عليهم المن والسلوى، وسقيتهم من حجر ماء عذبا، وفلقت لهم البحر فأنجيتهم وأغرقت أعداءهم فرعون وقومه، وفضلتهم بذلك على عالمي زمانهم الذين خالفوا طرائقهم وحادوا عن سبيلهم. ثم قال الله عز وجل لهم: فإذا كنت قد فعلت هذا بأسلافكم في ذلك الزمان لقبولهم ولاية محمد وآله ﷺ، فبالحري أن أزيدكم فضلاً في هذا الزمان إذا أنتم وفيتم بما أخذ من العهد والميثاق عليكم»^(٢).

وذكرنا في التبيين في توضيح الآيتين^(٣):

﴿وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ أي في زمان موسى عليه السلام فإن كل مؤمن في زمان نبيه أفضل من سائر العالمين^(٤).

(١) سورة البقرة: ٤٧ و١٢٢.

(٢) تفسير الإمام الحسن العسكري عليه السلام: ص ٢٤٠ - ٢٤١ ورود ملك الموت على المؤمن وإراءته منازلته وسادته ح ١١٨.

(٣) سورة البقرة: ٤٧ و١٢٢.

(٤) تبيين القرآن: سورة البقرة الآية ٤٧، ص ١٧.

﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ﴾ بإرسال الأنبياء ﷺ فيكم وجعل ملوكاً منكم ﴿وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ عالمي زمانكم حيث إن المؤمن مفضل على كل أهل العالم في زمانه^(١).

٢٤

حق الوالدين

قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْكُمْ وَأَنتُمْ مُّعْرِضُونَ﴾^(٢).

قال الإمام الحسن العسكري عليه السلام:

«قال الله عز وجل: ﴿و﴾ اذكروا ﴿إِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ عهدهم المؤكد عليهم ﴿لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ﴾ أي لا يشبهوه بخلقه، ولا يجوروه في حكمه، ولا يعملوا ما يراد به وجهه يريدون به وجه غيره، ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ وأخذنا ميثاقهم بأن يعملوا بوالديهم إحساناً مكافأة على إنعامهما عليهم، وإحسانهما إليهم، واحتمال المكروه الغليظ فيهم لترفيهم وتوديعهم ﴿وَذِي الْقُرْبَىٰ﴾ قرابات الوالدين بأن يحسنوا إليهم لكرامة الوالدين، ﴿وَالْيَتَامَىٰ﴾ أي وأن يحسنوا إلى اليتامى الذين فقدوا آباءهم الكافلين لهم أمورهم، السائقين إليهم غذاءهم وقوتهم، المصلحين لهم معاشهم، ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ﴾ الذين لا مثوة لهم عليكم ﴿حُسْنًا﴾ عاملوهم بخلق جميل، ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ الخمس، وأقيموا أيضاً الصلاة على محمد وآل محمد الطيبين ﷺ عند أحوال غضبكم ورضاكم، وشدتكم ورخاكم، وهمومكم المعلقة لقلوبكم ﴿ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ﴾ أيها اليهود عن الوفاء بما قد نقل إليكم من العهد الذي أداه

(١) تبين القرآن: سورة البقرة الآية ١٢٢، ص ٢٩.

(٢) سورة البقرة: ٨٣.

أسلافكم إليكم ﴿وَأَنْتُمْ مُعْرِضُونَ﴾ عن ذلك العهد تاركين له غافلين عنه^(١).
وذكرنا في التبيين:

﴿وَإِذْ﴾ أي أذكر يا رسول الله ﷺ حيث ﴿أَخَذْنَا مِيثَاقَ﴾ العهد الشديد ﴿بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ﴾ بدل من الميثاق ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ أي تحسنون ﴿وَذِي الْقُرْبَى﴾ أي تحسنون إلى أقربائكم ﴿وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ﴾ أي أعرضتم عن أوامر الله، بأن وليتم الدبر ﴿إِلَّا قَلِيلًا مِنْكُمْ وَأَنْتُمْ مُعْرِضُونَ﴾ في حال إعراضكم^(٢).

٢٥

آيات بينات

قال الله تعالى: ﴿سَلِّ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَمْ آتَيْنَاهُمْ مِنْ آيَةٍ بَيِّنَةٍ وَمَنْ يُدِلْ نِعْمَةَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾^(٣).

﴿سَلِّ﴾ يا محمد ﷺ ﴿بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ أي أولاد يعقوب، وهم اليهود الذين كانوا حول المدينة والمراد به علماؤهم، وهذا سؤال تقرير لتأكيد الحجة عليهم ﴿كَمْ آتَيْنَاهُمْ﴾ أي أعطيناهم ﴿مِنْ آيَةٍ بَيِّنَةٍ﴾ من حجة ظاهرة واضحة مثل: اليد البيضاء، وقلب العصا حية، وفلق البحر، وتظليل الغمام عليهم، وإنزال المن والسلوى وغيرها. وقيل: كم من حجة واضحة لمحمد ﷺ تدل على صدقه.

﴿وَمَنْ يُدِلْ نِعْمَةَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ﴾ أي كفروا بآياته وخالفوه فضلوا وأضلوا، ومن يبدل الشكر عليها بالكفران، وقيل: من يصرف أدلة الله عن وجوها بالتأويلات الفاسدة الخالية من البرهان ﴿فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ له. وقيل: شديد

(١) تفسير الإمام العسكري عليه السلام: ص ٣٢٦ - ٣٢٧ التواضع وفضل خدمة الضيف ح ١٧٤.

(٢) تبيين القرآن: سورة البقرة الآية ٨٣، ص ٢٢.

(٣) سورة البقرة: ٢١١.

العقاب لمن عصاه فيدخل فيه هذا المذكور، وفي الآية دلالة على فساد قول المجبرة في أنه ليس لله سبحانه على الكافرين نعمة؛ لأنه حكم عليهم بتبديل نعم الله كما قال في موضع آخر: ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا﴾^(١)، ونحو ذلك من وجه آخر، وهو أنه أضاف التبديل إليهم وأوعدهم عليه بالعقوبة، فلو لم يكن فعلهم لما استحقوا العقوبة. والتبديل: هو أن يحرف، أو يكتم، أو يتأول على خلاف جهته، كما فعلوه في التوراة والإنجيل، وكما فعلوه مبتدعة الأمة في القرآن.

ولما بين الله تعالى شرائعه وأن الناس فيها ثلاث فرق: مؤمن وكافر ومنافق، ثم وعد وأوعد بين بعد ذلك أن تركهم الإيمان ليس بتقصير في الحجج ولكن لسوء طباعهم وخبت أفعالهم، فقد فعلوا قبلك يا محمد ﷺ هذا الصنيع، فقال: سل بني إسرائيل^(٢).

وذكرنا في التبيين:

﴿سَلِّ﴾ اسأل يا رسول الله ﴿بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ علماء اليهود ﴿كَمْ آتَيْنَاهُمْ﴾ أعطينا لأنبيائهم ﴿مِنْ آيَةٍ بَيِّنَةٍ﴾ معجزة ظاهرة، والاستفهام للتوبيخ، وهي في مقام بيان إن الله أتم الحجة عليهم حيث ذكر الرسول ﷺ في كتبهم مرات وكرات ﴿وَمَنْ يُدَلِّ نِعْمَةَ اللَّهِ﴾ بأن لم يؤمن، فإن الإيمان نعمة من الله ﴿مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ﴾ وصلت إليه فلم يعمل بمقتضى النعمة ﴿فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ تهديد لبني إسرائيل الذين لا يؤمنون برسول الله ﷺ^(٣).

(١) سورة النحل: ٨٣.

(٢) راجع تفسير مجمع البيان: ج ٢ ص ٦١ - ٦٢ سورة البقرة.

(٣) تبيين القرآن: سورة البقرة الآية ٢١١، ص ٤٤.

عند الامتحان

قال الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَكِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لِنَبِيِّهِمْ اأَبْعَثْ لَنَا مَلِكًا نَقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أَخْرَجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾^(١) الآيات.

عن أبي بصير، عن أبي جعفر عليه السلام: «أن بني إسرائيل بعد موسى عليه السلام عملوا المعاصي وغيروا دين الله وعتوا عن أمر ربهم، وكان فيهم نبي يأمرهم وينهاهم فلم يطيعوه». روي أنه أرميا النبي عليه السلام فسلط الله عليهم جالوت وهو من القبط، فأذلهم وقتل رجالهم وأخرجهم من ديارهم وأموالهم واستعبد نساءهم. ففزعوا إلى نبيهم وقالوا: سل الله أن يبعث لنا ملكاً نقاتل في سبيل الله، وكانت النبوة في بني إسرائيل في بيت، والملك والسلطان في بيت آخر لم يجمع الله لهم الملك والنبوة في بيت واحد، فمن ذلك قالوا: ﴿اأَبْعَثْ لَنَا مَلِكًا...﴾ إلخ.

قال تعالى: ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا﴾ فغضبوا من ذلك و ﴿قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ﴾ وكانت النبوة في ولد لاوي والملك في ولد يوسف، وكان طالوت من ولد بنيامين أخى يوسف لأنه لم يكن من بيت النبوة ولا من بيت المملكة.

فقال لهم نبيهم: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مَلَكُهُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾^(٢). وكان أعظمهم جسماً، وكان شجاعاً قوياً، وكان أعلمهم إلا أنه كان فقيراً فعاوبه بالفقر، فقالوا: لم يؤت سعة من المال.

(١) سورة البقرة: ٢٤٦.

(٢) سورة البقرة: ٢٤٧.

ف ﴿قَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّنْ رَبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَىٰ وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ﴾^(١).

وكان التابوت الذي أنزل الله على موسى ﷺ فوضعت فيه أمه وألقته في اليم، فكان في بني إسرائيل معظماً يتبركون به. فلما حضر موسى ﷺ الوفاة وضع فيه الألواح وما كان عنده من آيات النبوة وأودعه يوشع وصيه، فلم يزل التابوت بينهم حتى استخفوا به، وكان الصبيان يلعبون به في الطرقات فلم يزل بنو إسرائيل في عزٍّ وشرف ما دام التابوت عندهم. فلما عملوا بالمعاصي واستخفوا بالتابوت رفعه الله عنهم، فلما سألوا النبي بعث الله طالوت عليهم يقاتل معهم رد الله عليهم التابوت. قوله: ﴿فِيهِ سَكِينَةٌ مِّنْ رَبِّكُمْ﴾ فإن التابوت كان يوضع بين يدي العدو وبين المسلمين فيخرج منه ريح طيبة لها وجه كوجه الإنسان.

روي عن الرضا ﷺ أنه قال: «السكينة ريح من الجنة لها وجه كوجه الإنسان». فكان إذا وضع التابوت بين يدي المسلمين والكفار فإن تقدم التابوت لا يرجع رجل حتى يقتل أو يغلب، ومن رجع عن التابوت كفر وقتله الإمام.

فأوحى الله إلى نبيهم أن جالوت يقتله من يستوي عليه درع موسى ﷺ وهو رجل من ولد لاوي بن يعقوب ﷺ اسمه داود بن آسي، وكان آسي راعياً وكان له عشرة بنين أصغرهم داود. فلما بعث طالوت إلى بني إسرائيل وجمعهم لحرب جالوت بعث إلى آسي أن أحضر ولدك، فلما حضروا دعا واحداً واحداً من ولده فألبسه درع موسى ﷺ، منهم من طالت عليه و منهم من قصرت عنه.

فقال لآسي: هل خلفت من ولدك أحداً؟ قال: نعم أصغرهم تركته في الغنم يرعاها. فبعث إليه ابنه فجاء به فلما دعي أقبل ومعه مقلاع. قال - فنادته ثلاث صخرات في طريقه فقالت: يا داود، خذنا. فأخذها في مخلاته وكان شديد البطش قوياً في بدنه شجاعاً.

فلما جاء إلى طالوت ألبسه درع موسى ﷺ فاستوت عليه، ففصل طالوت

بالجنود وقال لهم نبيهم: يا بني إسرائيل ﴿إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ﴾ في هذه المفازة فمن شرب منه فليس من حزب الله، ومن لم يشرب منه فإنه من حزب الله ﴿إِلَّا مَنْ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ﴾. فلما وردوا النهر أطلق الله لهم أن يغرف كل واحد منهم غرفة بيده ﴿فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ﴾ فالذين شربوا منه كانوا ستين ألفاً، وهذا امتحان امتحنوا به كما قال الله. وروي عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: «القليل الذين لم يشربوا ولم يغترفوا ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً».

فلما جاوزوا النهر ونظروا إلى جنود جالوت قال الذين شربوا منه: ﴿لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ﴾^(١). وقال الذين لم يشربوا: ﴿رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾^(٢). فجاء داود عليه السلام حتى وقف بجذاء جالوت، وكان جالوت على الفيل وعلى رأسه التاج وفي ياقوت يلمع نوره وجنوده بين يديه. فأخذ داود من تلك الأحجار حجراً فرمى به في ميمنة جالوت فمر في الهواء ووقع عليهم فانهمزوا، وأخذ حجراً آخر فرمى به في ميسرة جالوت فوقع عليهم فانهمزوا، ورمى جالوت بحجر ثالث فصك الياقوتة في جبهته ووصل إلى دماغه ووقع إلى الأرض ميتاً فهو قوله: ﴿فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ﴾^(٣) «^(٤)».

وذكرنا في التبيين:

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى﴾ أي ألم تعلم ﴿الْمَلَأَ﴾ الجماعة من الأشراف ﴿مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لِنَبِيِّ لَهُمْ﴾ أحد أنبيائهم ﴿أَبْعَثْ لَنَا مَلِكًا﴾ أي هيئ لنا شخصاً ليكون ملكاً علينا ﴿نُقَاتِلْ﴾ تحت لوائه ﴿فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ﴾ النبي ﴿هَلْ عَسَيْتُمْ﴾ أي لعلكم ﴿إِنْ كُتِبَ﴾ أي وجب ﴿عَلَيْكُمْ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا﴾ بأن لا تقوا بما تقولون

(١) سورة البقرة: ٢٤٩.

(٢) سورة البقرة: ٢٥٠.

(٣) سورة البقرة: ٢٥١.

(٤) تفسير القمي: ج ١ ص ٨١ - ٨٣ قصة طالت وجالوت.

(٥) قيل: هو إسماعيل أو شمعون أو يوشع عليه السلام.

﴿قَالُوا﴾ أي المملأ ﴿وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ﴾ أي أي شيء لنا في عدم القتال ، بل نقاتل قطعاً ﴿فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ﴾ أي والحال أنه ﴿أَخْرَجَنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَاؤُنَا﴾ أي أخرج أبناؤنا من ديارهم ، لأن العمالة أخرجوا هؤلاء من بلادهم وكانوا بين مصر وفلسطين ﴿فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا﴾ أي أعرضوا عن القتال ﴿إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ فسيجزئهم بتوليهم عن القتال.

﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا﴾ فقد قرر الله أن يكون رجل يسمى بطالوت ملكاً عليهم ﴿قَالُوا أَنَّى﴾ أي كيف ومن أين ﴿يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ﴾ أي والحال ﴿أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ﴾ أي من طالوت ، فقد تكبروا أن يملكهم طالوت ، ﴿وَقَالُوا﴾ لم يؤت ﴿طَالُوتُ سِعَةً مِنَ الْمَالِ﴾ فلا ثروة له ﴿قَالَ﴾ النبي ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ﴾ اختاره للملوكية ﴿عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً﴾ اتساعاً ﴿فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ﴾ فجسمه كبير يوجب إلقاء الهيبة في نفس الناظر ﴿وَاللَّهُ يُؤْتِي مَلَكُهُ مِنْ يَشَاءُ﴾ فليست المالكية باختياركم لتقولوا نحن أحق منه ﴿وَاللَّهُ وَاسِعٌ﴾ الفضل يتفضل على من يشاء ﴿عَلِيمٌ﴾.

﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ﴾ أي علامة أن الله جعله ملكاً عليكم ﴿أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ﴾ وهو الذي أنزله الله على أم موسى عليها السلام فوضعت فيه وألقته في اليم ، وقد كان عند بني إسرائيل ينتصرون بسببه على أعدائهم ، فلما استهانوا به رفعه الله من بينهم فذلوا ﴿فِيهِ سَكِينَةٌ﴾ إذ رجوع التابوت إليهم يوجب سكون خاطرهم ﴿مِنْ رَبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَى وَآلُ هَارُونَ﴾ أي فيه ألواح موسى عليها السلام وآثار الأنبياء عليهم السلام ، وهارون هو أخو موسى عليه السلام ﴿تَحْمِلُهُ﴾ أي التابوت ﴿الْمَلَائِكَةُ﴾ فقد رأوا التابوت بيد الملائكة بين السماء والأرض ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ أي رجوع التابوت ﴿لَايَةً لَكُمْ﴾ علامة لاختيار الله طالوت ملكاً عليكم ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ مهتدين.

﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ﴾ أي انفصل طالوت بجنوده عن المدينة لأجل محاربة العمالة ، وصلوا إلى نهر وهم عطاشى ﴿قَالَ﴾ طالوت ﴿إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ﴾ مختبركم ﴿بِنَهَرٍ﴾ من الماء ﴿فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي﴾ فإن من لا يصبر على العطش لا يصبر

على حر السهام والسيوف ﴿وَمَنْ لَمْ يَطْعَمَهُ﴾ أي لم يشرب منه ﴿فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنْ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ﴾ أي إلا إذا شرب بقدر كفه، فإنه مني، وهذا استثناء من (ليس مني) ﴿فَشَرِبُوا مِنْهُ﴾ شرباً منهياً عنه ﴿إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ﴾ وكان عددهم ثلاثمائة وثلاثة عشر ﴿فَلَمَّا جَاوَزَهُ﴾ أي جاوز النهر إلى طرف الأعداء ﴿هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا﴾ أي القليل الباقيون معه ﴿لَا طَاقَةَ﴾ أي لا قوة ﴿لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ﴾ هو رئيس الكفار ﴿وَجُنُودِهِ﴾ لقوة الكفار وكثرتهم ﴿قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ﴾ أي يعلمون ﴿أَنَّهُمْ مُلَاقُوا اللَّهِ﴾ أي ملاقوا جزائه وثوابه في الآخرة ﴿كَمْ﴾ للتكثير ﴿مِنْ فِتْنَةٍ﴾ أي جماعة ﴿قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِتْنَتَهُ كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ ومشيتته، فمن الممكن أن نغلب نحن على قتلنا هؤلاء الكفار الكثيرين ﴿وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾.

﴿وَلَمَّا بَرَزُوا﴾ أي ظهر المؤمنون في ساحة الميدان ﴿لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا﴾ أي المؤمنون ﴿رَبَّنَا أَفْرِغْ﴾ أي اصبب ﴿عَلَيْنَا صَبْرًا﴾ أي ألهمنا الصبر ﴿وَوَثِّبْ أَقْدَامَنَا﴾ حتى لا نزل ﴿وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾.

﴿فَهَزَمُوهُمْ﴾ هزم المؤمنون الكافرين ﴿بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُدُ﴾ النبي الذي كان في جيش طالوت ﴿جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ﴾ أي أعطى الله داود ﴿الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ﴾ أي السلطة والنبوة ﴿وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ﴾ من العلوم ﴿وَلَوْ لَّا دَفَعُ اللَّهُ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ﴾ بأن دفع الكفار بسبب المؤمنين ﴿لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ﴾ لأن الكفار يفسدون في الأرض ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ فيدفع الكافرين حتى لا يفسدوا.

﴿بَلِّغْ﴾ التي ذكرناه من القصص والأحكام ﴿آيَاتِ اللَّهِ نَتْلُوهَا﴾ نقرأها ﴿عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾^(١).

عيسى عليه السلام وبنو إسرائيل

قال الله تعالى: ﴿وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلَقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّكُمْ إِن كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾^(١).

هذه الآية إشارة إلى قصة عيسى عليه السلام مع بني إسرائيل فقال تعالى: ﴿وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ﴾ أي: بدلالة وحجة ﴿مِنْ رَبِّكُمْ﴾ دالة على نبوتي. ﴿أَنِّي أَخْلَقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ﴾ أي أني أقدر لكم وأصور لكم من الطين مثل صورة الطير ﴿فَأَنْفُخُ فِيهِ﴾ أي: في الطير المقدر من الطين. وقال في موضع آخر: ﴿فِيهَا﴾^(٢) أي: في الهيئة المقدرة ﴿فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ وقدرته. وقيل: بأمر الله تعالى، وإنما وصل قوله: ﴿بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ بقوله: ﴿فَيَكُونُ طَيْرًا﴾ دون ما قبله؛ لأن تصور الطين على هيئة الطير والنفخ فيه مما يدخل تحت مقدور العباد. فأما جعل الطين طيراً حتى يكون لحماً ودماً وخلق الحياة فيه فمما لا يقدر عليه غير الله.

أقول: أو من أذن له الله عز وجل بذلك فيكون منه تعالى أيضاً.

فقال: ﴿بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ ليعلم أنه من فعله تعالى وليس بفعل عيسى عليه السلام - أي

مستقلاً..

وفي التفسير أنه صنع من الطين كهية الخفاش ونفخ فيه فصار طائراً. ﴿وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ﴾ أي: الذي ولد أعمى، وقيل: هو الأعمى. ﴿وَالْأَبْرَصَ﴾ الذي به وضح. روي أنه ربما اجتمع على عيسى عليه السلام من المرضى في اليوم خمسون ألفاً من أطاق

(١) سورة آل عمران: ٤٩.

(٢) سورة المائدة: ١١٠.

منهم أن يبلغه بلغه ، ومن لم يطق أتااه عيسى عليه السلام يمشي إليه ، وإنما كان يداويهم بالدعاء على شرط الإيمان. ﴿وَأُحْيِيَ الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ فكان الله تعالى يحيي الموتى عند دعائه.

أقول : نسبة الإحياء إلى عيسى عليه السلام كنسبته إلى عزرائيل عليه السلام فإن كل ذلك بإذن الله تعالى وإرادته ولم يكن من عيسى عليه السلام على نحو الاستقلال كما هو واضح.

قيل : إنه أحيأ أربعة أنفس : عازر وكان صديقاً له ، وكان قد مات منذ ثلاثة أيام فقال لأخته : انطلقى بنا إلى قبره. ثم قال : اللهم رب السماوات السبع ورب الأرضين السبع إنك أرسلتني إلى بني إسرائيل أدعوهم إلى دينك وأخبرهم بأنني أحيي الموتى فأحي عازر. فخرج من قبره وبقي وولد له. وابن العجوز مر به ميتاً على سريره فدعا الله عيسى عليه السلام فجلس على سريره ونزل عن أعناق الرجال ، ولبس ثيابه ورجع إلى أهله ، وبقي وولد له. وابنة العاشر قيل له : أتحيتها وقد ماتت أمس؟! فدعا الله فعاشت وبقيت وولدت. وسام بن نوح دعا عليه باسم الله الأعظم فخرج من قبره وقد شاب نصف رأسه. فقال : قد قامت القيامة؟! قال : لا ، ولكني دعوتك باسم الله الأعظم. قال : ولم يكونوا يشيرون في ذلك الزمان ؛ لأن سام بن نوح قد عاش خمسمائة سنة وهو شاب. ثم قال له : مت. قال : بشرط أن يعيذني الله من سكرات الموت. فدعا الله ففعل. قيل : كان يحيي الأموات بـ (يا حي يا قوم). وإنما خص عيسى عليه السلام بهذه المعجزات ؛ لأن الغالب كان في زمانه الطب ، فأراهم الله الآيات من جنس ما هم عليه ، لتكون المعجزة أظهر ، كما أن الغالب لما كان في زمن موسى عليه السلام السحر ، أتاهم من جنس ذلك بما أعجزهم عن الإتيان بمثله ، وكان الغالب في زمان نبينا ﷺ البيان والبلاغة والفصاحة ، فأراهم الله تعالى المعجزة بالقرآن الذي بهرهم ما فيه من عجائب النظم وغرائب البيان ، ليكون أبلغ في باب الإعجاز بأن يأتي كلاً من أمم الأنبياء بمثل ما هم عليه ، ويعجزون عن الإتيان بمثله. إذ لو أتاهم بما لا يعرفونه لكان يجوز أن يخطر ببالهم أن ذلك مقدور للبشر ، غير أنهم لا يهتدون إليه. ﴿وَأَنْبِئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدْخُرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ﴾ أي : أخبركم بالذي تأكلونه وتدخرونه ، كأن

يقول للرجل: تغديت بكذا وكذا، ورفعت إلى الليل كذا وكذا. ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ أي: فيما ذكرت لكم ﴿لَايَةً﴾ أي: حجة ومعجزة ودلالة ﴿لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ بالله إذ كان لا يصح العلم بمدلول المعجزة إلا لمن آمن بالله؛ لأن العلم بالمرسل لابد أن يكون قبل العلم بالرسول. وفي الآية دلالة على أن عيسى عليه السلام كان مبعوثاً إلى جميع بني إسرائيل. وقوله: ﴿أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ﴾ يدل على أن العبد يحدث ويفعل ويخلق خلافاً لقول المجبرة لكن الخالق على الإطلاق هو الله تعالى^(١).

وذكرنا في تفسير التبيين:

﴿و﴾ يرسله ﴿رَسُولاً إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ معجزة دالة على صدقي، وهذا كلام عيسى عليه السلام ﴿أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ﴾ مثل صورة الطائر ﴿فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ﴾ أشفي ﴿الْأَكْمَهَ﴾ الذي ولد أعمى ﴿وَالْأَبْرَصَ﴾ الذي تغير لون جلده فظهرت بقع بيضاء ﴿وَأُحْيِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ﴾ تجعلونه ذخيرة ﴿فِي بُيُوتِكُمْ إِنْ فِي ذَلِكَ﴾ الذي ذكرت من الآيات ﴿لَايَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ مصدقين بالمعجزات، أي في صدد تصديق الحق، مقابل المعاند.

﴿وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ﴾ أي ما تقدم علي من الكتاب السماوي ﴿مِنَ التَّوْرَةِ وَلِأَحْلَ﴾ عطف على (مصدقاً) ﴿لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ﴾ في شريعة موسى عليه السلام ﴿وَجِئْتُكُمْ بِآيَةٍ﴾ تأكيد لما تقدم ﴿مَنْ رَبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا﴾^(٢).

(١) راجع تفسير مجمع البيان: ج ٢ ص ٢٩٨ - ٣٠٠ سورة آل عمران.

(٢) تبيين القرآن: سورة آل عمران الآية ٤٩ - ٥٠، ص ٦٧.

لحم الإبل

قال الله تعالى: ﴿كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلالًا لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ التَّوْرَةُ قُلْ فَاتُوا بِالْتَّوْرَةِ فَاتْلُوهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾^(١).

كان سبب نزول هذه الآية أن اليهود أنكروا تحليل النبي ﷺ لحوم الإبل، فبين الله أنها كانت محللة لإبراهيم عليه السلام وولده إلى أن حرّمها إسرائيل على نفسه وهو يعقوب عليه السلام، نذر إن برأ من النسا أن يحرم أحب الطعام والشراب إليه وهي لحوم الإبل وألبانها، فلما برأ وفى بنذره، فحاجهم النبي ﷺ بالتوراة فلم يجسروا أن يحضروها لعلمهم بصدق محمد ﷺ^(٢).

وذكرنا في التبيين:

﴿كُلُّ الطَّعَامِ﴾ المأكولات ﴿كَانَ حِلالًا﴾ أي حلالاً ﴿لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ أي بني يعقوب ﴿إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ﴾ فانه حرم أكل لحم الإبل على نفسه ﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ التَّوْرَةُ﴾ والتوراة إنما حرم بعض الأشياء على بني إسرائيل لظلمهم وبغيهم، وعليه فالأطعمة الطيبة حلال على المسلمين لأنهم لم يظلموا كما ظلم اليهود أنفسهم فحرم الله عليهم بعض الطيبات عقوبة لهم ﴿قُلْ فَاتُوا بِالْتَّوْرَةِ فَاتْلُوهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ في دعواكم أن التحريم كان قديماً على نزول التوراة فإنه لا يشير التوراة إلى قدم التحريم.

﴿فَمَنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ﴾ بأن قال إن الله حرم بعض الطيبات من القديم وقبل نزول التوراة ﴿مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾ أي قيام الحجة ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ لأنفسهم لأنهم يأتون بالباطل وهم يعلمون بطلان كلامهم.

(١) سورة آل عمران: ٩٣.

(٢) فقه القرآن، للقطب الراوندي: ج ٢ ص ٢٧٥ باب الأطعمة المحظورة.

﴿قُلْ صَدَقَ اللَّهُ﴾ في أن هذه الطيبات كانت حلالاً من القديم ﴿فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ﴾ أي طريقة ﴿إِبْرَاهِيمَ﴾ وهي حلية الطيبات ﴿حَنِيفاً﴾ أي في حال كون إبراهيم عليه السلام مائلاً عن الشرك ﴿وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ فإن أهل الكتاب كانوا يقولون إن إبراهيم عليه السلام على دينهم الذي هو الشرك^(١).

٢٩

لكنهم كفروا

قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيباً وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾^(٢).

قوله تعالى: ﴿مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ أي عهدهم المؤكد باليمين بإخلاص العبادة له والإيمان برسله وما يأتون به من الشرائع ﴿وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيباً﴾ أي أمرنا موسى عليه السلام بأن يبعث من الأسباط الاثني عشر اثني عشر رجلاً كالطلائع يتجسسون ويأتون بني إسرائيل بأخبار أرض الشام وأهلها الجبارين. فاختر من كل سبط رجلاً يكون لهم نقيباً أي أميناً كفيلاً، فرجعوا ينهون قومهم عن قتالهم لما رأوا من شدة بأسهم وعظم خلقهم إلا رجلين منهم: كالب بن يوفنا، ويوشع بن نون. وقيل: معناه أخذنا من كل سبط منهم ضميناً بما عقدنا عليهم من الميثاق في أمر دينهم.

وقيل: معناه اثني عشر رئيساً.

وقيل: شهيداً على قومه.

(١) تبين القرآن: سورة آل عمران الآية ٩٣ - ٩٥، ص ٧٣.

(٢) سورة المائدة: ١٢.

وقيل: يجوز أن يكونوا رسلاً، ويجوز أن يكونوا قادة.

وقيل: بعثوا أنبياء ليقوموا الدين، ويعلموا الأسباط التوراة، ويأمرهم بما فرض الله عليهم، وأمرهم به.

﴿وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ﴾ قيل: إنه خطاب للنقباء. وقيل: خطاب لبني إسرائيل الذين أخذ منهم الميثاق، ويجوز أن يدخل فيهم النقباء، أي: قال الله لهم - فحذف لدلالة الكلام عليه -: إني معكم بالنصر والحفظ أنصركم على عدوي وعدوكم الذين أمرتكم بقتلهم إن قاتلتموهم ووفيتهم بعهدي وميثاقي الذي أخذته عليكم.

ثم ابتداء سبحانه فقال: ﴿لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ﴾ يا معشر بني إسرائيل ﴿وَاتَيْتُمُ الزَّكَاةَ﴾ أي أعطيتموها ﴿وَأَمْتُم بِرُسُلِي﴾ أي صدقتهم بما أتاكم به رسلي من شرائع ديني، وقيل: إنه خطاب للنقباء ﴿وَعَزَّزْتُمُوهُمْ﴾ أي نصرتموهم، وقيل: عظمتموهم ووقرتموهم وأطعتموهم. ﴿وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ أي أنفقتهم في سبيل الله وأعمال البر نفقة حسنة يجازيكم بها، فكأنه قرض من هذا الوجه. وقيل: معنى قوله ﴿حَسَنًا﴾ عفواً عن طيبة نفس وأن لا يتبعه من ولا أذى. وقيل: يعني حلالاً. ﴿لَا تُكْفِرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾ أي لأعطين على ما مضى من إجرامكم بعفوي وإسقاطي عنكم وبإل ذلك ﴿وَلَا دُخِلْنَكُمْ جَنَاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ﴾ أي بعد بعث النقباء وأخذ الميثاق ﴿فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ أي أخطأ قصد الطريق الواضح وزال عن منهاج الحق ^(١).

وبنو إسرائيل نقضوا العهد وكفروا من بعد ذلك فاستحقوا اللعنة الإلهية.

وذكرنا في التبيين:

﴿وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ أي عهدهم الأكيد ﴿وَبَعَثْنَا﴾ أي سلط وأمر عليهم ﴿مِنْهُمْ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا﴾ كفيلاً لكل سبط نقيب ﴿وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ﴾ يا بني إسرائيل بالنصرة لكم ﴿لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَأَمْتُم بِرُسُلِي وَعَزَّزْتُمُوهُمْ﴾ أي نصرتموهم ووقرتموهم ﴿وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ أي أنفقتهم في سبيله إنفاقاً

بدون منّ ولا أذى ولا رياء ﴿لَا كُفْرًا﴾ أَمْحُونَ ﴿عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾ أي معاصيكم ﴿وَلَا دُخْلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا﴾ تحت أشجارها وأبنيتها ﴿الْأَنْهَارُ فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ﴾ الميثاق ﴿مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ أي الطريق السوي الموصل إلى السعادة في الدارين.

﴿فِيمَا﴾ أي بسبب ﴿تَقْضِيهِمْ مِيثَاقَهُمْ﴾ بأن لم يعملوا به ﴿لَعْنَاهُمْ﴾ طردناهم عن رحمتنا ﴿وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً﴾ القسوة خلاف اللين، أي لا يدخل فيها الخير، فإن من يعاند ويستمر في عناده يقسو قلبه ﴿يُحَرِّفُونَ﴾ أي يبدل هؤلاء اليهود ﴿الْكَلِمَ﴾ كلمات الله ﴿عَنْ مَوَاضِعِهِ﴾ بوضع شيء مكان شيء آخر ﴿وَنَسُوا حَظًّا﴾ أي قسماً من التوراة ﴿مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ﴾ مما أنزله الله تعالى تذكيراً لهم فكتابهم أصبح ناقصاً ومحرّفاً ﴿وَلَا تَزَالُ﴾ يا رسول الله ﴿تَطَّلِعُ﴾ وتعلم ﴿عَلَى﴾ نفس ﴿خَائِنَةٍ مِنْهُمْ﴾ من أهل الكتاب ﴿إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ﴾ حيث لا يخونون ﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ﴾ ما داموا على عهدك ﴿وَأَصْفَحْ﴾ أعرض فإن شأن الكبار الإعراض ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾^(١).

٣٠

القصص حياة

قال الله تعالى: ﴿مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ﴾^(٢).

بين الله سبحانه في هذه الآيات التكليف في باب القتل، فقال: ﴿مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ﴾ معناه من جنابة ذلك، وذلك إشارة إلى قتل أحد ابني آدم أخاه ظلماً. ﴿كَتَبْنَا عَلَى بَنِي

(١) تبيين القرآن: سورة المائدة الآية ١٢ - ١٣، ص ١٢١.

(٢) سورة المائدة: ٣٢.

إِسْرَائِيلَ» أي: حكمنا عليهم وفرضنا ﴿أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا﴾ أي من قتل منهم نفساً ظلماً ﴿بِغَيْرِ نَفْسٍ﴾ أي بغير قود. ﴿أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ﴾ أو من قتل منهم نفساً بغير فساد كان منها في الأرض فاستحققت بذلك قتلها، وفسادها في الأرض إنما يكون بالحرب لله ولرسوله وإخافة السبيل على ما ذكره الله في قوله: ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾^(١) الآية ﴿فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾ قيل في تأويله أقوال:

أحدها: إن معناه هو أن الناس كلهم خصماؤه في قتل ذلك الإنسان، وقد وترهم وتر من قصد لقتلهم جميعاً، فأوصل إليهم من المكر وما يشبه القتل الذي أوصله إلى المقتول فكأنه قتلهم كلهم. ومن استنقذها من غرق أو حرق أو هدم أو ما يميت لا محالة أو استنقذها من ضلال فكأنما أحيا الناس جميعاً، أي أجره على الله أجر من أحياهم جميعاً؛ لأنه في إسدائه المعروف إليهم بإحيائه أخاهم المؤمن بمنزلة من أحيا كل واحد منهم، وهذا المعنى مروى عن أبي عبد الله عليه السلام - ثم قال -: «وأفضل من ذلك أن يخرجها من ضلال إلى هدى».

وثانيها: إن معناه من قتل نبياً أو إمام عدل فكأنما قتل الناس جميعاً، أي يعذب عليه كما لو قتل الناس كلهم، ومن شد على عضد نبي أو إمام عدل فكأنما أحيا الناس جميعاً في استحقاق الثواب.

وثالثها: إن معناه من قتل نفساً بغير حق فعليه مأثم كل قاتل من الناس؛ لأنه سن القتل وسهله لغيره فكان بمنزلة المشارك فيه، ومن زجر عن قتلها بما فيه حياتها على وجه يقتدى به فيه بأن يعظم تحريم قتلها كما حرمه الله فلم يقدم على قتلها لذلك فقد أحيا الناس بسلامتهم منه فذلك إحياءه إياها. ويؤيده قوله عليه السلام: «من سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة، ومن سن سنة سيئة فله وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة».

ورابعها: إن المراد فكأنما قتل الناس جميعاً عند المقتول، ومن أحيائها فكأنما أحياء الناس جميعاً عند المستنقذ.

وخامسها: إن معناه يجب عليه من القصاص بقتلها مثل الذي يجب عليه لو قتل الناس جميعاً، ومن عفا عن دمها وقد وجب القود عليها كان كما لو عفا عن الناس جميعاً.

والله سبحانه هو المحيي للخلق لا يقدر على خلق الحياة غيره، وإنما قال ﴿أَحْيَاهَا﴾ على سبيل المجاز كما حكاه عن عمرو أنه قال: ﴿أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ﴾^(١) فاستبقي واحداً وقتل الآخر.

وقوله ﴿وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ﴾ معناه: ولقد أتت بني إسرائيل الذي ذكرنا قصصهم وأخبارهم رسلنا بالبينات الواضحة والمعجزات الدالة على صدقهم وصحة نبوتهم ﴿ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ﴾ من بني إسرائيل ﴿بَعَدَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ﴾ أي مجاوزون حد الحق بالشرك وبالقتل. بل في كل مجاوز عن حق، ويؤيده ما روي عن أبي جعفر عليه السلام: «المسرفون: هم الذين يستحلون المحارم ويسفكون الدماء»^(٢).

وذكرنا في التبيين:

﴿مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ﴾ أي: من ابتداء قتل قابيل، فإن هذا الحكم شرع من ذلك الوقت ﴿كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ فإن هذا الحكم ثبت لليهود أيضاً ﴿أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ﴾ بدون أن كان المقتول قتل إنساناً حتى يكون القتل قصاصاً ﴿أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ﴾ أي: بدون أن يكون القتل لفساد المقتول في الأرض ﴿فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا﴾ لأن القتل جريمة، سواء تعلقت بالواحد أو الكثير كالماء قطرته مثل بحره في أنه ماء، وهذا لبيان تعظيم هذه الجريمة ﴿وَمَنْ أَحْيَاهَا﴾ بالنسل أو الهداية أو الخلاص من الموت ﴿فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ﴾ أي بني إسرائيل ﴿رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ﴾

(١) سورة البقرة: ٢٥٨.

(٢) تفسير مجمع البيان: ج ٣ ص ٣٢١ - ٣٢٣ سورة المائدة.

الأدلة الواضحات ﴿ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ﴾ الحكم ومحجىء الرسل ﴿فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ﴾ يقتلون ويكفرون^(١).

٣١

قتلهم للرسل

قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَارْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رَسُولًا كُلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ﴾^(٢).

قوله تعالى ﴿مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ أي الإيمان المؤكدة التي أخذها أنبياءهم عليهم في الإيمان بمحمد والإقرار به. وقيل: أخذ ميثاقهم على الإخلاص في التوحيد، والعمل بما أمر به، والانتفاء عما نهى عنه، والتصديق برسله، والبشارة بمحمد ﷺ. ووجه الاحتجاج عليهم بذلك وإن كان أخذ الميثاق على آبائهم أنهم عرفوا ذلك في كتبهم وأقروا بصحته، فالحجة لازمة لهم وعتب المخالفة يلحقهم كما يلحق آباءهم.

﴿بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُهُمْ﴾ أي بما لا تهوى أنفسهم، أي بما لا يوافق مرادهم ﴿فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ﴾ أي كذبوا طائفة وقتلوا طائفة. فإن قيل: لم عطف المستقبل على الماضي؟ فجوابه ليدل على أن ذلك من شأنهم، ففيه معنى كذبوا وقتلوا ويكذبون ويقتلون، مع أن قوله: ﴿يَقْتُلُونَ﴾ فاصلة يجب أن يكون موافقاً لرؤوس الآي. ويمكن أن يقال: التقدير فيه فريقاً كذبوا لم يقتلوه وفريقاً كذبوا يقتلون، فيكون ﴿يَقْتُلُونَ﴾ صفة للفريق ولم يكن فيه عطف المستقبل على الماضي.

وعلى الجواب الأول لم يكن كذبوا ويقتلون صفة للفريق؛ لأن التقدير كذبوا فريقاً ويقتلون فريقاً^(٣).

(١) تبين القرآن: سورة المائدة الآية ٣٢، ص ١٢٥.

(٢) سورة المائدة: ٧٠.

(٣) راجع تفسير مجمع البيان: ج ٣ ص ٣٨٨ - ٣٨٩ سورة المائدة.

وذكرنا في التبيين :

﴿لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَآئِيلَ﴾ عهدهم الأكيد ﴿وَأَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ رُسُلًا﴾ كثيرين ﴿كُلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُهُمْ﴾ بأحكام تخالف أهواءهم وشهواتهم ﴿فَرِيقًا﴾ جواب (كلما) أي جماعة من الرسل ﴿كَذَّبُوا﴾ كذبهم اليهود، كالمسيح ﷺ ﴿وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ﴾ كيحيى وزكريا ؑ.

﴿وَحَسِبُوا﴾ أي زعم هؤلاء اليهود ﴿أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةً﴾ أي لا يصيبهم بلاء وعذاب بسبب أعمالهم ﴿فَعَمُوا﴾ عن الحق فلم يروه ﴿وَصَمُّوا﴾ عن سماع الحق، ولذا ارتكبوا ما ارتكبوا والمعنى : حسبوا فعموا وصموا فارتكبوا ما ارتكبوا ﴿ثُمَّ﴾ تابوا عن أعمالهم السابقة ف ﴿تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ قبل توبتهم، ومن المعلوم أن المراد قبول توبة من لم يكن قتل الأنبياء ﷺ وما أشبه ﴿ثُمَّ عَمُوا وَصَمُّوا كَثِيرٌ مِنْهُمْ﴾ من اليهود إذ خالفوا أحكام الله ثانياً ﴿وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ فيجازيهم بها^(١).

٣٢

من يشرك بالله

قال الله تعالى : ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَآئِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾^(٢).

إن بعضاً من بني إسرائيل ﴿قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾ وهذا مذهب يعقوبية منهم ؛ لأنهم قالوا : إن الله اتحد بالمسيح اتحاد الذات فصارا شيئاً واحداً وصار الناسوت لاهوتاً، وذلك قولهم إنه الإله. ﴿وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَآئِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ﴾ أي : خالقي وخالقكم، ومالكي ومالككم، وإني وإياكم عبده.

(١) تبيين القرآن : سورة المائدة الآية ٧٠ - ٧١، ص ١٣١ - ١٣٢.

(٢) سورة المائدة : ٧٢.

﴿إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ﴾ أي: بأن يزعم أن غيره يستحق العبادة مع ما ثبت أنه لا يقدر أحد على فعل ما يستحق به العبادة سوى الله تعالى. ﴿فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ﴾ والتحريم ها هنا تحريم منع لا تحريم عبادة ومعناه فإن الله يمنعه الجنة. ﴿وَمَا وَاوَاهُ﴾ أي مصيره ﴿النَّارُ﴾ وهذا كله إخبار من المسيح لقومه. ﴿وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ معناه لاناصر لهم يخلصهم مما هم فيه من أنواع العذاب^(١).

وذكرنا في التبيين: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ﴾ هم النصارى ﴿قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾ فإن اعتقادهم بالتثليث معناه اعتقادهم بأن المسيح هو الله، أو هم جماعة اعتقدوا بالوهية المسيح فقط ﴿وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ﴾ ولا تعبدوني، هو ﴿رَبِّي﴾ فأنا عبد له ﴿وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ﴾ فلا يدخلها ﴿وَمَا وَاوَاهُ﴾ محله ﴿النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ﴾ الذين ظلموا أنفسهم بالشرك ﴿مِنْ أَنْصَارٍ﴾ ينصرهم من عذاب الله.

﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَلَاثُ ثَلَاثَةٍ﴾ أي ثالث آلهة هم ثلاثة: الله والمسيح ومريم ﴿وَ﴾ الحال أنه ﴿مَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهُ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا﴾ يرجعوا ويتوبوا ﴿عَمَّا يَقُولُونَ﴾ من التثليث ﴿لَيَمَسَنَّ﴾ أي يصيبهم ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ﴾ وإنما لم يقل: ليمسهم، تنبيهاً على أن العذاب على من دام على الكفر ﴿عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ مؤلم. ﴿أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ﴾ بأن ينتهوا عن تلك العقائد الباطلة ﴿وَيَسْتَغْفِرُونَهُ﴾ يطلبون غفرانه ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

﴿مَا﴾ أي ليس ﴿الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ﴾ وليس بإله ﴿قَدْ خَلَتْ﴾ مضت ﴿مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾ فحاله حالهم ﴿وَأُمُّهُ﴾ مريم ﴿صَدِيقَةٌ﴾ صدقت بالله وورسله، كسائر الصديقات، وليست بإلهة ﴿كَأَنَّا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ﴾ ومن أكل الطعام ليس إلهاً ﴿انْظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ﴾ الأدلة الدالة على عدم ألوهيتهما ﴿ثُمَّ انْظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ أي يصرفون عن إتباع الحق^(٢).

(١) تفسير مجمع البيان: ج ٣ ص ٣٩١ سورة المائدة.

(٢) تبيين القرآن: سورة المائدة الآية ٧٢ - ٧٥، ص ١٣٢.

٣٣

إنهم ملعونون

قال الله تعالى: ﴿لَعْنُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾^(١).

عن أبي عبد الله عليه السلام، في قوله تعالى جلّ ذكره: ﴿لَعْنُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ﴾. فقال عليه السلام: «الخنازير على لسان داود عليه السلام، والقردة على لسان عيسى عليه السلام. وقال - إن اليهود أمروا بالإمساك يوم الجمعة فتركوا وأمسكوا يوم السبت فحرم عليهم الصيد يوم السبت، فعمد رجال من سفهاء القرية فأخذوا من الحيتان ليلة السبت وباعوا و لم تنزل بهم عقوبة، فاستبشروا وفعلوا ذلك سنين فوعظهم الله طوائف فلم يسمعوا، وقالوا: ﴿لِمَ تَعْظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ﴾»^(٢) فأصبحوا ﴿قِرْدَةً خَاسِئِينَ﴾»^(٣)،^(٤).

وذكرنا في التبيين: ﴿لَعْنُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ﴾ لعنهم داود عليه السلام حين اعتدوا في السبت فمسخوا قردة ﴿و﴾ على لسان ﴿عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ﴾ حين كفروا بعد نزول المائدة فمسخوا خنازير ﴿ذَلِكَ﴾ اللعن ﴿بِمَا عَصَوْا﴾ أي بسبب عصيان اليهود ﴿وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ أي بسبب اعتدائهم وتعديهم.

﴿كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ﴾ لم يكن ينهى بعضهم بعضاً عن المنكرات ﴿لَيْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ في عدم تناهيهم عن المنكر^(٥).

(١) سورة المائدة: ٧٨.

(٢) سورة الأعراف: ١٦٤.

(٣) سورة الأعراف: ١٦٦.

(٤) قصص الأنبياء، للراوندي: ج ٢٠٦ - ٢٠٧ ب ١١ ف ٥ ح ٢٦٩.

(٥) تبيين القرآن: سورة المائدة الآية ٧٨ - ٧٩، ص ١٣٣.

٣٤

اتهام عيسى عليه السلام بالسحر

قال الله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدْتُكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنْفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَتَبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِي وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنْكَ إِذْ جِئْتَهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ^(١)﴾.

كان الكفرة من بني إسرائيل يتهمون الأنبياء عليه السلام بالسحر، فإنه لما بعث عيسى عليه السلام وجاء بالآيات والبيّنات، لم يؤمنوا به وقالوا: ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾.

قوله تعالى: ﴿إِذْ أَيَّدْتُكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾ هو جبرائيل عليه السلام ﴿تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا﴾ أي في حال ما كنت صبيّاً في المهد وفي حال ما كنت كهلاً، وقيل: المهد حجر أمه. ﴿وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ﴾ قيل: الكتابة يعني الخط ﴿وَالْحِكْمَةَ﴾ أي العلم والشريعة. وقيل: أراد الكتب فيكون الكتاب اسم جنس، ثم فصله بذكر التوراة والإنجيل، فقال: ﴿وَالْتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي﴾ أي واذكر ذلك أيضاً إذ تصور الطين كهية الطير الذي تريد، أي كخلقته وصورته، وسماء خلقاً؛ لأنه كان يقدره. وقوله: ﴿بِإِذْنِي﴾ أي تفعل ذلك بإذني وأمري ﴿فَتَنْفُخُ فِيهَا﴾ أي تنفخ فيها الروح؛ لأن الروح جسم يجوز أن ينفخه المسيح بأمر الله. ﴿فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي﴾ والطير يؤنث ويذكر. فمن أنث فعلى الجمع، ومن ذكر فعلى اللفظ، وواحد الطير: طائر، فيكون مثل ظاعن وظعن، وراكب وركب.

وبين بقوله: ﴿فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي﴾^(٢)، أنه إذا نفخ المسيح فيها الروح قلبها الله

(١) سورة المائدة: ١١٠.

(٢) سورة آل عمران: ٤٩.

لحماً ودماً ويخلق فيها الحياة فصارت طائراً بإذن الله، أي بأمره وإرادته لا بفعل المسيح - مستقلاً - «وتبرئ» أي تصحح «الأكمه» الذي ولد أعمى «والأبرص» من به برص مستحكم «ياذني» أي بأمري، ومعناه أنك تدعوني حتى أبرئ الأكمه والأبرص، ونسب ذلك إلى المسيح لما كان بدعائه وسؤاله. «وإذ تخرج الموتى ياذني» أي أذكر إذ تدعوني فأحيي الموتى عند دعائك وأخرجهم من القبور حتى يشاهدهم الناس أحياء، ونسب ذلك إلى المسيح لما كان بدعائه.

أقول: ولا بأس بنسبة هذه الأمور إليه ﷺ لما كان بإذن الله تعالى، فإنه كنسبة الإنامة إلى عزرائيل عليه السلام.

«وإذ كففت بني إسرائيل عنك» عن قتلك وأذيتك «إذ جثتهم» أي حين جثتهم «بالبينات» مع كفرهم وعنادهم. ويجوز أن يكون تعالى كفهم عنه بألطافه التي لا يقدر عليها غيره، ويجوز أن يكون كفهم بالمنع والقهر كما منع من أراد قتل نبينا ﷺ. ومعنى «جثتهم بالبينات» أثبتهم بالحجج والمعجزات «فقال الذين كفروا» وجحدوا نبوتك «منهم» أي من بني إسرائيل «إن هذا إلا سحر مبين» يعنون به عيسى و«سحر مبين» يعني به أن ما جاء به سحر ظاهر واضح^(١).

وذكرنا في التبيين:

واذكر يا محمد ﷺ «إذ قال الله يا عيسى ابن مريم اذكر نعمتي عليك وعلى والدتك إذ أيدتك قوتك «بروح القدس» بروح طاهرة «تكلّم الناس في المهد» حيث لا يتكلم في هذا العمر صبي، وذلك إعجاز منه ﷺ «وكهلاً» في حال كونك كبيراً تكلمهم بالإعجاز والنبوة «وإذ علمت الكتاب» جنس الكتب السماوية «والحكمة» الشريعة «والتوراة والإنجيل وإذ تخلق» تصنع «من الطين كهية الطير ياذني» أي تفعل ذلك بإذن الله، ولعله إشارة إلى عدم جواز صنع المجسمة بغير إذن الله^(٢)، «فتنفخ فيها» الروح «فتكون طيراً» حياً «ياذني وتبرئ» تشفي «الأكمه»

(١) تفسير مجمع البيان: ج ٣ ص ٤٤٨ - ٤٥٠ سورة المائدة.

(٢) كما لو كانت للعبادة.

الأعمى ﴿وَالْأَبْرَصَ﴾ الذي لا علاج له ﴿يَاذَنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَى﴾ من قبورهم بأن يحييهم ﴿يَاذَنِي وَإِذْ كَفَفْتُ﴾ أي منعت أن يصلوا إليك بسوء ﴿بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنْكَ إِذْ جِئْتَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ﴾ بالأدلة الواضحة ﴿فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ﴾ وهم اليهود الذين لم يأمِنوا بالمسيح عليه السلام ﴿إِنْ هَذَا﴾ أي: ما هذا الذي أتيت بالإعجاز ﴿إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾ أي واضح^(١).

٣٥

أرسل بني إسرائيل

قال الله تعالى: ﴿حَقِيقٌ عَلَى أَنْ لَا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ قَدْ جِئْتُكُمْ بَيِّنَةً مِنْ رَبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾^(٢).

قيل: معناه حقيق على ترك القول على الله إلا الحق.

وقيل: أنا حقيق على قول الحق أي واجب على قول الحق أن أكون أنا قائله والقائم به ولا يرضى إلا مثلي ناطقاً به، ومنه قول العرب: فلان يدعيه العلم بالطرق فوق ما يدعي هو العلم بها.

وقيل: معناه حقيق بأن لا أقول على الله إلا الحق، فيكون (على) بمعنى الباء، كما تقول رميت السهم على القوس وبالقوس، وجاءني فلان على حالة حسنة، وبجالة حسنة.

وقيل: معناه حريص على أن لا أقول على الله إلا الحق وما فرضه علي من الرسالة.

﴿قَدْ جِئْتُكُمْ بَيِّنَةً﴾ أي بحجة ومعجزة ﴿مِنْ رَبِّكُمْ﴾ أي أعطانيها ربكم ﴿فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ أي فأطلق بني إسرائيل من عقال التسخير وخلصهم يرجعوا إلى

(١) تبين القرآن: سورة المائدة الآية ١١٠، ص ١٣٨.

(٢) سورة الأعراف: ١٠٥.

الأرض المقدسة؛ وذلك أن فرعون والقبط كانوا قد استعبدوا بني إسرائيل واعتقلوهم للاستخدام في الأعمال الشاقة، مثل: بناء المنازل، وحمل الماء، ونقل التراب، وما أشبه ذلك^(١).

وذكرنا في التبيين:

﴿حَقِيقٌ﴾ أي أنا جدير ﴿عَلَى أَنْ لَا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ﴾ لأن الرسل لا يقولوا إلا الحق ﴿قَدْ جِئْتُكُمْ بَيِّنَةً﴾ هي معاجز موسى ﷺ ﴿مِنْ رَبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ فإن فرعون كان استعبدهم من وطن آبائهم وهي فلسطين مكان إبراهيم وإسحاق ويعقوب ﷺ فطلب موسى ﷺ أن يطلق فرعون سراحهم حتى يرجع بهم إلى الأرض المقدسة^(٢).

وهكذا جاء موسى ومعه هارون ﷺ إلى فرعون لينصحا له وليترك بني إسرائيل حتى يأخذهم موسى ﷺ ويخلصهم من ظلم فرعون.. لكنه أبى واستكبر... ﴿وَقَالَ الْمَلَأُ الْأَشْرَافُ﴾ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَدْرُ ﴿مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ﴾ بدعوتهم إلى مخالفتك ﴿وَيَذَرَكَ﴾ أي يتركك ولا يعتني بك ﴿وَالِهَتَكَ﴾ فإنهم كانوا يعبدون الأصنام بالإضافة إلى عبادة فرعون ﴿قَالَ سَنَقْتُلُ أَبْنَاءَهُمْ﴾ حتى لا يكبروا وينضموا إلى موسى ﷺ ﴿وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ﴾ أي نبقين أحياء ﴿وَأَنَا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ﴾ مجبرهم على ما نريد.

﴿قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ﴾ لما سمعوا تهديد فرعون ﴿اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا﴾ على أذاه ﴿إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ فيه تلميح إلى أنكم ترثون الأرض ﴿وَالْعَاقِبَةُ﴾ المحمودة ﴿لِلْمُتَّقِينَ﴾ الذين يتجنبون الكفر والمعاصي.

﴿قَالُوا﴾ أي بنو إسرائيل ﴿أَوْزَيْنَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا﴾ بقتل أبنائنا واستحياء نساتنا ﴿وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا﴾ بإعادة فرعون قتل الأبناء واستحياء النساء ﴿قَالَ﴾ موسى ﴿عَسَى﴾ أي نرجو ﴿رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ﴾ فرعون ﴿وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ﴾

(١) تفسير مجمع البيان: ج ٤ ص ٣٢٢.

(٢) تبيين القرآن: سورة الأعراف الآية ١٠٥، ص ١٧٦.

بأن يجعلكم خلفاء له ﴿فَيَنْظُرُ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ خيراً أم شراً، وهذا إنذار لهم بأن يعملوا صالحاً عند استخلافهم.

﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ﴾ القحط والجذب ﴿وَنَقَصٍ مِنَ الثَّمَرَاتِ﴾ بتسليط الدود على الثمار حتى نقصت عن معتادها ﴿لَعَلَّهُمْ يَذْكُرُونَ﴾ يتعظون^(١).

إلى أن قال تعالى: ﴿فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾ أي من فرعون وقومه ﴿فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ﴾ في البحر ﴿بَأَنَّهُمْ﴾ أي بسبب أنهم ﴿كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ﴾ لا يعلمون بها كالغافل.

﴿وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ﴾ بني إسرائيل ﴿الَّذِينَ كَانُوا يَسْتَزِعِفُونَ﴾ أي يعدونهم ضعفاء، بالاستعباد والإذلال ﴿مَشَارِقِ الْأَرْضِ وَمَغَارِبِهَا﴾ أي شرق مصر وغربها بمعنى جميع نواحي البلاد ﴿الَّتِي بَارَكْنَا﴾ بالثمار وكثرة الأنبياء ﴿فِيهَا﴾ في تلك الأراضي ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَى﴾ أي الكلمة الحسنة ﴿عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ فإن الله وعدهم الخير إن آمنوا وبقوا على إيمانهم ﴿بِمَا صَبَرُوا﴾ بسبب صبرهم ﴿وَدَمَرْنَا﴾ أهلكنا ﴿مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ﴾ من الأبنية والعمارات ﴿وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ﴾ من الجنات ذات العرائش^(٢).

(١) تبيين القرآن: سورة الأعراف الآية ١٢٧ - ١٣٠، ص ١٧٧.

(٢) تبيين القرآن: سورة الأعراف الآية ١٣٦ - ١٣٧، ص ١٧٨.

٣٦

قصة الرجز

قال الله تعالى: ﴿وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ قَالُوا يَا مُوسَى ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ لَئِنْ كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾^(١).

إنه لما سجد السحرة ومن آمن به من الناس لله عز وجل. قال هامان لفرعون: إن الناس قد آمنوا بموسى فانظر من دخل في دينه فاحبسه. فحبس كل من آمن به من بني إسرائيل، فجاء إليه موسى فقال له: «خل عن بني إسرائيل». فلم يفعل، فأنزل الله عليهم في تلك السنة الطوفان فحرب دورهم ومساكنهم حتى خرجوا إلى البرية وضرَبوا الخيام.

فقال فرعون لموسى: ادع ربك حتى يكف عنا الطوفان حتى أخلي عن بني إسرائيل وأصحابك.

فدعا موسى ﷺ ربه فكف عنهم الطوفان، وهم فرعون أن يخلي عن بني إسرائيل فقال له هامان: إن خلت عن بني إسرائيل غلبك موسى وأزال ملكك. فقبل منه ولم يخل عن بني إسرائيل، فأنزل الله عليهم في السنة الثانية الجراد فجردت كل شيء كان لهم من النبت والشجر حتى كانت تجرد شعرهم ولحياتهم.

فجزع فرعون من ذلك جزعا شديداً وقال: يا موسى، ادع ربك أن يكف عنا الجراد حتى أخلي عن بني إسرائيل وأصحابك. فدعا موسى ربه فكف عنهم الجراد، فلم يدعه هامان أن يخلي عن بني إسرائيل، فأنزل الله عليهم في السنة الثالثة القمل، فذهبت زروعهم وأصابتهم المجاعة. فقال فرعون لموسى: إن دفعت عنا القمل كففت عن بني إسرائيل.

فدعا موسى ربه حتى ذهب القمل وقال: أول ما خلق الله القمل في ذلك الزمان، فلم يخل عن بني إسرائيل. فأرسل الله عليهم بعد ذلك الضفادع، فكانت تكون في طعامهم وشرابهم ويقال: إنها كانت تخرج من أدبارهم وأذانهم وآنافهم. فجزعوا من ذلك جزعاً شديداً، فجاءوا إلى موسى ﷺ فقالوا: ادع الله أن يذهب عنا الضفادع فإننا نؤمن بك ونرسل معك بني إسرائيل.

فدعا موسى ﷺ ربه فرفع الله عنهم ذلك، فلما أبوا أن يخلوا عن بني إسرائيل حول الله ماء النيل دماً، فكان القبطي يراه دماً والإسرائيلي يراه ماءً، فإذا شربه الإسرائيلي كان ماءً وإذا شربه القبطي كان دماً، فكان القبطي يقول للإسرائيلي: خذ الماء في فمك وصبه في فمي. فإذا صبه في فم القبطي تحول دماً فجزعوا جزعاً شديداً.

فقالوا لموسى: لئن رفع الله عنا الدم لنرسلن معك بني إسرائيل. فلما رفع الله عنهم الدم غدروا ولم يخلوا عن بني إسرائيل، فأرسل الله عليهم الرجز وهو الثلج ولم يروه قبل ذلك، فماتوا فيه وجزعوا جزعاً شديداً وأصابهم ما لم يعهدوا قبله فقالوا: ﴿ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ لَئِنْ كَشَفْتَ عَنَّا الرَّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾.

فدعا ربه فكشف عنهم الثلج فخلى عن بني إسرائيل، فلما خلى عنهم اجتمعوا إلى موسى ﷺ وخرج موسى ﷺ من مصر واجتمع إليه من كان هرب من فرعون، وبلغ فرعون ذلك فقال له هامان: قد نهيتك أن تخلي عن بني إسرائيل فقد اجتمعوا إليه. فجزع فرعون وبعث في المدائن حاشرين وخرج في طلب موسى، القصة^(١).

وذكرنا في التبيين:

﴿وَقَالُوا^(٢) مَهْمَا تَاْتَانَا بِهِ مِنْ آيَةٍ﴾ بيان (ما) ﴿لَتُسْحَرْنَا بِهَا﴾ لتموه علينا بسبب تلك الآية ﴿فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ فلا نصدقك.
﴿فَارْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ﴾ زاد الماء حتى طاف بيوتهم وزرعهم وأغرقهم

(١) تفسير القمي: ج ١ ص ٢٣٧ - ٢٣٨ آيات تسع لموسى ﷺ.

(٢) أي فرعون وقومه.

﴿وَالْجَرَادَ﴾ الذي أكل حرثهم ﴿وَالْقُمَّلَ﴾ في أبدانهم ﴿وَالضَّفَادِعَ﴾ فامتلات بيوتهم بالضفادع ﴿وَالدَّمَ﴾ فانقلبت مياههم دماً ﴿آيَاتِ﴾ أدلة على صدق موسى ﷺ ﴿مُفَصَّلَاتِ﴾ مبینات واضحات لا تشکل على أحد ﴿فَاسْتَكْبَرُوا﴾ عن الإيمان ﴿وَكَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ﴾.

﴿وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ﴾ الثلج الأحمر مما سبب موتهم وكثرة أذاهم ﴿قَالُوا يَا مُوسَى ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ﴾ من إجابة دعوتك ، أو الباء للقسم أي نقسمك بعهد الله ﴿لَئِنْ كَشَفْتَ﴾ رفعت ﴿عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ نطلق سراحهم فإنهم كانوا تحت مراقبة شديدة من فرعون لا يأذن لهم بالخروج عن مصر ﴿فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمْ الرِّجْزَ إِلَى أَجَلٍ هُمْ بِالْغُوهِ﴾ إلى مدة إذا بلغوها نزل بهم العذاب ثانياً ﴿إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ﴾ ينقضون عهدهم فلم يؤمنوا ولم يطلقوا بني إسرائيل . ﴿فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ﴾ في البحر ﴿بِأَنَّهُمْ﴾ أي بسبب أنهم ﴿كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ﴾ لا يعلمون بها كالغافل^(١).

٣٧

تمت كلمة ربك الحسنى

قال الله تعالى : ﴿وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَمَرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ﴾^(٢).

بعد ما لاقى بنو إسرائيل من فرعون والقبط ما لاقوه أغرق الله فرعون وقومه وأورث بني إسرائيل الأرض.

﴿وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ﴾ بني إسرائيل ﴿الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ﴾ فإن القبط كانوا

(١) تبيين القرآن : سورة الأعراف الآية ١٣٢ - ١٣٦ ، ص ١٧٨ .

(٢) سورة الأعراف : ١٣٧ .

يستضعفونهم، فأورثهم الله بأن مكنهم وحكم لهم بالتصرف وأباح لهم ذلك بعد إهلاك فرعون وقومه القبط فكأنهم ورثوا منهم. ﴿مَشَارِقِ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا﴾ التي كانوا فيها يعني جنات الأرض الشرق والغرب منها، يريد به ملك فرعون من أدناه إلى أقصاه.

وقيل: هي أرض الشام ومصر. وقيل: هي أرض الشام وشرقها وغربها. وقيل: هي أرض مصر.

وكان من بني إسرائيل داود وسليمان عليه السلام حيث ملكوا الأرض. ﴿الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا﴾ بإخراج الزروع والثمار وسائر صنوف النبات والأشجار إلى غير ذلك من العيون والأنهار وضروب المنافع. ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ معناه صح كلام ربك بإنجاز الوعد بإهلاك عدوهم واستخلافهم في الأرض، وإنما كان الإنجاز تماماً للكلام بتمام النعمة به.

﴿بِمَا صَبَرُوا﴾ على أذى فرعون وقومه وتكليفهم إياهم ما لا يطيقونه من الاستعباد والأعمال الشاقة. ﴿وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ﴾ أي أهلكنا ما كانوا يبنون من الأبنية والقصور والديار ﴿وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ﴾ من الأشجار والأعنان والثمار. وقيل: يعرشون يسقفون من القصور والبيوت^(١).

وذكرنا في التبيين: ﴿وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ﴾ بني إسرائيل ﴿الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ﴾ أي يعدونهم ضعفاء، بالاستعباد والإذلال ﴿مَشَارِقِ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا﴾ أي شرق مصر وغربها بمعنى جميع نواحي البلاد ﴿الَّتِي بَارَكْنَا﴾ بالثمار وكثرة الأنبياء ﴿فِيهَا﴾ في تلك الأراضي ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَى﴾ أي الكلمة الحسنة ﴿عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ فإن الله وعدهم الخير إن آمنوا وبقوا على إيمانهم ﴿بِمَا صَبَرُوا﴾ بسبب صبرهم ﴿وَدَمَّرْنَا﴾ أهلكنا ﴿مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ﴾ من الأبنية والعمارات ﴿وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ﴾ من الجنات ذات العرائش^(٢).

(١) انظر تفسير مجمع البيان: ج ٤ ص ٣٤٥ سورة الأعراف.

(٢) تبيين القرآن: سورة الأعراف الآية ١٣٧، ص ١٧٨.

٣٨

عبور البحر

قال الله تعالى: ﴿وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدُوًّا حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾^(١) الآيات.

في رواية أبي الجارود عن أبي جعفر عليه السلام قال: «إن بني إسرائيل قالوا: يا موسى، ادع الله أن يجعل لنا مما نحن فيه فرجاً. فدعا فأوحى الله إليه أن سر بهم. قال: يا رب، البحر أمامهم. قال: امض فأني أمره أن يطيعك ويفرج لك.

فخرج موسى عليه السلام ببني إسرائيل واتبعهم فرعون حتى إذا كاد أن يلحقهم ونظروا إليه وقد أظلمهم. قال موسى للبحر: انفرج لي. قال: ما كنت لأفعل. وقال بنو إسرائيل لموسى: غررتنا وأهلكتنا فليتك تركتنا يستعبدنا آل فرعون ولم نخرج الآن نقتل قتلة. قال: كلا إن معي ربي سيهدين.

واشدت على موسى ما كان يصنع به عامة قومه وقالوا: يا موسى، إنا لمدركون زعمت أن البحر ينفرج لنا حتى نمضي ونذهب وقد رهقنا فرعون وقومه وهم هؤلاء تراهم قد دنوا منا. فدعا موسى ربه فأوحى الله إليه أن اضرب بعصاك البحر، فضربه فانفلق البحر فمضى موسى وأصحابه حتى قطعوا البحر وأدركهم آل فرعون.

فلما نظروا إلى البحر قالوا لفرعون: ما تعجب مما ترى. قال: أنا فعلت هذا فمروا وامضوا فيه. فلما توسط فرعون ومن معه أمر الله البحر فانطبق عليهم فغرقهم أجمعين، فلما أدرك فرعون الغرق ﴿قَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾^(٢).

(١) سورة يونس: ٩٠.

(٢) تفسير القمي: ج ١ ص ٣١٥- ٣١٦ غرق فرعون.

وذكرنا في التبيين:

﴿وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ﴾ أي عبرنا بهم البحر ﴿فَاتَّبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ﴾ لأجل إلقاء القبض عليهم ﴿بَغْيًا﴾ ظلماً ﴿وَعَدُوا﴾ تعدياً، ففرق في الماء ﴿حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ﴾ بأن أشرف على الهلاك ﴿قَالَ﴾ فرعون ﴿آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾.

﴿ءَالَانَ﴾ أي هل تؤمن في هذا الحال، فإن الإيمان لا يقبل إذا جاء الموت ﴿وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ﴾ بالكفر ﴿وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾ أفسدت الناس.

﴿فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِدَنِكَ﴾ أي نلقي جسدك بلا روح خارج الماء ﴿لِتَكُونَ لِمَنْ خَلَقَكَ﴾ وراءك ﴿آيَةً﴾ علامة تدل على بأس الله ﴿وَإِنْ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ﴾ لا يعتبرون بها^(١).

٣٩

اجعل لنا إلهاً!

قال الله تعالى: ﴿وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾^(٢).

كان بنو إسرائيل سريعي الارتداد بعد إيمانهم، فلما رأوا عبدة الأصنام قالوا: يا موسى اجعل لنا صنماً نعبده!!

قال تعالى: ﴿وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ أي قطعنا بهم ﴿الْبَحْرَ﴾ يعني النيل نهر مصر بأن جعلنا لهم فيه طرقاً يابسة حتى عبروا، ثم أغرقنا فرعون وقومه فيه. ﴿فَأَتَوْا﴾ أي فمروا ﴿عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ﴾ أي يقبلون عليها ملازمين لها مقيمين عندها يعبدونها. قيل: كان أولئك القوم من لحم وكانوا نزولاً بالرقعة. وقيل: كانت

(١) تبيين القرآن: سورة يونس الآية ٩٠ - ٩٢، ص ٢٣١.

(٢) سورة الأعراف: ١٣٨.

تمثيل بقر وذلك أول شأن العجل. ﴿قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ﴾ أي أنصب لنا شيئاً نعبده كما لهم أوثان يعبدونها، وهذا كفر ربما قاله الجاهل من قومه دون المؤمنين الأخيار، وإنما قالوا ذلك؛ لأن الإنسان يحن إلى ما يراه لغيره فيحب أن يكون له مثل ما لغيره.

وفي هذا دلالة على عظيم جهلهم بعدما رأوا الآيات المترادفة والمعجزات من حيث توهموا أنه يجوز عبادة غير الله تعالى، ولم يعرفوا أن المَجْعُول لا يكون إلهاً وأن الأصنام لا تكون آلهة. ويمكن أن يكونوا قد ظنوا أنه يجوز أن يتقرب إلى الله تعالى بعبادة غيره وإن اعتقدوا أنه لا يشبه الأشياء ولا تشبهه، ولم يكونوا مشبهة كما حكا الله سبحانه عن المشركين أنهم قالوا: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾^(١). ﴿قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ هذه حكاية عما أجابهم به موسى عليه السلام، أي تجهلون ربكم وعظمته وصفاته، ولو عرفتموه حق معرفته لما قلتم هذا القول، وقيل: تجهلون نعمة ربكم فيما صنع بكم^(٢).

وذكرنا في التبيين:

﴿وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ﴾ بأن جعلنا لهم في البحر الأحمر طريقاً إلى اليابسة، وذلك لما أتبعهم فرعون ﴿فَاتَّوَا﴾ مروا ﴿عَلَى قَوْمٍ يَكْفُونَ﴾ يقيمون ﴿عَلَى﴾ عبادة ﴿أَصْنَامٍ لَهُمْ قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا﴾ صنماً نعبده ﴿كَمَا لَهُمْ﴾ لهذا القوم ﴿إِلَهَةٌ قَالِ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ فإن الصنم لا يكون إلهاً. ﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ﴾ القوم ﴿مُتَّبِرٌ﴾ مهلك ﴿مَا هُمْ فِيهِ﴾ من الدين ﴿وَبَاطِلٌ﴾ ما كانوا يعملون من عبادة الأصنام.

﴿قَالَ﴾ موسى عليه السلام ﴿أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِيكُمْ﴾ أطلب لكم ﴿إِلَهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ عالمي زمانكم.

﴿وَ﴾ اذكروا يا بني إسرائيل ﴿إِذْ أَنْجَيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ﴾ يذيقونكم

(١) سورة الزمر: ٣.

(٢) تفسير مجمع البيان: ج ٤ ص ٣٤٦ - ٣٤٧ سورة الأعراف.

﴿سُوءَ الْعَذَابِ يُقْتَلُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ﴾ يقولون للخدمة ﴿وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ﴾ عذاب ﴿مَنْ رَبَّكُمْ عَظِيمٌ﴾ لأنه سلط فرعون، ولم يحل بينه وبين ما أراد^(١).

٤٠

كفروا وهم يعلمون

قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مُبَوَّأً صِدْقٍ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ فَمَا اخْتَلَفُوا حَتَّى جَاءَهُمُ الْعِلْمُ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾^(٢).

إن الله عز وجل أنعم على بني إسرائيل ومكنهم في الأرض ورزقهم من الطيبات وأخذ عليهم الميثاق بأن يؤمنوا بخاتم الأنبياء محمد ﷺ ولكن كثيرا منهم لم يؤمنوا به بعد ما عرفوه وعلموا بأنه رسول من الله الذي بشرهم موسى عليه السلام به.

يبين سبحانه في هذه الآيات حال بني إسرائيل بعد إهلاك فرعون، فقال: ﴿وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مُبَوَّأً صِدْقٍ﴾ أخبر سبحانه عن نعمه عليهم بعد أن أنجاهم وأهلك عدوهم، يقول: مكناهم مكاناً محموداً وهو بيت المقدس والشام. وإنما قال: ﴿مُبَوَّأً صِدْقٍ﴾ قيل: لأن فضل ذلك المنزل على غيره من المنازل كفضل الصدق على الكذب. وقيل: معناه أنزلناهم في موضع خصب وأمن، يصدق فيما يدل عليه من جلاله النعمة. وقيل: يريد به مصر، وذلك أن موسى عليه السلام عبر ببني إسرائيل البحر ثانياً ورجع إلى مصر وتبوأ مساكن آل فرعون. وقيل: هو الشام ومصر. ﴿وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ﴾ أي مكناهم الأشياء اللذيذة، وهذا يدل على سعة أرزاق بني إسرائيل. ﴿فَمَا اخْتَلَفُوا حَتَّى جَاءَهُمُ الْعِلْمُ﴾ معناه فما اختلفوا في تصديق محمد ﷺ يعني اليهود كانوا مقرين به قبل مبعثه حتى جاءهم العلم وهو القرآن الذي جاء به

(١) تبيين القرآن: سورة الأعراف الآية ١٣٨ - ١٤١، ص ١٧٩.

(٢) سورة يونس: ٩٣.

محمد ﷺ. وقيل: العلم محمد ﷺ لأنه كان معلوماً عندهم بنعته، فلما جاءهم اختلفوا في تصديقه فكفر به أكثرهم. وقيل: إن معناه فما اختلف بنو إسرائيل إلا من بعد ما جاءهم العلم بالحق على يد موسى وهارون فإنهم كانوا مطبقين على الكفر قبل مجيء موسى، فلما جاءهم آمن به بعضهم وثبت على الكفر بعضهم فصاروا مختلفين. ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ هذا إخبار منه تعالى بأنه الذي تولى الحكم بينهم يوم القيامة في الأمور التي يختلفون فيها فإن مع بقاء التكليف لا يرتفع الخلاف^(١).

وذكرنا في التبيين:

﴿وَلَقَدْ بَوَّأْنَا مَكَّنَّا﴾ بني إسرائيل مَبُوءًا صِدْقٌ ﴿أَي مَنزِلًا لَا يَنْزِعُونَ فِيهِ كَأَنَّهُ مَكَانٌ صَادِقٌ لَا كَذِبَ فِيهِ﴾ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ فَمَا اخْتَلَفُوا ﴿أَي بنو إسرائيل بل بقوا على يهوديتهم﴾ حَتَّى جَاءَهُمُ الْعِلْمُ ﴿بِعِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ وَبِمُحَمَّدٍ ﷺ فَأَمَّنَ بَعْضُ وَبَقِيَ بَعْضُهُمْ عَلَى دِينِهِ الْمُنْسُوخِ﴾ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿فِي جَازِي مِنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِالثَّوَابِ وَمَنْ كَفَرَ بِالْعِقَابِ﴾^(٢).

٤١

كتاب موسى ﷺ

قال الله تعالى: ﴿وَأَتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا مِنْ دُونِي وَكِيلاً﴾^(٣).

إن الله عز وجل أرسل موسى ﷺ بالتوراة وأمر بني إسرائيل بأوامره لكنهم خالفوا الله وخالفوا نبيهم وكتابهم.

(١) تفسير مجمع البيان: ج ٥ ص ٢٢٤ - ٢٢٥ سورة يونس.

(٢) تبيين القرآن: سورة يونس الآية ٩٣، ص ٢٣١.

(٣) سورة الإسراء: ٢.

قوله ﴿الْكِتَابَ﴾ يعني التوراة ﴿وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ أي وجعلنا التوراة حجة ودلالة وبياناً وإرشاداً لبني إسرائيل يهتدون به ﴿أَلَّا تَتَّخِذُوا مِن دُونِي وَكِيلًا﴾ أي أمرهم أن لا يتخذوا من دوني معتمداً يرجعون إليه في النوائب. وقيل: رباً يتوكلون عليه^(١).

وذكرنا في التبيين:

﴿وَأَتَيْنَا﴾ أعطينا ﴿مُوسَى الْكِتَابَ﴾ التوراة ﴿وَجَعَلْنَاهُ هُدًى﴾ هداية ﴿لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ أَلَّا﴾ بيان كونه هدى ﴿تَتَّخِذُوا مِن دُونِي وَكِيلًا﴾ رباً تكونون إليه أموركم^(٢).

وفي آية أخرى:

﴿وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ﴾ أي التوراة الفارق بين الحق والباطل، وهو عطف بيان للكتاب ﴿لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ بسبب التدبر في الكتاب. ولكنهم تركوا كتابهم وحرفوه^(٣).

وفي آية أخرى:

﴿ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾ التوراة ﴿تَمَامًا﴾ أي لأجل إتمام النعمة ﴿عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ﴾ في تبليغه وهو موسى ﷺ ﴿وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾ من الأصول والفروع ﴿وَهُدًى﴾ دلالة إلى الحق ﴿وَرَحْمَةً لِّعَلَّاهُمْ﴾ أي بني إسرائيل ﴿بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ﴾ جزائه ﴿يُؤْمِنُونَ﴾^(٤). ولكنهم تركوا كتابهم وحرفوه.

وفي آية أخرى:

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا﴾ أعطينا ﴿مُوسَى الْكِتَابَ﴾ التوراة ﴿فَاخْتَلَفَ فِيهِ﴾ فبعض آمن وبعض كفر ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ﴾ بتأخير الجزاء إلى يوم القيامة ﴿سَبَقَتْ مِّن رَّبِّكَ﴾ قالها الله سابقاً، لمصلحة في ذلك ﴿لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ﴾ في الحال بإهلاك المبطل ﴿وَأَنَّهُمْ﴾ الكافرين

(١) انظر تفسير مجمع البيان: ج ٦ ص ٢١٨ سورة الإسراء.

(٢) تبيين القرآن: سورة الإسراء الآية ٢، ص ٢٩٤.

(٣) تبيين القرآن: سورة البقرة الآية ٥٣، ١٨.

(٤) تبيين القرآن: سورة الأنعام الآية ١٥٤، ص ١٦١.

﴿لَفِي شَكٍّ مِنْهُ﴾ من الكتاب ﴿مُرِيبٍ﴾ موجب للريب ، فإن الشك يوجب ترددهم وتحيرهم^(١).

وفي آية أخرى :

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾ التوراة ﴿وَقَفَّيْنَا﴾ أي اتبعنا ﴿مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ﴾ فكان كثير من الرسل بعد موسى ﷺ ﴿وَأَتَيْنَا﴾ أعطينا ﴿عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ﴾ الأدلة الواضحات الدالة على نبوته ﴿وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾ روح طاهرة عن الآثام ، والتأييد بمعنى التقوية ، ولعل المراد به جبرئيل ﷺ ﴿أَفَكُلَّمَا﴾ استفهام إنكاري ﴿جَاءَكُمْ﴾ أيها اليهود ﴿رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمْ﴾ أي جاءكم رسول بالحكم الذي لا تميلون إليه ﴿اسْتَكْبَرْتُمْ﴾ تكبرتم عن الإطاعة لذلك الرسول ﴿فَفَرِيقًا﴾ من الرسل كموسى ﷺ وعيسى ﷺ ﴿كَذَبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾ كزكريا ﷺ ويحيى ﷺ^(٢).

وفي آية أخرى :

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا﴾ أعطينا ﴿مُوسَى الْهُدَى﴾ ما يهتدي به الناس ﴿وَأَوْرَثْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ﴾ أي أعطيناهم التوراة إرثاً بعد موسى ﷺ. ﴿هُدًى﴾ في حال كون الكتاب هداية ﴿وَذِكْرًى﴾ مذكراً ﴿لِلْأُولَى الْأَلْبَابِ﴾ أصحاب العقول^(٣).

(١) تبين القرآن : سورة هود الآية ١١٠ ، ص ٢٤٦.

(٢) تبين القرآن : سورة البقرة الآية ٨٧ ، ص ٢٣.

(٣) تبين القرآن : سورة غافر الآية ٥٣ - ٥٤ ، ص ٤٨٦.

فساد بني إسرائيل

قال الله تعالى: ﴿وَقَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا﴾^(١)، الآيات.

﴿وَقَضَيْنَا﴾ أي وأوحينا إليهم في التوراة قضاء مقضياً... ﴿مَرَّتَيْنِ﴾ أي إفسادين: أولهما مخالفة أحكام التوراة وقتل شعيا وقتل أرميا. وثانيهما قتل يحيى وزكريا وقصد قتل عيسى عليه السلام. وقوله: ﴿وَعَدُ أُولَاهُمَا﴾ أي وعد عقاب أولهما. وقوله: ﴿عِبَادًا لَّنَا﴾ أي بخت نصر عامل لهراسف إلى بابل وجنوده ﴿فَجَاسُوا﴾ أي ترددوا لطلبكم ﴿خِلَالَ الدِّيَارِ﴾ أي وسطها للقتل والغارة ﴿وَالْكُرَّةِ﴾ الدولة والغلبة ﴿عَلَيْهِمْ﴾ أي على الذين بعثوا عليكم.

وذلك بأن ألقى الله في قلب بهمن بن إسفنديار لما ورث الملك من جده كشتاسب شفقة عليهم فرد أسراهم إلى الشام وملك دانيال عليهم، فاستولوا على من كان فيها من أتباع بخت نصر. ونفير من ينفر مع الرجل من قومه ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ﴾ عقوبة ﴿الْآخِرَةِ﴾ بعثناهم ليجعلوا وجوههم بادية آثاراً لمساءة فيها ﴿وَلَيَتَّبَرُوا﴾ أي ليهلكوا ﴿مَا عُلُوًّا﴾ أي ما غلبوه واستولوا عليه أو مدة علوه. وذلك بأن سلط الله عليهم الفرس مرة أخرى، فغزاهم ملك بابل ودخل صاحب الجيش مذبح قرايينهم فوجد فيه دماً يغلي، فسألهم عنه فقالوا: دم قربان لم يقبل منا. فقال: ما صدقتموني. فقتل عليه ألوفاً منهم فلم يسكن الدم، ثم قال: إن لم تصدقوني ما تركت منكم أحداً. فقالوا: إنه دم يحيى عليه السلام. فقال: لمثل هذا ينتقم منكم ربكم.

روي: إن بخت نصر ملك بابل وكان من جنس نمرود وكان لزنية لا أب له، فظهر على بيت المقدس وخرب المسجد وأحرق التوراة، وألقى الجيف في المسجد،

وقتل على دم يحيى ﷺ سبعين ألفاً، وسبى ذراريهم وأغار عليهم، وأخرج أموالهم وسبى سبعين ألفاً، وذهب بهم إلى بابل وبقوا في مدة مائة سنة تستعبدهم المجوس. ثم تفضل الله عليهم بالرحمة فأمر ملكاً من ملوك فارس عارفاً بالله سبحانه فردهم إلى بيت المقدس، فأقامهم به مائة سنة على الطريقة المستقيمة، ثم عادوا إلى الفساد والمعاصي فجاءهم ملك من ملوك الروم اسمه أنطياخوس فخرّب بيت المقدس وسبى أهله^(١).

وذكرنا في التبيين:

﴿وَقَضَيْنَا﴾ أوحينا وأخبرنا ﴿إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ﴾ التوراة ﴿لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ﴾ أولهما بقتل شيعا النبي ﷺ وثانيهما بقتل زكريا ويحيى ﷺ ﴿وَلَتَعْلُنَّ﴾ تستكبرون ﴿عُلُوًّا كَبِيرًا﴾ بالجرأة على الله في انتهاك محرماته.

﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ﴾ عقاب ﴿أُولَاهُمَا﴾ أولى المرتين ﴿بَعَثْنَا﴾ أرسلنا ﴿عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَا﴾ بُخت نصر وجالوت ﴿أُولِي﴾ أصحاب ﴿بَأْسٍ﴾ بطش ﴿شَدِيدٍ فَجَاسُوا﴾ طاف أولئك العباد ﴿خِلَالَ الدِّيَارِ﴾ أواسط بلاد اليهود للقتل والنهب ﴿وَكَانَ﴾ وعد عقابهم ﴿وَعَدًا مَّفْعُولًا﴾ لابد وأن يفعل.

﴿ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ﴾ يا بني إسرائيل ﴿الْكُرَّةَ﴾ الدولة ﴿عَلَيْهِمْ﴾ أي على أولئك الذين بطشوا بكم ﴿وَأَمَدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا﴾ عدداً من السابق.

﴿إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ﴾ لأن جزاء الإحسان يعود إلى نفس الإنسان ﴿وَأِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا﴾ فوبال الإساءة يعود إلى أنفسكم ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ﴾ وعد عقوبة المرة الثانية ﴿لَيْسُوعُوا وَجُوهَكُمْ﴾ أي بعثنا عباداً لنا لأجل أن يسيئوا إليكم فيجعلوا وجوهكم بادية آثار المساءة فيها ﴿وَلِيَدْخُلُوا﴾ أولئك المبعوثين ﴿الْمَسْجِدَ﴾

(١) قصص الأنبياء للجزائري: ص ٤٢٣ - ٤٢٤ باب في قصص أرميا ودانيال وعزير وبخت نصر.

بيت المقدس ﴿كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ للفساد، في عقوبة المرة الأولى ﴿وَلِيَتَّبِعُوا﴾
ليهلكوا ﴿مَا عَلَوْا﴾ ما غلبوا عليه ﴿تَتَّبِعُوا﴾ هلاكاً.

﴿عَسَى﴾ لعل ﴿رَبُّكُمْ﴾ يا بني إسرائيل ﴿أَنْ يَرْحَمَكُمْ﴾ بعد المرة الثانية إن تبتم
﴿وَأَنْ عُدْتُمْ﴾ إلى الفساد ﴿عُدْنَا﴾ إلى عقوبتكم ﴿وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا﴾
سجناً ومحبساً^(١).

٤٣

الآيات التسع

قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ فَمَثَّلَ بَنِي إِسْرَآئِيلَ إِذْ جَاءَهُمْ
فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا مُوسَى مَسْحُورًا﴾^(٢) الآيات.

إن الله عز وجل أعطى النبي موسى ﷺ تسع دلالات وحجج واضحات.
واختلف في هذه الآيات التسع فقليل: هي يد موسى ﷺ، وعصاه، ولسانه،
والبحر، والظوفان، والجراد، والقمل، والضفادع، والدم.
وقيل: الظوفان، والجراد، والقمل، والضفادع، والدم، والبحر، والعصا،
والطمسة، والحجر.

وقيل بدل الطمسة: اليد.

وقيل بدل البحر والطمسة والحجر: اليد، والسنين، ونقص من الثمرات.

والطمسة: هي دعاء موسى وتأمين هارون.

وقيل: الأخذ بالسنين ونقص من الثمرات آية واحدة، والتاسعة تلقف العصا ما
يأفكون.

وقيل: إنها تسع آيات في الأحكام.

(١) تبين القرآن: سورة الإسراء الآية ٤ - ٨، ص ٢٩٤ - ٢٩٥.

(٢) سورة الإسراء: ١٠١.

روي أن يهودياً قال لصاحبه: تعال حتى نسأل هذا النبي. قال: فأتى الرسول ﷺ فسأله عن هذه الآية. فقال ﷺ: «هو أن لا تشركوا بالله شيئاً، ولا تسرقوا، ولا تزنوا، ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق، ولا تمشوا بالبريء إلى سلطان ليقته، ولا تسحروا، ولا تأكلوا الربا، ولا تقذفوا المحصنة، ولا تولوا الفرار يوم الزحف، وعليكم خاصة يا يهود أن لا تعتدوا في السبت». فقبل يده وقال: أشهد أنك نبي.

﴿فَسئِلْ بَنِي إِسْرَآئِيلَ إِذْ جَاءَهُمْ﴾^(١) هذا أمر للنبي ﷺ أن يسأل بني إسرائيل لتكون الحجة عليهم أبلغ. وقيل: إن المعنى فاسأل أيها السامع؛ لأن العلم قد وقع بخبر الله تعالى فلا حاجة إلى الرجوع إلى أهل الكتاب. وقيل: إن معنى السؤال أن تنظر ما في القرآن من أخبار بني إسرائيل.

﴿فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا مُوسَىٰ مَسْحُورٌ﴾ أي معطى على السحر، فهذه العجائب التي فعلتها من سحرك. وقيل: معناه إني لأظنك ساحراً، فوضع المفعول موضع الفاعل، كما يقال: مشثوم وميمون في معنى شائم ويامن. وقيل: معناه إنك سحرت، فأنت تحمل نفسك على ما تقوله للسحر الذي بك. وقيل: مسحوراً أي مخدوعاً^(٢).

وذكرنا في التبيين:

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ﴾ معاجز واضحات وهي: العصا واليد واللسان والبحر والجراد والطوفان والقمل والضفادع والدم، وقيل غيرها بتبديل بعضها بآخر ﴿فَسئِلْ﴾ يا محمد ﷺ ﴿بَنِي إِسْرَآئِيلَ إِذْ جَاءَهُمْ﴾ موسى ﷺ بهذه الآيات ﴿فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا مُوسَىٰ مَسْحُورٌ﴾ سحرت فخولط عقلك.

﴿قَالَ﴾ موسى ﷺ ﴿لَقَدْ عَلِمْتُ﴾ يا فرعون ﴿مَا أُنْزِلَ هَؤُلَاءِ﴾ الآيات ﴿إِلَّا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ بِصَآئِرٍ﴾ بينات لأجل أن تبصركم ﴿وإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا فِرْعَوْنُ

(١) سورة الإسراء: ١٠١.

(٢) تفسير مجمع البيان، العلامة الشيخ الطبرسي: ج ٦ ص ٢٩٩ - ٣٠٠ سورة الإسراء.

مَثُوراً هَالِكاً لِكُفْرِكَ.

﴿فَارَادَ﴾ فرعون ﴿أَنْ يَسْتَفِزَّهُمْ﴾ يستخفهم لأجل أن ينفيهم ﴿مَنْ الْأَرْضِ﴾ أرض مصر ﴿فَاغْرَقْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ جَمِيعاً﴾^(١).

٤٤

وعد الآخرة

قال الله تعالى: ﴿وَقُلْنَا مِنْ بَعْدِهِ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ اسْكُنُوا الْأَرْضَ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفاً﴾^(٢).

يذكر الباري عز وجل في هذه الآية أن مصير الجميع هو المحكمة الإلهية في يوم القيامة.

﴿وَقُلْنَا مِنْ بَعْدِهِ﴾ أي من بعد هلاك فرعون وقومه ﴿لِبَنِي إِسْرَائِيلَ اسْكُنُوا الْأَرْضَ﴾ أي أرض مصر والشام ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ﴾ يعني يوم القيامة. وقيل: أراد نزول عيسى عليه السلام ﴿جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفاً﴾ معناه: جئنا بكم من القبور إلى الموقف للحساب والجزاء مختلطين التف بعضكم ببعض لا تتعارفون ولا ينحاز أحد منكم إلى قبيلته. وقيل: لفيفاً أي جميعاً أولكم وآخركم^(٣).

وذكرنا في التبيين:

﴿وَقُلْنَا مِنْ بَعْدِهِ﴾ بعد فرعون ﴿لِبَنِي إِسْرَائِيلَ اسْكُنُوا الْأَرْضَ﴾ أرض مصر والشام ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ﴾ وقت قيام الساعة ﴿جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفاً﴾ أنتم وهم للمحاكمة والجزاء^(٤).

(١) تبيين القرآن: سورة الإسراء الآية ١٠١ - ١٠٣، ص ٣٠٤.

(٢) سورة الإسراء: ١٠٤.

(٣) تفسير مجمع البيان: ج ٦ ص ٣٠٠ - ٣٠١ سورة الإسراء.

(٤) تبيين القرآن: سورة الإسراء الآية ١٠٤، ص ٣٠٤.

٤٥

خلف إسرائيل عليه السلام

قال الله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِنْ ذُرِّيَةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا﴾^(١).

إسرائيل هو النبي يعقوب عليه السلام وقد مدحه الله في هذه الآيات.. ثم يذكر قومه وأولاده أي اليهود ويقول إنهم كفروا وأضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات..

لما فصل سبحانه ذكر النبيين ووصف كلاً منهم بصفة تخصه جمعهم في المدح والثناء فقال: ﴿أُولَئِكَ﴾ تقدم ذكرهم ﴿الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ بالنبوة. وقيل: بالثواب وبسائر النعم الدينية والدنيوية. ﴿مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِنْ ذُرِّيَةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ﴾ إنما فرق سبحانه ذكر نسبهم مع أن كلهم كانوا من ذرية آدم عليه السلام لتبيان مراتبهم في شرف النسب، فكما لإدريس شرف القرب لآدم؛ لأنه جد نوح عليه السلام. وكان إبراهيم من ذرية من حمل مع نوح؛ لأنه من ولد سام بن نوح. وكان إسماعيل وإسحاق ويعقوب من ذرية إبراهيم لما تباعدوا من آدم حصل لهم شرف إبراهيم. وكان موسى وهارون وزكريا ويحيى وعيسى من ذرية إسرائيل. ﴿وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا﴾ قيل: إنه تم الكلام عند قوله إسرائيل ثم ابتداء فقال: ﴿وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا﴾ من الأمم قوم ﴿إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا﴾ فحذف لدلالة الكلام عليه.

وروي عن علي بن الحسين عليه السلام، أنه قال: «نحن عنيان بها». وقيل: بل المراد به الأنبياء الذين تقدم ذكرهم من ذرية آدم ومن هديناهم واجتبيناهم أي هديناهم إلى الحق فاهتدوا واخترناهم من بين الخلق. ثم وصفهم فقال: ﴿إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ﴾ أي تقرأ

عليهم ﴿آيَاتُ الرَّحْمَنِ﴾ وهو القرآن ﴿خَرُّوا سُجَّدًا﴾ أي ساجدين لله ﴿وَبُكْيًا﴾ أي باكين متضرعين إليه، بين الله سبحانه أنهم مع جلالة قدرهم كانوا سيكون عند ذكر آيات الله وهؤلاء العصاة ساهون لاهون مع إحاطة السيئات بهم^(١).

وذكرنا في التبيين :

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِّنْ﴾ بيان (الذين) ﴿النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا﴾ في السفينة أي من ذرية من حملنا ﴿مَعَ نُوحٍ وَمِنْ ذُرِّيَةِ إِبْرَاهِيمَ وَ﴾ من ذرية ﴿إِسْرَائِيلَ﴾ يعقوب عليه السلام ﴿وَ﴾ أولئك ﴿مِمَّنْ هَدَيْنَا﴾ هم ﴿وَأَجْتَبَيْنَا﴾ اخترناهم ﴿إِذَا تَتَلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا﴾ وقعوا على الأرض تواضعا لله ﴿سُجَّدًا﴾ ساجدين ﴿وَبُكْيًا﴾ باكين من خوف الله.

﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ﴾ أي من أقوامهم وأولادهم الذين هم من بعدهم ﴿أَضَاعُوا الصَّلَاةَ﴾ بأن تركوها ﴿وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ﴾ المحرمة ﴿فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ﴾ أولئك الخلف ﴿غِيًّا﴾ جزاء غيهم وضلالهم^(٢).

٤٦

في قصر فرعون

قال الله تعالى: ﴿فَأْتِيَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا تَعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِّنْ رَبِّكَ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى﴾ الآيات^(٣).

إن الله عز وجل أمر موسى وهارون عليهما السلام أن يأتيا فرعون ويعظاه بالحكمة والموعظة الحسنة ويقولوا له إنهما رسولا ربه، ويأمره بأن يرسل معهما بني إسرائيل ولا يعذبهم.

(١) تفسير مجمع البيان: ج ٦ ص ٤٣١ سورة مريم.

(٢) تبيين القرآن: سورة مريم الآية ٥٨ - ٥٩، ص ٣٢١.

(٣) سورة طه: ٤٧.

﴿فَاتِيَاهُ﴾ أي فأتيا فرعون ﴿فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ﴾ أي أرسلنا إليك خالقك بما ندعوك إليه ﴿فَارْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ أي أطلقهم وأعتقهم عن الاستعباد ﴿وَلَا تُعَذِّبْهُمْ﴾ بالاستعمال في الأعمال الشاقة ﴿قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكَ﴾ أي بدلالة واضحة ومعجزة لائحة من ربك تشهد لنا بالنبوة ﴿وَالسَّلَامُ عَلَيَّ مَنْ اتَّبَعَ الْهُدَى﴾ قيل : لم يرد بالسلام هنا التحية ، وإنما معناه إن من اتبع الهدى سلم من عذاب الله . ويدل عليه قوله بعده : ﴿إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَى مَنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى﴾ أي إنما يعذب الله سبحانه من كذب بما جئنا به وأعرض عنه ، فأما من اتبعه فإنه يسلم من العذاب^(١).

وذكرنا في التبيين :

﴿وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي﴾ صنعتك يا موسى لأن تكون نبياً لي .
 ﴿اذْهَبْ أَنْتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي﴾ دلالاتي ﴿وَلَا تَبَيَّأْ﴾ تفترا ، من الفتور ﴿فِي ذِكْرِي﴾ بالتسبيح وتبليغ الرسالة .

﴿اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى﴾ جاوز الحد .
 ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيْنًا﴾ رقيقاً بدون خشونة . ﴿لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ﴾ يتعظ ﴿أَوْ يَخْشَى﴾ العقاب .

﴿قَالَا رَبَّنَا إِنَّا نَخَافُ أَنْ يُفْرِطَ عَلَيْنَا﴾ بأن يعاقبنا فوراً ﴿أَوْ أَنْ يَطْغَى﴾ يزداد طغياناً .

﴿قَالَ لَا تَخَافَا إِنِّي مَعَكُمَا﴾ بالحفظ والنصرة ﴿أَسْمَعُ﴾ قولكم ﴿وَأَرَى﴾ أفعالكم ، فادفع شره عنكما .

﴿فَاتِيَاهُ﴾ اذهبا إليه ﴿فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَارْسِلْ﴾ أطلق ﴿مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ حتى نخرج بهم عن مصر ﴿وَلَا تُعَذِّبْهُمْ﴾ بالتكاليف الشاقة ﴿قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ﴾ أدلة ﴿مَنْ رَبِّكَ وَالسَّلَامُ﴾ السلامة من عقاب الدنيا والآخرة ﴿عَلَيَّ مَنْ اتَّبَعَ الْهُدَى﴾ الهداية .
 ﴿إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَى مَنْ كَذَّبَ﴾ بما جئنا به ﴿وَتَوَلَّى﴾ أعرض .
 ﴿قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَا مُوسَى﴾ قال ربنا الذي أعطى كل شيء من المخلوقات

(١) تفسير مجمع البيان : ج ٧ ص ٢٦ سورة طه .

﴿خَلَقَهُ﴾ صورته ﴿ثُمَّ هَدَى﴾ هذاه إلى ما يجلب له النفع ويدفع عنه الضرر.
 ﴿قَالَ﴾ فرعون ﴿فَمَا بَالُ﴾ ما حال ﴿الْقُرُونِ الْأُولَى﴾ الأمم السابقة فما حالهم في الآخرة، على زعمك بأن بعد الموت عالماً آخر.

﴿قَالَ عَلِمُهَا عِنْدَ رَبِّي﴾ أعمالهم معلومة لله محفوظة لديه ﴿فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي﴾ لا يضيع ربي شيئاً من أعمالهم^(١) ﴿وَلَا يَنْسَى﴾ وقد أراد موسى ﷺ عدم التفصيل في هذا الموضوع الذي لا يرتبط بكلامه ولذا رجع إلى بيان صنائع الله تعالى:
 ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا﴾ فراشاً ﴿وَسَلَّضَكُمْ﴾ جعل ﴿لَكُمْ فِيهَا﴾ في الأرض ﴿سُبُلًا﴾ طرقاً تسلكونها ﴿وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ﴾ جهة العلو ﴿مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا﴾ أصنافاً ﴿مِنْ نَبَاتٍ شَتَّى﴾ مختلفة الألوان والطعوم والأشكال.

﴿كُلُوا﴾ منها ﴿وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ﴾ حيواناتكم فيها ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ المذكور ﴿لَآيَاتٍ﴾ لغير أو أدلة ﴿لِّأُولِي النَّهْيِ﴾ لذوى العقول، (نهى) جميع نهية، بمعنى العقل.

﴿مِنْهَا﴾ من الأرض ﴿خَلَقْنَاكُمْ﴾ فان التراب يتحول نباتاً ثم مأكلاً ثم دماً ثم مياً ﴿وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ﴾ بعد الموت، فإن الإنسان يصبح تراباً ﴿وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ﴾ بتأليف الأجزاء الأرضية وإحيائها ﴿تَارَةً﴾ مرة ﴿أُخْرَى﴾ كما أخرجناكم من الأرض في المرة الأولى.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا﴾ أي فرعون ﴿آيَاتِنَا كُلَّهَا﴾ المعاجز التسع ﴿فَكَذَّبَ﴾ الآيات ﴿وَأَبَى﴾ امتنع عن القبول.

﴿قَالَ أَجِئْتَنَا﴾ يا موسى ﴿لِنُخْرِجَنَّ مِنْ أَرْضِنَا﴾ مصر ﴿بِسِحْرِكَ يَا مُوسَى﴾ فإن موسى ﷺ لو استولى اضطر القبط بقبول دينه أو الخروج منها.

﴿فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِثْلِهِ﴾ يقابله حتى يبطل ادعاؤك الإعجاز ﴿فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا﴾ وعداً ﴿لَّا نُخْلِفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنْتَ﴾ بل نخضر عند الموعد ﴿مَكَانًا سُوًى﴾ في الوسط يستوي بيننا وبينك.

(١) ضل الشيء: خفي وغاب. لسان العرب.

﴿قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمَ الزَّيْتَةِ﴾ كان يوم عيد لهم يتزينون فيه ويخرجون للتفرج،
عِينُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ ليشهد الجميع المقابلة ﴿وَأَنْ يُحْشَرَ﴾ يجمع ﴿النَّاسُ ضَحَى﴾ قبل الظهر ليروا
رؤية كاملة.

﴿فَتَوَلَّى﴾ انصرف ﴿فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُ﴾ أسباب كيده من السحر وآلاته وأبهته
﴿ثُمَّ أَتَى﴾ في الموعد.

﴿قَالَ لَهُمْ مُوسَى وَيْلَكُمْ﴾ السوء عليكم ﴿لَا تَقْتُرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ بأن تنسبوا
إعجازي إلى السحر ﴿فِيُسْحِتْكُمْ﴾ يهلككم ﴿بِعَذَابٍ﴾ من عنده ﴿وَقَدْ خَابَ﴾ خسر
﴿مَنْ افْتَرَى﴾.

﴿فَتَنَازَعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ﴾ أي وقع النزاع بين أصحاب فرعون في أن موسى هل
صادق في دعواه أم لا ﴿وَأَسْرُوا النَّجْوَى﴾ أي أخذوا يخفون الكلام حول موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ
حتى لا يسمع موسى وقومه أنهم شاكون ويحتملون صدق موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ.

﴿قَالُوا إِنَّ﴾ مخففة من الثقيلة ﴿هَذَانِ لَسَاحِرَانِ يُرِيدَانِ أَنْ يُخْرِجَاكُمْ مِنْ
أَرْضِكُمْ﴾ بالاستيلاء عليها ﴿بِسِحْرِهِمَا﴾ بسبب سحرهما ﴿وَيَذْهَبَا﴾ يبطلا
﴿بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثَلَّى﴾ بدينكم الأحسن الذي هو عبادة فرعون والأصنام.

﴿فَأَجْمِعُوا كَيْدَكُمْ﴾ أحكموه واجعلوه مجمعا عليه ﴿ثُمَّ اتَّوَا صَفًّا﴾ مصطفين
ليكون أكثر رهبة وأنظم للأمر ﴿وَقَدْ أَفْلَحَ﴾ فاز ﴿الْيَوْمَ مَنْ اسْتَعْلَى﴾ صار الأعلى
لدى الحاجة والمقابلة.

﴿قَالُوا يَا مُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ﴾ ما معك ﴿وَأِمَّا أَنْ نَكُونَ﴾ نحن السحرة ﴿أَوَّلَ مَنْ
أُلْقِيَ﴾ ما معنا.

﴿قَالَ﴾ موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ ﴿بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا حِبَالُهُمْ﴾ التي صوروها كالحيات
﴿وَعَصِيَّهُمْ﴾ جمع عصى ﴿يُخِيلُ إِلَيْهِ﴾ أي إلى فرعون، أو إلى موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ ﴿مِنْ﴾
جهة ﴿سِحْرِهِمْ﴾ بتلك الحبال والعصى ﴿أَنَّهُ تَسْعَى﴾ تتحرك مسرعة.

﴿فَأَوَّسَ﴾ فأحس ووجد ﴿فِي نَفْسِهِ خِيفَةً﴾ خوفاً ﴿مُوسَى﴾ قيل: كان الخوف

من جهة التباس الأمر على الناس.

﴿قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى﴾ عليهم بالغلبة.

﴿وَأَلْقَى مَا فِي يَمِينِكَ﴾ عصاك ﴿تَلْقَفُ﴾ تاكل بسرعة ﴿مَا صَنَعُوا﴾ من الحبال والعصي ﴿إِنَّمَا صَنَعُوا﴾ أي الذي افتعلوه هو ﴿كَيْدٌ سَاحِرٍ﴾ لا حقيقة له ﴿وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى﴾ أينما كان الساحر، فألقى موسى ﷺ عصاه، فأكلت سحرهم مما أذعن الجميع أن عمله ليس سحراً.

﴿فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ﴾ فإن أنفسهم لما أذعنت بأنه حق أجبرتهم على الاعتراف ﴿سُجَّدًا﴾ ساجدين ﴿قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى﴾.

﴿قَالَ﴾ فرعون ﴿ءَأَمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ أَدْنَ لَكُمْ﴾ في الإيمان، استفهام توبيخي ﴿إِنَّهُ﴾ موسى ﷺ ﴿لَكَبِيرُكُمْ﴾ أستاذكم ورئيسكم ﴿الَّذِي عَلَّمَكُمُ السَّحْرَ﴾ وقد تواطأتم مع موسى ﷺ على ما فعلتم ﴿فَلَأَقْطَعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافِ﴾ اليد اليمنى والرجل اليسرى ﴿وَلَأَصْلَبَنَكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ﴾ على أجسام النخيل ﴿وَلَتَعْلَمُنَّ﴾ أيها السحرة ﴿أَيُّنَا﴾ أنا أو موسى ﷺ ﴿أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى﴾ عذابه أكثر بقاءً.

﴿قَالُوا﴾ السحرة ﴿لِنْ نُؤْثِرَكَ﴾ نختارك ﴿عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ﴾ المعجزات ﴿وَالَّذِي فَطَرَنَا﴾ قسماً بالذي خلقنا ﴿فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ﴾ فاحكم ما تريد أن تحكم فينا ﴿إِنَّمَا تَقْضِي﴾ تحكم في ﴿هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ أما الآخرة فليست بيدك.

﴿إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا﴾ الكفر والمعاصي ﴿و﴾ يغفر لنا ﴿مَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السَّحَرِ﴾ فإن فرعون أكرههم على أن يسحروا في قبال موسى ﷺ وقد علموا قبل ذلك أن موسى ﷺ ليس بساحر ﴿وَاللَّهُ خَيْرٌ﴾ ثواباً ﴿وَأَبْقَى﴾ أما ثوابك فهو زائل.

﴿إِنَّهُ مَنْ يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا﴾ بأن يموت على الكفر ﴿فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا﴾ حتى يستريح ﴿وَلَا يَحْيَى﴾ حياة مريحة.

﴿وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَى﴾ المنازل

الرفيعة.

﴿جَنَّاتُ﴾ بدل من (الدرجات) ﴿عَدْنٍ﴾ بساتين إقامة ﴿تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا﴾ تحت

أشجارها وقصورها ﴿الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ مَنْ تَزَكَّى﴾ تطهر من أدناس الكفر.

﴿وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ﴾ أذهب ليلاً ﴿عِبَادِي﴾ مع عبادي بني إسرائيل، وذلك فراراً عن فرعون ﴿فَاضْرِبْ﴾ أي اضرب بعصاك ﴿لَهُمْ طَرِيقاً فِي الْبَحْرِ يَبَساً﴾ يصير يابساً لعبور بني إسرائيل ﴿لَا تَخَافُ دَرْكاً﴾ فكن آمنًا من أن يدرككم فرعون ﴿وَلَا تَخْشَى﴾ غرقاً^(١).

٤٧

المن والسلوى

قال الله تعالى: ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ قَدْ أَنْجَيْنَاكُمْ مِنْ عَدُوِّكُمْ وَوَعَدْنَاكُمْ جَانِبَ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّاءَ وَالسَّلْوَى﴾^(٢).
إن الله يخاطب سبحانه بني إسرائيل ويعدّ نعمه عليهم لعلهم يهتدون ولكنهم ضلوا وأضلوا.

قال عز وجل: ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ قَدْ أَنْجَيْنَاكُمْ مِنْ عَدُوِّكُمْ﴾ فرعون بمرأى منكم ﴿وَوَعَدْنَاكُمْ جَانِبَ الطُّورِ الْأَيْمَنِ﴾ وهو أن الله تعالى وعد موسى ﷺ بعد أن أغرق فرعون ليأتي جانب الطور الأيمن فيؤتيه التوراة فيها بيان الشرائع والأحكام وما يحتاجون إليه ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّاءَ وَالسَّلْوَى﴾ يعني في التيه^(٣).

قال بعض المفسرين: إنه كان سبب إنزال المن والسلوى عليهم أنه لما ابتلاههم الله بالتيه، إذ قالوا لموسى: ﴿فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾ حين أمرهم بالمسير إلى بيت المقدس وحرب العمالقة بقوله: ﴿ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ﴾ فوقعوا في

(١) تبين القرآن: سورة طه الآية ٤١ - ٧٧، ص ٣٢٦ - ٣٢٩.

(٢) سورة طه: ٨٠.

(٣) تفسير مجمع البيان: ج ٧ ص ٤٤ سورة طه.

التيه أربعين، سنة، ولما ندموا على ما فعلوه، فألطف الله بهم بالغمام لما شكوا حر الشمس، وأنزل عليهم المن من وقت طلوع الفجر إلى طلوع الشمس وكانوا يأخذون منها ما يكفيهم ليومهم.

قيل: وكان الرجل منهم إذا أخذ من المن والسلوى زيادة على طعام يوم واحد فسد إلا يوم الجمعة فإنهم إذا أخذوا طعام يومين لم يفسد، وكانوا يأخذون منها ما يكفيهم ليوم الجمعة والسبت لأنه كان لا يأتيهم يوم السبت وكانوا يخبزونه مثل القرصة ويوجد له طعام كالشهد المعجون بالسمن، وكان الله تعالى يبعث لهم السحاب بالنهار فيدفع عنهم حر الشمس وكان ينزل عليهم في الليل من السماء عمود من نور يضيء لهم مكان السراج^(١).

وفي تفسير القمي: إن بني إسرائيل لما عبر بهم موسى عليه السلام البحر نزلوا في مفازة فقالوا: يا موسى أهلكتنا وقتلتنا وأخرجتنا من العمران إلى مفازة لا ظل ولا شجر ولا ماء وكانت تحيء بالنهار غمامة تظلمهم من الشمس وينزل عليهم بالليل المن فيقع على النبات والشجر والحجر فيأكلونه وبالعشي يجيء طائر مشوي فيقع على موئدهم فإذا أكلوا وشبعوا طار^(٢).

وفي رواية عن ابن عباس قال: قال بنو إسرائيل لموسى عليه السلام حين جاز بهم البحر خبرنا يا موسى بأي قوة وأي عدة وعلى أي حمولة نبلغ الأرض المقدسة ومعك الذرية والنساء والهرمى والزمنى؟

فقال موسى عليه السلام: ما أعلم قوماً ورثه الله من عرض الدنيا ما ورثكم، ولا أعلم أحداً آتاه منها مثل الذي آتاكم، فمعكم من ذلك ما لا يحصيه إلا الله تعالى، وقال موسى: سيجعل الله لكم مخرجاً فاذكروه وردوا إليه أموركم فإنه أرحم بكم من أنفسكم، قالوا: فادعه يطعمنا ويسقنا ويكسنا ويحملنا من الرحلة ويظللنا من الحر، فأوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام: قد أمرت السماء أن يمطر عليهم المن والسلوى،

(١) تفسير مجمع البيان: ج ١ ص ٢٢٥ - ٢٢٦ سورة البقرة.

(٢) تفسير القمي: ج ١ ص ٤٨.

وأمرت الريح أن يشوي لهم السلوى، وأمرت الحجارة أن تنفجر، وأمرت الغمام أن تظلمهم، وسخرت ثيابهم أن تنبت بقدر ما ينبتون، فلما قال لهم موسى ﷺ ذلك سكتوا، فسار بهم موسى فانطلقوا يؤمنون الأرض المقدسة وهي فلسطين، وإنما قدسها لأن يعقوب عليه السلام ولد بها، وكانت مسكن أبيه إسحاق ويوسف عليه السلام ونقلوا كلهم بعد الموت إلى أرض فلسطين^(١).

وفي الحديث: كان المن والسلوى ينزل على بني إسرائيل ما بين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس، فمن نام تلك الساعة لم ينزل نصيبه، فكان إذا انتبه فلا يرى نصيبه احتاج إلى السؤال والطلب^(٢).

وفي تفسير الإمام الحسن العسكري عليه السلام: قوله عز وجل: ﴿وَوَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّاءَ وَالسَّلْوى كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾^(٣).

قال الإمام عليه السلام: قال الله عز وجل: واذكروا يا بني إسرائيل إذ ﴿وَوَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ﴾ لما كنتم في التيه تقيكم حر الشمس وبرد القمر.

﴿وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّاءَ وَالسَّلْوى﴾ المن: الترنجيبين كان يسقط على شجرهم فيتناولونه، والسلوى السمانى، أطيّب طير لحماً يسترسل لهم فيصطادونه، قال الله عز وجل لهم: ﴿كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ واشكروا نعمتي وعظموا من عظمتي ووقروا من وقرة من أخذت عليكم العهود والمواثيق لهم محمد وآله الطيبين، قال الله عز وجل: ﴿وَمَا ظَلَمُونَا﴾ لما بدّلوا وقالوا غير ما به أمروا ولم يفوا بما عليه عاهدوا، لأن كفر الكافر لا يقدح في سلطاننا وممالكنا كما أن إيمان المؤمن لا يزيد في سلطاننا ﴿وَلَكِنْ كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ يضرون بها بكفرهم وتبديلهم^(٤).

وذكرنا في التبيين:

(١) بحار الأنوار: ج ١٣ ص ١٧٨ ب ٦ ح ٧.

(٢) من لا يحضره الفقيه: ج ١ ص ٥٠٣ ح ١٤٤٩.

(٣) سورة البقرة: ٥٧.

(٤) تفسير الإمام العسكري عليه السلام: ص ٢٥٧ - ٢٥٩ ح ١٢٦.

ثم قلنا لهم: ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ قَدْ أَنْجَيْنَاكُمْ مِنْ عَدُوِّكُمْ﴾ فرعون ﴿وَوَاعَدْنَاكُمْ﴾ إعطاء التوراة في ﴿جَانِبَ الطُّورِ﴾ اسم جبل ﴿الْأَيْمَنَ﴾ الأكثر يمناً ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ﴾ قسم من السكريات ﴿وَالسَّلْوَى﴾ قسم من الطير، وذلك حين كنتم في التيه.

﴿كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ أي اللذائذ المحللة ﴿وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ﴾ أي فيما رزقناكم بأن تبطروا بالنعم ولا تشكروها ﴿فَيَحِلَّ﴾ من الحلول أي الدخول ﴿عَلَيْكُمْ﴾ غَضَبِي وَمَنْ يَحِلِّ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَىٰ هلك وسقط في النار.

﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَنْ تَابَ﴾ من الكفر ﴿وَأَمَّنْ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى﴾ استمر على ما ذكر من الإيمان والعمل الصالح^(١).

٤٨

أضلهم السامري

قال الله تعالى: ﴿قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ﴾^(٢) الآيات.

روي: إن السامري أضلهم بالعجل الذي عبده، وكان سبب ذلك أن موسى ﷺ لما وعده الله أن ينزل عليه التوراة والألواح إلى ثلاثين يوماً أخبر بني إسرائيل بذلك، وذهب إلى الميقات وخلف هارون ﷺ على قومه فلما جاءت الثلاثون يوماً ولم يرجع موسى إليهم عصوا وأرادوا أن يقتلوا هارون! قالوا: إن موسى كذّبا وهرب منا.

فجاءهم إبليس في صورة رجل فقال لهم: إن موسى قد هرب منكم ولا يرجع إليكم أبداً، فأجمعوا إلي حليكم حتى أتخذ لكم إلهاً تعبدونه، وكان السامري على مقدمة موسى يوم أغرق الله فرعون وأصحابه فنظر إلى جبرئيل ﷺ وكان على

(١) تبيين القرآن: سورة طه الآية ٨٠ - ٨٢، ص ٣٢٩.

(٢) سورة طه: ٨٥ - ٩٨.

حيوان في صورة رمكة^(١) وكانت كلما وضعت حافرها على موضع من الأرض يتحرك ذلك الموضع، فنظر إليه السامري وكان من خيار أصحاب موسى ﷺ فأخذ التراب من حافر رمكة جبرئيل، وكان يتحرك فصره في صرة، وكان عنده يفتخر به على بني إسرائيل، فلما جاءهم إبليس واتخذوا العجل قال للسامري: هات التراب الذي معك، فجاء به السامري فألقاه إبليس في جوف العجل، فلما وقع التراب في جوفه تحرك وخار ونبت عليه الوير والشعر، فسجد له بنو إسرائيل، فكان عدد الذين سجدوا سبعين ألفاً من بني إسرائيل..

فقال لهم هارون ﷺ كما حكا الله: ﴿يَا قَوْمِ إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي﴾ * قالوا لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَى^(٢) فهموا بهارون حتى هرب من بينهم وبقوا في ذلك حتى تم ميقات موسى أربعين ليلة، فلما كان يوم عشرة من ذي الحجة أنزل الله عليه الألواح فيه التوراة وما يحتاجون إليه من أحكام السير والقصص.

ثم أوحى الله إلى موسى ﷺ: ﴿فَإِنَّا قَدْ فُتِنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ﴾ وعبدوا العجل وله خوار، فقال موسى ﷺ: يا رب العجل من السامري فالخوار ممن؟ قال: مني يا موسى أنا لما رأيتهم قد ولوا عني إلى العجل أحببت أن أزيدهم فتنة، ﴿فَرَجَعَ مُوسَى﴾ كما حكا الله ﴿إِلَى قَوْمِهِ غَضَبَانَ أَصْفَاءَ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعَدًّا حَسَنًا أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ أَمْ أَرَدْتُمْ أَنْ يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُمْ مَوْعِدِي﴾.

ثم رمى بالألواح وأخذ بلحية أخيه هارون ورأسه يجره إليه فقال له: ﴿مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا﴾ * أَلَا تَتَّبِعَنِ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي﴾ فقال هارون كما حكا الله: ﴿يَا بَنُ أُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي﴾.

(١) على وزن (رقبة) انثى الأتان.

(٢) سورة طه: ٨٩ - ٩٠.

فقال له بنو إسرائيل: ﴿مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلِكِنَا﴾ قال: ما خالفناك ﴿وَلَكِنَّا حُمَلْنَا أَوْزَاراً مِنْ زِينَةِ الْقَوْمِ﴾ يعني من حلّهم ﴿فَقَذَفْنَاهَا﴾ قال: التراب الذي جاء به السامري طرحناه في جوفه، ثم أخرج السامري العجل و﴿لَهُ خُورٌ﴾ فقال له موسى: ﴿فَمَا خَطْبُكَ يَا سَامِرِيُّ﴾ قال: السامري ﴿بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ﴾ يعني من تحت حافر رمكة جبرئيل في البحر ﴿فَنَبَذْتُهَا﴾ أي أمسكتها ﴿وَكَذَلِكَ سَوَّلْتُ لِي نَفْسِي﴾ أي زينت، فأخرج موسى ﷺ العجل فأحرقه بالنار وألقاه في البحر، ثم ﴿قَالَ﴾ موسى للسامري ﴿فَاذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَنْ تَقُولَ لَا مِسَاسَ﴾ يعني ما دمت حياً وعقبك هذه العلامة فيكم قائمة أن تقول: لا مساس حتى تعرفوا أنكم سامرية فلا يغتروا بكم الناس فهم إلى الساعة بمصر والشام معروفين بلا مساس، ثم هم موسى ﷺ بقتل السامري فأوحى الله إليه: لا تقتله يا موسى فإنه سخي، فقال له موسى ﴿انْظُرْ إِلَى إِلْهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفاً لَنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا ۖ إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلُّ شَيْءٍ عِلْماً﴾^(١).

وفي تفسير القمي: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ قال: الفلق جب في جهنم يتعوذ أهل النار من شدة حرّه، فسأل الله أن يأذن له أن يتنفس، فأذن له فتنفس فأحرق جهنم، قال: وفي ذلك الجب صندوق من نار يتعوذ أهل الجب من حر ذلك الصندوق وهو التابوت، وفي ذلك التابوت ستة من الأولين وستة من الآخرين، فأما الستة من الأولين: فابن آدم الذي قتل أخاه، ونمرود إبراهيم الذي ألقى إبراهيم ﷺ في النار، وفرعون موسى، والسامري الذي اتخذ العجل، والذي هود اليهود، والذي نصر النصارى. وأما الستة من الآخرين: فهو الأول والثاني والثالث والرابع وصاحب الخوارج وابن ملجم، ﴿وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ﴾ قال: الذي يُلقى في الجب يقب فيه^(٢).

وسأل الشامي أمير المؤمنين ﷺ: عن الثور ما باله غاض طرفه لا يرفع رأسه إلى

(١) بحار الأنوار: ج ١٣ ص ٢٠٩ - ٢١٠ ب ٧ ح ٤.

(٢) تفسير القمي: ج ٢ ص ٤٤٩ سورة الفلق. والوقوب هو الدخول.

السما؟ قال ﷺ: حياء من الله عز وجل لما عبد قوم موسى العجل نكس رأسه^(١).

وذكرنا في التبيين:

﴿وَمَا أَعْجَلَكَ﴾ ما سبب أن تعجل أنت ﴿عَنْ﴾ المجيء مع ﴿قَوْمِكَ يَا مُوسَى﴾

حيث قال سبحانه: ﴿وَوَاعَدْنَاكُمْ جَانِبَ الطُّورِ﴾، إذ كان الميعاد أن يخرج موسى ﷺ مع قومه فتعجل ﷺ ووصل إلى الطور قبل قومه.

﴿قَالَ﴾ موسى ﷺ ﴿هُمْ﴾ القوم هـ ﴿أُولَئِكَ﴾ الذين ﴿عَلَىٰ أَثَرِي﴾ في عقبي

وَعَجَلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ﴾ زيادة لرضاك.

﴿قَالَ﴾ الله ﴿فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا﴾ امتحنا ﴿قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ﴾ بعد خروجك من بينهم

وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ﴾ الذي كان أحد بني إسرائيل حيث صنع لهم عجلاً من الذهب ودعاهم إلى عبادته فعبدوه.

﴿فَرَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا﴾ حزينا ﴿قَالَ يَا قَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ

وَعَدًا حَسَنًا﴾ بأن يعطيكم التوراة ﴿أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ﴾ زمان مفارقتي لكم ﴿أَمْ

أَرَدْتُمْ أَنْ يَحِلَّ﴾ يثبت ﴿عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ حيث عبدتم العجل ﴿فَأَخْلَفْتُمْ

مَوْعِدِي﴾ وعدكم إياي باللحاق بي والبقاء على ديني، والاستفهام إنكاري.

﴿قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلَكِنَا﴾ أي ونحن مالكون لإرادتنا، بل فقدنا الإرادة

حين غلبنا السامري بتزويره ﴿وَلَكِنَّا حُمَلْنَا﴾ كان معنا ﴿أَوْزَارًا﴾ أثقالاً ﴿مِنْ زِينَةِ الْقَوْمِ﴾

﴿الْقَبْطُ فَإِنَّهُمْ أَخَذُوا مِنْهُمْ جَمْلَةً مِنَ الْحَلِيِّ وَتَوَضَّعُوا فِي مِصْرَ فَكَانَتْ مَعَهُمْ لَمَّا عَبَرُوا

الْبَحْرَ فَقَذَفْنَاهَا﴾ ألقينا تلك الزينة في النار بأمر السامري ﴿فَكَذَلِكُ﴾ كما ألقينا ﴿أَلْقَىٰ

السَّامِرِيُّ﴾ ما معه في النار حيث قال يجب أن تحترق هذه الزينة.

﴿فَأَخْرَجَ﴾ السامري ﴿لَهُمْ عِجْلًا﴾ صاغه من الذهب ﴿جَسَدًا﴾ جسماً بلا روح

﴿لَهُ خَوَارٌ﴾ صوت إما بالريح أو من أثر جبرئيل ﴿فَقَالُوا﴾ السامري وأتباعه ﴿هَذَا

إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ﴾ موسى ﷺ أن هذا إلهه.

﴿أَفَلَا يَرَوْنَ﴾ أفلا يرى بنو إسرائيل ﴿أَلَّا يَرْجِعَ﴾ يرد العجل ﴿إِلَيْهِمْ قَوْلًا﴾

(١) انظر علل الشرائع: ج ٢ ص ٤٩٤ ب ٢٤٥ ح ١.

جواباً، ومن لا يقدر على جواب السؤال ليس إليها ﴿وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا﴾.
 ﴿وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِنْ قَبْلُ﴾ قبل عود موسى ﷺ ﴿يَا قَوْمِ إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ﴾
 فتنكم السامري بهذا العجل أي أضلكم ﴿وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ﴾ لا العجل ﴿فَاتَّبِعُونِي﴾
 فيما أدعوكم إليه ﴿وَأَطِيعُوا أَمْرِي﴾.
 ﴿قَالُوا لَنْ نَبْرَحَ﴾ لن نزال ﴿عَلَيْهِ﴾ على العجل ﴿عَاكِفِينَ﴾ مقيمين ﴿حَتَّى يَرْجِعَ﴾
 إِلَيْنَا مُوسَى.

﴿قَالَ﴾ موسى ﷺ ﴿يَا هَارُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا﴾ بعبادة العجل.
 ﴿أَلَا تَتَّبِعُنِ﴾ بأن تخرج إليّ وتتركهم فما سبب عدم خروجك ﴿أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي﴾
 حيث أقمت فيما بينهم.

﴿قَالَ يَا ابْنَ أُمِّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي﴾ حيث أخذهما موسى ﷺ بجر
 هارون ﷺ إلى الخارج من الجماعة، إظهاراً لبراءتهما منهم، وحيث كان ذلك منظر
 الساخط على هارون أمام بني إسرائيل، نهاه هارون عن ذلك ﴿إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ﴾
 فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿لو فارقتهم فإنه يقع الخلاف الشديد بينهم كما هو شأن﴾
 خروج كل زعيم من بين الناس ﴿و﴾ تقول لي ﴿لَمْ تَرْقُبْ﴾ لم تراع ﴿قَوْلِي﴾ حيث
 قلت لي: (أصلح)، بأن تقول لي خروجك لم يكن إصلاحاً.

ثم توجه موسى ﷺ إلى السامري ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكَ﴾ شأنك الذي حملك على
 ما فعلت ﴿يَا سَامِرِيُّ﴾.

﴿قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ﴾ رأيت ما لم يره بنو إسرائيل حيث عند دخولنا
 البحر رأيت جبرئيل ﷺ وتحت قدمه التراب يتحرك، حيث تضيء قدمه عليه روحاً
 ﴿فَقَبَضْتُ قُبْضَةً مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ﴾ جبرئيل ﴿فَنَبَذْتُهَا﴾ ألقيتها في جوف العجل، ولذا
 صار له خوار ﴿وَكَذَلِكَ﴾ هكذا ﴿سَوَّلْتُ﴾ زينت ﴿لِي نَفْسِي﴾ بأن أفعل هكذا.

﴿قَالَ﴾ موسى ﷺ للسامري ﴿فَاذْهَبْ﴾ طريداً ﴿فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ﴾ ما دمت
 حياً ﴿أَنْ تَقُولَ﴾ لمن لقينته ﴿لَا مِسَاسَ﴾ أي لا تمسني وكان إذا مسّه أحد أخذته الحمى
 فصار يهيم في البرية ﴿وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا﴾ بعذابك ﴿لَنْ تُخْلَفَهُ﴾ لن تخلف عن ذلك

الموعد وهو عند الموت أو في القيامة ﴿وَانْظُرْ إِلَى إِلْهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا﴾ تقيم على عبادته ﴿لنُحَرِّقَنَّهُ﴾ بالنار ﴿ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ﴾ نذريه ﴿فِي الْيَمِّ﴾ في البحر ﴿نَسْفًا﴾. ﴿إِنَّمَا إِلَهُكُمُ﴾ المستحق للعبادة ﴿اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ علمه شمل كل شيء^(١).

وفي مجمع البيان:

﴿قَالَ﴾ هارون ﴿يَا بَنَ أُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي﴾ قيل: كانت العادة جارية قي القبض عليهما في ذلك الزمان، كما أن العادة في زماننا هذا القبض على اليد والمعانقة، وذلك مما تختلف العادة فيه بالأزمنة والأمكنة. وقيل: إنه أجراه مجرى نفسه إذا غضب في القبض على لحيته؛ لأنه لم يكن يتهم عليه كما لا يتهم على نفسه. ثم بين ﷺ عذره في مقامه معهم فقال: ﴿إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ يعني أنني لو فارقتهم أو قاتلتهم لصاروا أحزاباً وتفرقوا فرقاً، ففريق يلحقون بك معي وفريق يقيمون مع السامري على عبادة العجل وفريق يتوقفون شاكين في أمره، مع أنني لم أؤمن إن تركتهم أن يصيروا بالخلاف إلى تسافك الدماء، وشدة التصميم والثبات على اتباع السامري فإنهم كانوا يمتنعون بعض الامتناع بمكاني فيهم. وكنت أوجه إليهم من الإنكار مقدار ما يتحمله الحال وذلك قوله: ﴿يَا قَوْمِ إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ﴾^(٢) فاعتذر بما يقبل مثله؛ لأنه وجه واضح من وجوه الرأي. وقوله: ﴿وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي﴾ معناه: ولم تحفظ وصيتي ولم تعمل به حين قلت: ﴿اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ﴾^(٣)،^(٤).

وذكرنا في التبيين في تفسير آيات أخرى:

﴿وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَى مِنْ بَعْدِهِ﴾ بعد ذهابه إلى الميقات ﴿مِنْ حُلِيِّهِمْ﴾ كالسوار والخلخال وما أشبه ﴿عِجْلًا﴾ ولد البقر ﴿جَسَدًا﴾ لا روح فيه ﴿لَهُ خَوَارٍ﴾ صوت،

(١) تبيين القرآن: سورة طه الآية ٨٣ - ٩٨، ص ٣٢٩ - ٣٣٠.

(٢) سورة طه: ٩٠.

(٣) سورة الأعراف: ١٤٢.

(٤) تفسير مجمع البيان: ج ٧ ص ٥٠ - ٥١ سورة طه.

قيل إن السامري احتال لدخول الهواء في جوفه فكان يصوت ﴿أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا﴾ فكيف ﴿اتَّخَذُوهُ﴾ إلهاً ﴿وَكَانُوا ظَالِمِينَ﴾ لأنفسهم بهذه العبادة. ﴿وَلَمَّا سَقَطَ فِي أَيْدِيهِمْ﴾ أي ندموا، فإن النادم يضع رأسه على كفه ﴿وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا﴾ وذلك بعد مجيء موسى ﷺ وتوبيههم ﴿قَالُوا لَئِنْ لَمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرَ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ الذين خسروا أنفسهم بالعقاب.

﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى﴾ من الطور ﴿إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ﴾ في حالة الغضب ﴿أَسِفًا﴾ شديد الغضب و التأسف ﴿قَالَ﴾ موسى ﷺ ﴿بَشْمًا خَلَفْتُمُونِي مِنْ بَعْدِي﴾ أي بثست خلافتكم حيث عبدتم العجل ﴿أَعَجَلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ﴾ أي وعده الذي وعده من أربعين ليلة، أي تركتموه غير تام ﴿وَأَلْقَى الْأَلْوَحَ﴾ من شدة حميته للدين وإظهاراً للتفر من القوم ﴿وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ﴾ كأنه يريد أن يخرج هو وأخوه من بين القوم ﴿قَالَ﴾ هارون ﷺ ﴿ابْنَ أُمِّ﴾ جاء باسم الأم استعطافاً ﴿إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضَعُّفُونِي﴾ أي عدوني ضعيفاً، فلم يسمعو كلامي في كفهم عن عبادة العجل ﴿وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي﴾ أي قاربوا أن يقتلوني ﴿فَلَا تُشِمْتُ بِي الْأَعْدَاءِ﴾ أي لا تعاتبني حتى يشمت الأعداء بي، ويقولون إنك لست محبوباً لدى موسى ولذا يعاتبك ﴿وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ أي لا تؤاخذني كما تؤاخذ عباد العجل الذين ظلموا أنفسهم بالشرك. ﴿قَالَ رَبِّ اغْفِرْ﴾ استر علينا فإن الإنسان يحتاج إلى ستر الله دائماً ﴿لِي وَلِأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ﴾ بمزيد الإنعام ﴿وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾.

﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ﴾ عبده ﴿سَيَنَالُهُمْ﴾ يلحقهم ﴿غَضَبٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ بقتل بعضهم بعضاً ﴿وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ﴾ بالإشراك. ﴿وَالَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِهَا﴾ بعد السيئات ﴿وَأَمَّنُوا﴾ إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ. ﴿وَلَمَّا سَكَتَ﴾ سكن ﴿عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ أَخَذَ الْأَلْوَحَ﴾ من الأرض ﴿وَفِي نُسْخَتِهَا﴾ أي ما نسخ وكتب فيها ﴿هُدًى وَرَحْمَةً لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ﴾ أي يخشون الله^(١).

تعبيد بني إسرائيل

قال الله تعالى: ﴿وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبْدْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾^(١).

يقال: عبّده وأعبده إذا اتخذته عبداً.

قيل: إنه إنكار للمنة أصلاً، ومعناه: أتمن عليّ بأن ربيتني مع استعبادك قومي! هذه ليست بنعمة. يريد أن اتخذك بني إسرائيل الذين هم قومي عبداً أحبط نعمتك التي تمن بها عليّ.

وقيل: إن معناه أنك لو كنت لا تستعبد بني إسرائيل ولا تقتل أبناءهم لكانت أمني مستغنية عن قذفي في اليم. فكأنك تتمن عليّ بما كان بلاؤك سبباً له، وقيل: إن فرعون لما قال لموسى عليه السلام: ألم نربك فينا وليداً فاعتد عليه بأن رباه وليداً منذ ولد إلى أن كبر. فكان من جواب موسى عليه السلام له: تلك نعمة تعتد بها عليّ لأنك عبدت بني إسرائيل، ولو لم تعبدهم لكفلني أهلي فلم يلقوني في اليم فإنما صارت لك عليّ نعمة لما أقدمت عليه مما حظره الله عليك.

وقيل: إن فيه بيان أنه ليس لفرعون على موسى عليه السلام نعمة؛ لأن الذي تولى تربيته أمه وغيرها من بني إسرائيل بأمر فرعون لما استعبدهم. فيكون معناه: إنك تمن عليّ بأن استعبدت بني إسرائيل حتى ربوني وحفظوني^(٢).

وهكذا جعل فرعون بني إسرائيل عبداً له وحملهم ما لا يطيقون وذبح أبناءهم واستحى نسائهم إلى أن أنقذهم الله بالنبي موسى عليه السلام.

روي: إن فرعون قد وكل بنساء بني إسرائيل نساءً من القبط تحفظهن، وذلك أنه لما كان بلغه عن بني إسرائيل أنهم يقولون: إنه يولد فينا رجل يقال له موسى بن

(١) سورة الشعراء: ٢٢.

(٢) راجع تفسير مجمع البيان: ج ٧ ص ٣٢٥ سورة الشعراء.

عمران يكون هلاك فرعون وأصحابه على يديه، فقال فرعون عند ذلك: لأقتلن ذكور أولادهم حتى لا يكون ما يريدون، وفرّق بين الرجال والنساء وحبس الرجال في المحابس^(١).

وذكرنا في التبيين:

﴿قَالَ﴾ فرعون ﴿أَلَمْ نُرَبِّكَ﴾ يا موسى تربية ﴿فِينَا﴾ في منازلنا ﴿وَلِيدًا﴾ طفلاً ﴿وَلَيْثًا﴾ بقيت ﴿فِينَا مِنْ عُمْرِكَ سِنِينَ﴾ سنوات من عمرك حتى صرت شاباً. ﴿وَفَعَلْتَ فَعَلْتِكَ الَّتِي فَعَلْتَ﴾ من قتل القبطي ﴿وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ بنعمتي التي أسبغتها عليك حيث قتلت أحد أتباعي.

﴿قَالَ﴾ موسى ﷺ ﴿فَعَلْتُهَا﴾ فعلت الفعل، أي القتل ﴿إِذَا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ﴾ عن طريقك، أي لم أكن اعترف بطريقتكم، ولست كافراً بنعمتك كما زعمت. ﴿فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ﴾ أن تقتلوني قصاصاً للقبطي ﴿فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا﴾ سلطة وحكومة ﴿وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ نبياً.

﴿وَتِلْكَ﴾ التربية ﴿نِعْمَةً تَمْنُهَا عَلَيَّ﴾ أي هذه ليست نعمة وإنما هي خلاف النعمة ﴿أَنْ عَبَدْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ اتخذتهم عبيداً تقتل أولادهم مما ألجأت أمي إلى أن تقذفني في النيل.

﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ ما هو حقيقته؟.

﴿قَالَ﴾ موسى ﷺ هو ﴿رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنَّ كُنُتُمْ مُوقِنِينَ﴾ بشيء، فهذا أولى الأشياء باليقين.

﴿قَالَ﴾ فرعون ﴿لِمَنْ حَوْلُهُ أَلَا تَسْتَمِعُونَ﴾ جواب موسى ﷺ أنا أسأله عن حقيقة إلهه، وهو يجيبني عن آثاره.

﴿قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ﴾ فهو خالقكم أجمعين.

﴿قَالَ﴾ فرعون غيظاً وبهتاً من جواب موسى ﷺ ﴿إِنَّ رَسُولَكُمْ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ﴾ لأنه يقول أشياء لا حقيقة لها حسب زعمه.

﴿قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنَّ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ﴾ أي إن استعملتم عقلكم لعلمتم ذلك.

﴿قَالَ﴾ فرعون، بعد أن عجز عن الجواب ﴿لَئِنْ اتَّخَذْتُ﴾ يا موسى ﴿إِلَهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ﴾ أحبسك في السجن.

﴿قَالَ﴾ موسى ﷺ ﴿أَفِ تَفْعَلْ ذَلِكَ وَلَوْ جِئْتِكَ بِشَيْءٍ﴾ بمعجزة ﴿مُبِينٍ﴾

واضح.

﴿قَالَ﴾ فرعون ﴿فَأْتِ بِهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ في دعواك.

﴿فَأَتَقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ﴾ حية ﴿مُبِينٌ﴾ ظاهر.

﴿وَنَزَعَ يَدَهُ﴾ أخرج يده من جيبه ﴿فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ﴾ بياضاً منيراً ﴿لِلنَّاظِرِينَ﴾ لمن

ينظر.

﴿قَالَ﴾ فرعون ﴿لِلْمَلَأِ﴾ الأشراف ﴿حَوْلَهُ إِنَّ هَذَا﴾ موسى ﷺ ﴿لَسَاحِرٌ

عَلِيمٌ﴾ خبير بفنون السحر.

﴿يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ﴾ فإنه إذا تسلط اضطرت الهيئة الحاكمة إلى

الفرار ﴿بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴾ في دفعه.

﴿قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ﴾ أي أخر أمرهما ﴿وَابْعَثْ﴾ أرسل ﴿فِي الْمَدَائِنِ﴾ في البلاد

﴿حَاشِرِينَ﴾ أشخاصاً جامعين للسحرة.

﴿يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ﴾ حاذق في السحر.

﴿فَجَمَعَ السَّحَرَةَ لِمِيقَاتٍ﴾ وقت ﴿يَوْمٍ مَعْلُومٍ﴾ معين^(١).

٥٠

ما ورثه بنو إسرائيل

قال الله تعالى: ﴿كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾^(١).

بعد ما أخبر الله سبحانه عن كيفية إهلاك آل فرعون بقوله: ﴿فَأَخْرَجْنَاهُمْ﴾ يعني آل فرعون ﴿مِّنْ جَنَّاتٍ﴾ أي بساتين ﴿وَعِيُونٍ﴾ جارية فيها. ﴿وَكُنُوزٍ﴾ أي أموال مخبأة وخزائن ودفائن ﴿وَمَقَامٍ كَرِيمٍ﴾ أي منابر يخطب عليها الخطباء. وقيل: هو مجالس الأمراء والرؤساء التي كان يحف بها الأتباع فيأتمرون بأمرهم. وقيل: المنازل الحسان التي كانوا مقيمين فيها في كرامة. وقيل: يريد مرابط الخيل لتفرد الرؤساء بارتباطها عدة وزينة فصار مقامها أكرم مقام متروك. ﴿كَذَلِكَ﴾ أي كما وصفنا لك أخبارهم ﴿وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ وذلك أن الله سبحانه رد بني إسرائيل إلى مصر بعدما أغرق فرعون وقومه وأعطاهم جميع ما كان لفرعون وقومه من الأموال والعقار والمساكن والديار^(٢).

وذكرنا في التبيين:

﴿فَدَعَا﴾ موسى ﷺ ﴿رَبَّهُ أَنْ هُوَّلَاءِ﴾ فرعون وملائه ﴿قَوْمٌ مُّجْرِمُونَ﴾ لا ينفع

معهم النصيح والإرشاد.

فأوحى الله إليه ﴿فَأَسْرِ﴾ أي سر ليلاً ﴿بِعِبَادِي﴾ مع بني إسرائيل ﴿لَيْلًا إِنَّكُمْ مُّتَّبِعُونَ﴾ يتبعكم فرعون وجنوده لإرجاعكم.

﴿وَاتْرِكْ الْبَحْرَ رَهْوًا﴾ ساكناً إذا قطعتة وعبرته فلا تضربه بعصاك ليرجع ماؤه كما كان ﴿إِنَّهُمْ جُنْدٌ مُّغْرَقُونَ﴾ لأجل أن يأتي فرعون وجنده في البحر فيغرقون. ﴿كَمْ تَرَكَوْا﴾ أي آل فرعون ﴿مِّنْ جَنَّاتٍ﴾ بساتين ﴿وَعِيُونٍ﴾ ماء.

(١) سورة الشعراء: ٥٩.

(٢) راجع تفسير مجمع البيان: ج ٧ ص ٣٣٢ - ٣٣٣ سورة الشعراء.

﴿وَزُرُوعٌ وَمَقَامٌ كَرِيمٌ﴾ مجالس حسنة ومنازل جميلة.
 ﴿وَنِعْمَةٌ﴾ تنعموا بها ﴿كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ﴾ ناعمين.
 ﴿كَذَلِكَ﴾ هكذا فعلنا بهم ﴿وَأَوْرَثْنَاهَا﴾ أعطينا كل نعمهم ﴿قَوْمًا آخَرِينَ﴾ بني إسرائيل لأنهم حكموا مصر بعد فرعون.
 ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ﴾ أي لم يكن لهم أهمية حتى تحزن عليهم
 ﴿وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ﴾ أي لما أتاهم العذاب لم يمهلوا.
 ﴿وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنَ الْعَذَابِ الْمُهِينِ﴾ المذل لهم وهو عذاب فرعون
 وإذلاله لهم. ﴿مِنْ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ كَانَ عَلِيًّا﴾ متجبراً ﴿مِّنَ الْمُسْرِفِينَ﴾ الذين يتعدون الحد.
 ﴿وَلَقَدْ اخْتَرْنَاَهُمْ﴾ بني إسرائيل ﴿عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ منا باستحقاقهم ذلك ﴿عَلَىٰ الْعَالَمِينَ﴾ عالمي زمانهم.
 ﴿وَأَتَيْنَاهُمُ﴾ أعطيناهم ﴿مِّنَ الْآيَاتِ﴾ كالعصا واليد وفلق البحر ﴿مَا فِيهِ بَلَاءٌ﴾ امتحان ﴿مُبِينٌ﴾ واضح^(١).

٥١

القرآن وبنو إسرائيل

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾^(٢).

ذكر سبحانه من الحجج ما يقوي قلب نبيه ﷺ فقال: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ أي يخبرهم بالصدق ﴿أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ من حديث مريم وعيسى والنبي المبشر به في التوراة حيث قال بعضهم: هو يوشع، وقال

(١) تبيين القرآن: سورة الدخان الآية ٢٢ - ٣٣، ص ٥١٠.

(٢) سورة النمل: ٧٦.

بعضهم: لا بل هو منتظر لم يأت بعد، وغير ذلك من الأحكام. وكان ذلك معجزة
لبنينا ﷺ إذ كان لا يدرس كتبهم ولا يقرؤها ثم يخبرهم بما فيها^(١).

وذكرنا في التبيين:

﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَقْصُ﴾ يخبر بالحق ﴿عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ
يَخْتَلِفُونَ﴾ من أمر المسيح ومريم وعزير ﷺ وغيرهم^(٢).

٥٢

لقاء موسى ﷺ

قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَلَا تَكُنْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقَائِهِ وَجَعَلْنَاهُ
هُدًى لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ﴾^(٣).

﴿الْكِتَابَ﴾ يعني التوراة ﴿فَلَا تَكُنْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقَائِهِ﴾ أي في شك من لقائه، أي
من لقاءك موسى ﷺ ليلة الإسراء بك إلى السماء. وقد ورد في الحديث عن النبي
ﷺ أنه قال: «رأيت ليلة أسري بي موسى بن عمران ﷺ رجلاً طويلاً جعداً
كأنه من رجال شنوءة، ورأيت عيسى بن مريم ﷺ رجلاً مربع الخلق إلى الحمرة
والبياض سبط الرأس»^(٤). فعلى هذا فقد وعد ﷺ أنه سيلقى موسى قبل أن يموت.

وقيل: فلا تكن في مرية من لقاء موسى ﷺ إياك في الآخرة.

وقيل: معناه فلا تكن يا محمد ﷺ في مرية من لقاء موسى الكتاب.

وقيل: معناه فلا تكن في شك من لقاء الأذى كما لقي موسى الأذى، فكأنه

قال: فلا تك في مرية من أن تلقى كما لقي موسى.

(١) تفسير مجمع البيان: ج ٧ ص ٤٠٢ سورة النمل.

(٢) تبيين القرآن: سورة النمل الآية ٧٦، ص ٣٩٥.

(٣) سورة السجدة: ٢٣.

(٤) بحار الأنوار: ج ١٣ ص ٣.

﴿وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ أي وجعلنا موسى هادياً لهم. وقيل: وجعلنا الكتاب هادياً لهم^(١).

أقول: الهداية بشرط العمل بكتابهم ولكنهم حرفوه ولم يعملوا به.

وذكرنا في التبيين:

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾ كما أعطيناك ﴿فَلَا تَكُنْ فِي مِرْيَةٍ﴾ شك ﴿مِنْ لِقَائِهِ﴾ لقائك للكتاب، فإن أهل الكتاب كانوا يشككون المسلمين في أن القرآن ليس كتاباً من عند الله ﴿وَجَعَلْنَاهُ﴾ أي كتاب موسى ﷺ ﴿هُدًى لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ﴾. ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ﴾ من بني إسرائيل ﴿أُمَّةً يَهْدُونَ﴾ الناس ﴿بِأَمْرِنَا﴾ حيث أمرناهم بالهداية ﴿لِمَا صَبَرُوا﴾ جعلناهم أئمة ﴿وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوَفُونَ﴾ لإمعانهم النظر فيها^(٢).

٥٣

عندما عملوا بأحكام الله

قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾^(٣).

﴿الْكِتَابَ﴾ يعني التوراة ﴿وَالْحُكْمَ﴾ يعني العلم بالدين. وقيل: العلم بالفصل بين الخصمين وبين الحق والمبطل ﴿وَالنُّبُوَّةَ﴾ أي وجعلنا فيهم النبوة حتى روي أنه كان فيهم ألف نبي ﴿وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ﴾ أي وأعطيناهم من أنواع الطيبات ﴿وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ أي عالمي زمانهم.

وقيل: فضلناهم في كثرة الأنبياء منهم على سائر الأمم وإن كانت أمة محمد ﷺ أفضل منهم في كثرة المطيعين لله وكثرة العلماء منهم، كما يقال: هذا أفضل في علم

(١) تفسير مجمع البيان: ج ٨ ص ١١١ سورة السجدة.

(٢) تبيين القرآن: سورة السجدة الآية ٢٣ - ٢٤، ص ٤٢٩.

(٣) سورة الجاثية: ١٦.

النحو وذلك في علم الفقه. فأمة محمد ﷺ أفضل في علو منزلة نبيها ﷺ عند الله على سائر الأنبياء ﷺ، وكثرة المجتبيين الأخيار من آله وأمته، والفضل: الخير الزائد على غيره، فأمة محمد ﷺ أفضل بفضل محمد وآله^(١).

ثم إن سعادة الأمم وفوزها في الدارين بالأخذ بأحكام الله تعالى وشرائعه وسننه، وهكذا فضل الله بني إسرائيل عندما عملوا بإحكامه، ولما تخلوا عن شرائع الله أصبحوا أدلة خاسئين وخسروا الدنيا والآخرة معاً إلا الذين تاب منهم وأصلح.

٥٤

جبل على رؤوسهم

قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾^(٢).

وقال عز وجل: ﴿وَإِذْ نَقَعْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ وَظَنُّوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾^(٣).

في تفسير القمي: إن موسى عليه السلام لما رجع إلى بني إسرائيل ومعه التوراة لم يقبلوا منه فرفع الله جبل طور سينا عليهم، وقال لهم موسى عليه السلام: لئن لم تقبلوا ليقعن الجبل عليكم وليقتلنكم فنكسوا رؤوسهم فقالوا نقبله^(٤).

وعن أبي بصير قال: سأل طاووس اليماني الباقر عليه السلام عن طير طار مرة لم يطر قبلها ولا بعدها ذكره الله عز وجل في القرآن ما هو؟ فقال: «طور سيناء أطاره الله عز وجل على بني إسرائيل حين أظلمهم بجناح منه فيه أنواع العذاب حتى قبلوا التوراة

(١) تفسير مجمع البيان: ج ٩ ص ١٢٦ سورة الجاثية.

(٢) سورة البقرة: ٦٣.

(٣) سورة الأعراف: ١٧١.

(٤) تفسير القمي: ج ١ ص ٤٩ سورة البقرة.

وذلك قوله عز وجل: ﴿وَإِذْ تَنْقَنَّا الْجِبِلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ وَظَنُّوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ﴾. الخبر^(١).

وذكرنا في التبيين:

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ﴾ عهدكم الشديد بالعمل بما في التوراة ﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمْ الطُّورَ﴾ جبل ناجى الله عليه موسى ﷺ ثم قلعه الله سبحانه وجعله فوقهم، وهددهم إن لم يقبلوا الدين، أوقعه عليهم وأهلكهم بسببه ﴿خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ﴾ أعطيناكم من الأحكام والشرائع ﴿بِقُوَّةٍ﴾ بجد وعزم ﴿وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ﴾ أي ما في الكتاب الذي آتيناكم، بأن لا تنسوه وتتركوه ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ النار والعقاب، فإن العامل بالأحكام تتكون فيه ملكة التقوى.

﴿ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ﴾ أعرضتم عن العمل بالأحكام ﴿مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾ الميثاق ﴿فَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ﴾ بتوفيقكم للتوبة ﴿لَكُنْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ الذين خسروا آخرتكم ودنياكم^(٢).

٥٥

شاهد من بني إسرائيل

قال الله تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنَ عِنْدِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ وَشَهِدَ شَهِدٌ مِّنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِ فَأَمَنَ وَاسْتَكْبَرْتُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾^(٣).

نزلت هذه الآية في عبد الله بن سلام وهو الشاهد من بني إسرائيل. فروي أن عبد الله بن سلام جاء إلى النبي ﷺ فأسلم وقال: يا رسول الله، سل اليهود عني فإنهم يقولون هو أعلمنا. فإذا قالوا ذلك قلت لهم: إن التوراة دالة على نبوتك وإن صفاتك

(١) قصص الأنبياء، للجزائري: ص ٣٠٦.

(٢) تبيين القرآن: سورة البقرة الآية ٦٣ - ٦٤، ص ٢٠.

(٣) سورة الأحقاف: ١٠.

فيها واضحة. فلما سألهم قالوا ذلك، فحينئذ أظهر عبد الله بن سلام إيمانه فكذبوه^(١).

وذكرنا في التبيين: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ﴾ أخبروني ﴿إِنْ كَانَ﴾ القرآن ﴿مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ وَكَفَرْتُمْ بِهِ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿بَعْضُ مَنْ آمَنَ مِنَ الْيَهُودِ﴾ ﴿عَلَىٰ مِثْلِهِ﴾ أي مثل القرآن، بأن قال إن في التوراة ما يصدق ما في القرآن من أحوال المبدأ والمعاد وسائر الأمور ﴿فَأَمَّنْ﴾ لأنه وجد القرآن مطابقاً لما في كتابه ﴿وَاسْتَكْبَرْتُمْ﴾ تكبرتم عن الإيمان، أستم أظلم الناس حينئذ ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ الذين ظلموا أنفسهم بالكفر والفساد يتركهم حتى يضلوا عن الحق^(٢).

٥٦

مع النبي عيسى عليه السلام

قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾^(٣).

وقال عز وجل: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ﴾^(٤).

قصص النبي عيسى عليه السلام مع بني إسرائيل كثيرة، إن كثيراً من اليهود لم يؤمنوا بعيسى عليه السلام مع علمهم بأنه النبي المرسل، بل سعوا في قتله وزعموا بأنهم صلبوه، قال تعالى: ﴿وَقَوْلُهُمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ﴾^(٥).

(١) تفسير مجمع البيان: ج ٩ ص ١٣٩ سورة الأحقاف.

(٢) تبيين القرآن: سورة الأحقاف الآية ١٠، ٥١٦.

(٣) سورة الصف: ٦.

(٤) سورة الزخرف: ٥٩.

(٥) سورة النساء: ١٥٧.

كما أن عيسى عليه السلام بشر بني إسرائيل بخاتم الأنبياء محمد صلى الله عليه وسلم.

وقد عطف سبحانه بقصة عيسى عليه السلام على قصة موسى عليه السلام فقال: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ أَيُّ وَادِّكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ إِذْ قَالَ عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ ﷺ لِقَوْمِهِ الَّذِينَ بَعَثَ إِلَيْهِمْ ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ﴾ الْمُنْزَلَةَ عَلَى مُوسَى ﷺ ﴿وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾ يَعْنِي نَبِيَّنَا مُحَمَّدًا ﷺ ، ولهذا الاسم معنيان أحدهما: أن يجعل أحمد مبالغة من الفاعل أي هو أكثر حمداً لله من غيره. والآخر: أن يجعل مبالغة من المفعول أي يحمد بما فيه من الأخلاق والمحاسن أكثر مما يحمد غيره.

قال رسول الله ﷺ: «إن لي أسماء: أنا أحمد، وأنا محمد، أنا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر، وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي، وأنا العاقب الذي ليس بعدي نبي».

وقد تضمنت الآية أن عيسى عليه السلام بشر قومه بمحمد صلى الله عليه وسلم وبنوته وأخبرهم برسالته. وفي هذه البشيرة معجزة لعيسى عليه السلام عند ظهور محمد صلى الله عليه وسلم وأمر لأمتة أن يؤمنوا به عند مجيئه، ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ﴾ أحمد ﴿بِالْبَيِّنَاتِ﴾ أي بالدلالات الظاهرة والمعجزات الباهرة ﴿قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾ أي ظاهر^(١).

ثم وصف سبحانه المسيح عليه السلام فقال: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ﴾ أي ما هو إلا عبد أنعمنا عليه بالخلق من غير أب وبالنبوة ﴿وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ أي آية لهم ودلالة يعرفون بها قدرة الله تعالى على ما يريد حيث خلقه من غير أب، فهو مثل لهم يشبهون به ما يرون من أعاجيب صنع الله^(٢).

وذكرنا في التبيين: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ﴾ لما تقدم ﴿مِنَ التَّوْرَةِ﴾ بيان لـ (ما) ﴿وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾ رسولنا العظيم محمد صلى الله عليه وسلم ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ﴾ أي عيسى عليه السلام أو

(١) تفسير مجمع البيان: ج ٩ ص ٤٦٢ - ٤٦٣ سورة الصف.

(٢) تفسير مجمع البيان، العلامة الشيخ الطبرسي: ج ٩ ص ٩٠ سورة الزخرف.

أحمد عليه السلام «بِالْبَيِّنَاتِ» بالأدلة الواضحة «قَالُوا هَذَا» الذي جئنا به من المعجزات «سِحْرٌ مُبِينٌ» واضح^(١).

٥٧

إيذاء الأنبياء

قال الله تعالى: «وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَقَوْمِ لِمَ تُوذُونَنِي وَقَدْ تَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ»^(٢).

وهكذا كانت اليهود تؤذي نبيها موسى عليه السلام وسائر أنبياء بني إسرائيل بل كانوا يقتلونهم.

وكثيراً ما اتهموا الأنبياء بالسحر، كما في النبي عيسى عليه السلام ونبينا محمد عليه السلام.

وفي الحديث: إن بني إسرائيل كانوا يقتلون ما بين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس سبعين نبياً، ثم يجلسون في أسواقهم يبيعون ويشترون كأن لم يصنعوا شيئاً^(٣).

وفي بعض الروايات أن بني إسرائيل كانوا يذيعون سر الأنبياء فيؤخذون ويقتلون، في تفسير العياشي عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «سمعوا أحاديثهم فإذا عووها فأخذوا عليها فقتلوا فصار قتلاً واعتداءً ومعصية»^(٤).

وروي إن شعيا النبي عليه السلام أوحى إليه الله ليقوم في بني إسرائيل، يذكرهم بما يوحى على لسانه لما كثرت فيهم الأحداث، ففعل، فعدوا عليه ليقتلوه، فهرب منهم فلقيته شجرة فانفلقت له فدخلها، وأخذ الشيطان بهدب^(٥) ثوبه وأراه بني إسرائيل،

(١) تبيين القرآن: سورة الصف الآية ٦، ص ٥٦٦.

(٢) سورة الصف: ٥.

(٣) اللهوف في قتلى الطفوف: ص ٢٢.

(٤) تفسير العياشي: ج ١ ص ١٩٦ سورة آل عمران.

(٥) هدب الثوب وهدابه: ما على أطرافه.

فوضعوا المنشار على الشجرة فنشروها حتى قطعوه في وسطها^(١).

وروي أنه: لما بعث الله عز وجل عيسى ابن مريم عليه السلام واستودعه النور والعلم والحكمة وجميع علوم الأنبياء قبله وزاده الإنجيل وبعثه إلى بيت المقدس إلى بني إسرائيل يدعوهم إلى كتابه وحكمته وإلى الإيمان بالله ورسوله، فأبى أكثرهم إلا طغياناً وكفراً، فلما لم يؤمنوا به دعا ربه وعزم عليه فمسح منهم شياطين ليربهم آية فيعتبروا، ولم يزدهم ذلك إلا طغياناً وكفراً، فأتى بيت المقدس فمكث يدعوهم ويرغبهم فيما عند الله ثلاثاً وثلاثين سنة حتى طلبته اليهود وادعت أنها عذبتة ودفنته في الأرض حياً، وادعى بعضهم أنهم قتلوه وصلبوه وما كان الله ليجعل لهم سلطاناً عليه وإنما شبه لهم وما قدروا على عذابه ودفنه ولا على قتله وصلبه^(٢).

ومن إيذائهم للأنبياء عليهم السلام ما ورد في الآيات الشريفة التالية:

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَاقَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا وَآتَاكُمْ مَا لَمْ يُوْتِ أَحَدٌ مِّنَ الْعَالَمِينَ * يَاقَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ * قَالُوا يَامُوسَى إِنَّا فِيهَا قَوْمٌ جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَنَ نَدْخُلُهَا حَتَّى يَخْرُجُوا مِنهَا فَإِن يَخْرُجُوا مِنهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ * قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ * قَالُوا يَامُوسَى إِنَّا لَنَ نَدْخُلُهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبِّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ * قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَافْرِقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾^(٣).

قيل: إن الله عز وجل وعد موسى عليه السلام أن يورثه وقومه الأرض المقدسة وهي الشام، وكان يسكنها الكنعانيون الجبارون وهم العمالقة من ولد عملاق بن لاوذ بن سام بن نوح، وعد الله موسى أن يهلكهم ويجعل أرض الشام مساكن بني إسرائيل، فلما استقرت ببني إسرائيل الدار بمصر أمرهم الله بالسير إلى أريحا أرض الشام وهي

(١) قصص الأنبياء، للجزائري: ص ٤٤٣.

(٢) كمال الدين وتمام النعمة: ص ٢٢٥ ح ٢٠.

(٣) سورة المائدة: ٢٠ - ٢٥.

الأرض المقدسة وقال: يا موسى إني قد كتبتها لكم داراً وقراراً فاخرج إليها وجاهد من فيها من العدو فإني ناصرهم عليهم، وخذ من قومك اثني عشر نقيباً من كل سبط نقيباً ليكون كفيلاً على قومه بالوفاء منهم على ما أمروا به، فاختر موسى عليه السلام النقباء من كل سبط نقيباً وأمره عليهم، فسار موسى عليه السلام ببني إسرائيل قاصدين أريحا فبعث هؤلاء النقباء إليها يتجسسون له الأخبار و يعلمون علمها وحال أهلها، فدخلوها ورأوا العمالة فقال بعضهم لا طاقة لنا لقتال هؤلاء... وأخبر كل واحد منهم سبطه ونهاه وقريبه عن قتالهم، إلا رجلان منهم وفيما قالوا: يوشع بن نون وكالب بن يوفنا ختن موسى عليه السلام على أخته مريم، فلما سمع القوم ذلك من الجواسيس رفعوا أصواتهم بالبكاء وقالوا: يا ليتنا متنا في أرض مصر وليتنا نموت في هذه البرية ولا يدخلنا الله القرية فتكون نسؤنا وأولادنا وأثقالنا غنيمة لهم، وجعل الرجل يقول لأصحابه: تعالوا نجعل علينا رأساً ونصرف إلى مصر.

فذلك قوله تعالى إخباراً عنهم ﴿قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ﴾ قيل: كانت لهم أجسام طويلة وخلقة عجيبة ليست لغيرهم ﴿وَأِنَّا لَنَدْخُلُهَا حَتَّى يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ﴾ فقال لهم موسى: ﴿ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ فإن الله عز وجل سيفتحها عليكم وإن الذي أنجاكم وقلق البحر هو الذي يظهرهم عليكم، فلم يقبلوا وردوا عليه أمره وهموا بالانصراف إلى مصر، فخرق يوشع وكالب ثيابهما وهما اللذان أخبر الله عز وجل عنهما في قوله: ﴿قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا﴾ بالتوفيق والعصمة ﴿ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ﴾ يعني قرية الجبارين ﴿فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ﴾ لأن الله عز وجل منجز وعده وإنا رأيناهم وخبرناهم فكانت أجسامهم قوية وقلوبهم ضعيفة فلا تخشوهم.

﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ فأراد بنو إسرائيل أن يرمجوهم بالحجارة وعصرهما و﴿قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّا لَنَدْخُلُهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾ فغضب موسى عليه السلام ودعا عليهم ف ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَافْرِقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ أي فاقض وافصل بيننا وبين القوم

العاصين، وكانت عجلة عجلها موسى ﷺ فظهر الغمام على باب قبة الزمر..

فأوحى الله تعالى إلى موسى ﷺ: إلى متى يعصيني هذا الشعب؟ وإلى متى لا يصدقون بالآيات؟ لأهلكهم جميعاً ولأجعلن لك شعباً أقوى وأكثر منهم.

فقال موسى ﷺ: إلهي لو أنك قتلت هذا الشعب كلهم كرجل واحد لقلت الأمم الذين سمعوا: إنما قتل هذا الشعب من أجل أنه لم يستطع أن يدخلهم الأرض المقدسة فقتلهم في البرية، وإنك طويل صبرك، كثيرة نعمتك، وأنت تغفر الذنوب، وتحفظ الآباء على الأبناء والأبناء على الآباء، فاغفر لهم ولا توبقهم.

فقال الله عز وجل: قد غفرت لهم بكلمتك ولكن بعدما سميتهم فاسقين ودعوت عليهم، بي حلفت لأحرمن عليهم دخول الأرض المقدسة غير عبدي يوشع وكالب، ولأتيههم في هذه البرية أربعين سنة مكان كل يوم من الأيام التي تجسسوا فيها سنة، وكانت أربعين يوماً، ولنلقين جيدهم في هذه القفار، وأما بنوهم الذين لم يعلموا الخير والشر فإنهم يدخلون الأرض المقدسة فذلك قوله تعالى ﴿فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً﴾ في ستة فراسخ وكانوا ستمائة ألف مقاتل فكانوا يسرون كل يوم جادين حتى إذا أمسوا وباتوا فإذا هم في الموضع الذي ارتحلوا منه ومات النقباء العشرة الذين أفشوا الخبر بغتة وكل من دخل التيه ممن جاوز عشرين سنة مات في التيه غير يوشع وكالب ولم يدخل أريحا أحد ممن قالوا ﴿إِنَّا لَنُ دَخَلُهَا أَبَدًا﴾ فلما هلكوا وانقضت الأربعون السنة ونشأت النواشي من ذرايرهم ساروا إلى حرب الجبارين وفتح الله لهم^(١).

وذكرنا في التبيين:

﴿و﴾ اذكر ﴿إِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ لِمَ تُوذُّونَنِي وَقَدْ﴾ للتحقيق ﴿تَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ فَلَمَّا زَاغُوا﴾ مال قوم موسى ﷺ عن الحق بأن استمروا في إيدائه ﴿أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ بأن تركهم حتى زاغت قلوبهم ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ الخارجين عن طاعة الله عناداً، فإنه تعالى لا يلطف بهم الألفاظ الخفية،

والإتيان بقصة موسى عليه السلام لشباهتها بأذية بعض المسلمين لرسول الله ﷺ في فرارهم وبعض أعمالهم وأقوالهم^(١).

٥٨

لمن الجنة؟

قال الله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾^(٢).

حكا سبحانه نبذاً من أقوال اليهود ودعاويهم الباطلة فقال: ﴿وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى﴾ وهذا على الإيجاز وتقديره: قالت اليهود لن يدخل الجنة إلا من كان يهودياً. وقالت النصارى: لن يدخل الجنة إلا من كان نصرانياً، ووحد كان لأن لفظة ﴿مَنْ﴾ قد تكون للواحد وقد تكون للجماعة.

وإنما قلنا: إن الكلام مقدر هذا التقدير؛ لأن من المعلوم أن اليهود لا يشهدون للنصارى بالجنة ولا النصارى لليهود، فعلمنا أنه أدرج الخبر عنهما للإيجاز من غير إخلال بشيء من المعنى فإن شهرة الحال تغني عن البيان الذي ذكرنا. ومثله قول حسان بن ثابت:

أمن يهجو رسول الله منكم ويمدحه وينصره سواء

تقديره: ومن يمدحه وينصره. غير أنه لما كان اللفظ واحداً جمع مع الأول وصار كأنه إخبار عن جماعة واحدة، وإنما حقيقته عن بعضين متفرقين.

قوله: ﴿تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ﴾ أي تلك المقالة أمانى كاذبة يتمنونها على الله. وقيل:

أمانهم بأباطيلهم بلغة قريش. وقيل: معناه تلك أقاويلهم وتلاوتهم من قولهم تمنى أي: تلا. وقد يجوز في العربية أمانهم بالتخفيف والتثقل أجود. ﴿قُلْ﴾ يا محمد

(١) تبين القرآن: سورة الصف الآية ٥، ص ٥٦٥.

(٢) سورة البقرة: ١١١.

﴿هَاتُوا﴾ أي أحضروا وليس بأمر بل هو تعجيز وإنكار بمعنى إذا لم يمكنكم الإتيان ببرهان يصح مقالته فاعلموا أنه باطل فاسد ﴿بُرْهَانَكُمْ﴾ أي حجتكم ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ في قولكم لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً أو نصارى. وفي الآية دلالة على فساد التقليد - في أصول الدين - ألا ترى أنه لو جاز التقليد لما أمروا بأن يأتوا فيما قالوه ببرهان، وفيها أيضاً دلالة على جواز المحاجة في الدين^(١).

وذكرنا في التبيين:

﴿وَقَالُوا﴾ أي أهل الكتاب ﴿لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُوداً﴾ أي يهوداً ﴿أو نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ﴾ جمع أمانة، أي طلبهم القلبي، فإنهم يتوقعون دخولهم وحدهم الجنة ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ﴾ أي اثبتوا بدليلكم على أنكم وحدكم تدخلون الجنة ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾.

﴿بَلَى﴾ الجنة لكل مؤمن، ف ﴿مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ﴾ أي جعل وجهه مسلماً، كناية عن الإطاعة والانقياد ﴿لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ في عمله، وهذه عبارة أخرى عن الإيمان والعمل الصالح، فغير المؤمن لم يسلم وجهه لله، والعاصي ليس بمحسن، ﴿فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ﴾ في الآخرة ﴿وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ لا خوف من مكروه المستقبل، ولا حزن لمكروه وارد، لأن خوفهم وحزنهم ليس بشيء في مقابل خوف وحزن الكفار^(٢).

(١) تفسير مجمع البيان: ج ١ ص ٣٤٩ - ٣٥٠ سورة البقرة.

(٢) تبيين القرآن: سورة البقرة الآية ١١١ - ١١٢، ص ٢٧.

القردة الخاسئون

قال الله تعالى: ﴿فَلَمَّا عَتَوْا عَنْ مَّا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾^(١).

عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «إن اليهود أمروا بالإمساك يوم الجمعة فتركوا وأمسكوا يوم السبت، فحرم عليهم الصيد يوم السبت، فعمد رجال من سفهاء القرية فأخذوا من الحيتان ليلة السبت وباعوا، ولم ينزل تنزل بهم عقوبة فاستبشروا وفعلوا ذلك سنين، فوعظهم طوائف فلم يسمعوها وقالوا: ﴿لِمَ تَعْظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ﴾ فأصبحوا قردة خاسئين»^(٢).

وقال علي بن الحسين عليه السلام: «كان هؤلاء قوما يسكنون على شاطئ بحر، نهاهم الله وأنبيأوه عن اصطياد السمك في يوم السبت. فتوصلوا إلى حيلة ليحلوا بها لأنفسهم ما حرم الله، فخذوا أخاديد وعملوا طرقا تؤدي إلى حياض، يتهيأ للحيتان الدخول فيها من تلك الطرق، ولا يتهيأ لها الخروج إذا همت بالرجوع منها إلى اللجج، فجاءت الحيتان يوم السبت جارية على أمان الله لها فدخلت في الأخاديد وحصلت في الحياض والغدران. فلما كانت عشية اليوم همت بالرجوع منها إلى اللجج لتأمن صائدها، فرامت الرجوع فلم تقدر فبقيت ليلتها في مكان يتهيأ أخذها بلا اصطياد لاسترسالها فيه، وعجزها عن الامتناع لمنع المكان لها، فكانوا يأخذونها يوم الأحد ويقولون ما اصطدنا في السبت وإنما اصطدنا في الأحد، وكذب أعداء الله بل كانوا آخذين لها بأخاديدهم التي عملوها يوم السبت حتى كثر من ذلك مالهم وثراؤهم وتنعموا بالنساء وغيرهن لاتساع أيديهم به، وكانوا في المدينة نيفا وثمانين ألفاً فعل هذا منهم سبعون ألفاً، وأنكر عليهم الباقون كما قص الله تعالى ﴿وَسَلَّلَهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي

(١) سورة الأعراف: ١٦٦.

(٢) قصص الأنبياء، للراوندي: ص ٢١٠ ح ٢٧٠.

كَانَتْ حَاصِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ ﴿الآيَةُ﴾، وَذَلِكَ أَنَّ طَائِفَةً مِنْهُمْ وَعَظُوهُمْ وَزَجَرُوهُمْ، وَمِنْ عَذَابِ اللَّهِ خَوْفُهُمْ، وَمِنْ انتقامه وَشَدِيدِ بَأْسِهِ حَذَرُهُمْ فَأَجَابُوهُمْ عَنْ وَعَظِهِمْ ﴿لَمْ تَعْظُونْ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ﴾ بِذُنُوبِهِمْ هَلَاكَ الْإِصْطِلَامِ ﴿أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا﴾.

فَأَجَابُوا الْقَائِلِينَ هَذَا لَهُمْ ﴿مَعَذَرَةٌ إِلَى رَبِّكُمْ﴾ هَذَا الْقَوْلُ مِنْهُمْ مَعَذَرَةٌ إِلَى رَبِّكُمْ، إِذْ كَلَفْنَا الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ فَنَحْنُ نَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ لِيَعْلَمَ رَبُّنَا مَخَالَفَتَنَا لَهُمْ وَكَرَاهَتَنَا لِفَعْلِهِمْ، قَالُوا ﴿وَلَعَلَّهُمْ يَقْنُونَ﴾ وَنَعِظُهُمْ أَيْضًا لِعَلَّهُمْ تَنْجِعُ فِيهِمُ الْمَوَاعِظُ فَيَتَّقُوا هَذِهِ الْمَوْبِقَةَ وَيَحْذَرُوا عِقَابَهَا، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى ﴿فَلَمَّا عَتَا﴾ حَادُوا وَأَعْرَضُوا وَتَكَبَّرُوا عَنْ قَبُولِهِمُ الزَّجْرَ ﴿عَنْ مَا نُهُوا عَنْهُ فَلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾ مَبْعِدِينَ عَنِ الْخَيْرِ مَقْصِينَ.

قال: فلما نظر العشرة آلاف والنيف أن السبعين ألفا لا يقبلون مواظبتهم ولا يحفلون بتخويفهم إياهم وتحذيرهم لهم اعتزلوهم إلى قرية أخرى قريبة من قريتهم وقالوا إنا نكره أن ينزل بهم عذاب الله ونحن في خالهم، فأمسوا ليلة فمسخهم الله كلهم قردة وبقي باب المدينة مغلقا لا يخرج منه أحد ولا يدخله أحد وتسامع بذلك أهل القرى فقصدوهم وتسّموا حيطان البلد فاطلعوا عليهم فإذا كلهم رجالهم ونسائهم قردة يموج بعضهم في بعض يعرف هؤلاء الناظرون معارفهم وقرباتهم وخطأهم، يقول المطلع لبعضهم: أنت فلان؟ أنت فلانة؟ فتدمع عينه ويومئ برأسه (بلا أو نعم)، فما زالوا كذلك ثلاثة أيام ثم بعث الله عز وجل عليهم مطراً وريحاً فجرفتهم إلى البحر وما بقيَ مسخ بعد ثلاثة أيام، وأما الذين ترون من هذه المصورات بصورها فإنما هي أشباهها لا هي بأعيانها ولا من نسلها.

ثم قال علي بن الحسين عليه السلام: «إن الله مسخ هؤلاء لاصطيادهم السمك فكيف ترى عند الله عز وجل يكون حال من قتل أولاد رسول الله (صلى الله عليه وآله) وهتك حريمه، إن الله تعالى وإن لم يمسخهم في الدنيا فإن المعد لهم من عذاب الله في الآخرة أضعاف عذاب المسخ» ثم قال عليه السلام: «أما إن هؤلاء الذين اعتدوا في السبت لو كانوا

حين هموا بقبیح فعالهم سألوا ربهم بجاه محمد و آله الطيبين أن يعصمهم من ذلك لعصمهم وكذلك الناهون لهم لو سألوا الله عزوجل أن يعصمهم بجاه محمد وآله الطيبين لعصمهم ولكن الله عزوجل لم يلهمهم ذلك ولم يوقفهم له فجرت معلومات الله فيهم على ما كان سطره في اللوح المحفوظ»^(١).

وفي البحار: إنها قرية كانت لبني إسرائيل قريبة من البحر وكان الماء يجري عليها في المد والجزر فيدخل أنهارهم وزروعهم ويخرج السمك من البحر حتى يبلغ آخر زروعهم وقد كان الله حرم عليهم الصيد يوم السبت فكانوا يضعون الشباك في الأنهار ليلة الأحد ويصيدون بها السمك وكان السمك يخرج يوم السبت، ويوم الأحد لا يخرج وهو قوله «إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرْعًا وَ يَوْمَ لَا يَسْتَوْنَ لَا تَأْتِيهِمْ» فنهاهم علماءهم عن ذلك فلم ينتهوا فمسخوا قردة و خنازير، وكان العلة في تحريم الصيد عليهم يوم السبت أن عيد جميع المسلمين وغيرهم كان يوم الجمعة، فخالف اليهود وقالوا: عيدنا السبت فحرم الله عليهم الصيد يوم السبت ومسخوا قردة و خنازير»^(٢).

وذكرنا في التبيين:

«وَلَقَدْ عَلِمْتُمْ» أيها اليهود المعاصرون لنزول القرآن وما بعده «الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ» جاوزوا أوامر الله «فِي السَّبْتِ» فإنهم نهوا عن الصيد في السبت، فاحتال بعضهم بحفر سواقي فكانت الأسماك تأتي إلى تلك السواقي في السبت فيأخذونها في يوم الأحد ويقولون: لم نصد في السبت «فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً» جمع قرد، فقد مسخهم الله قرداً «خَاسِئِينَ» مبعدين ومطرودين عن رحمة الله.

«فَجَعَلْنَاهَا» أي تلك العقوبة «نَكَالًا» أي رادعاً وزجراً «لِمَا بَيْنَ يَدَيْهَا» أي يدي تلك العقوبة، أي للذين عاصروا المسخ ورأوه بعينهم «وَمَا خَلْفَهَا» أي الذين يأتون بعد تلك العقوبة، ليعلموا أن جزاء المعتدي المسخ «وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ» أي تخويفاً لمن يتقي ويخاف من الله، ليعرف أنه جزاء العاصي»^(٣).

(١) تفسير الإمام العسكري عليه السلام: ص ٢٦٨ - ٢٧١ قصة أصحاب السبت.

(٢) بحار الأنوار: ج ١٤ ص ٥١ - ٥٢ ب ٤ ح ٥.

(٣) تبيين القرآن: سورة البقرة الآية ٦٥ - ٦٦، ص ٢٠.

وقال تعالى في آيات أخرى :

﴿وَسَأَلُهُمْ﴾ أي استخبرهم يا محمد ﷺ توبيخاً لهم ﴿عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ﴾ قرية من البحر وهي إيلة ﴿إِذْ يَعْدُونَ﴾ يتجاوزون حدود الله ﴿فِي السَّبْتِ﴾ يوم السبت ، حيث كان صيد السمك محرماً عليهم يوم السبت فاتخذوا حياً متصلة بالبحر فكانت السمك تدخلها في السبت ولا تتمكن من الرجوع فيصيدونها يوم الأحد ﴿إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ﴾ أي الأسماك ﴿يَوْمَ سَبَتْهُمْ شُرْعاً﴾ ظاهرة على وجه الماء ، لأنها عرفت أمانها هذا اليوم فكانت تظهر ﴿وَيَوْمَ لَا يُسْتُونَ﴾ لا يعظمون السبت ، أي سائر الأيام ﴿لَا تَأْتِيهِمْ﴾ الأسماك ﴿كَذَلِكَ﴾ أي هكذا ﴿نَبْلُوهُمْ﴾ نختبرهم ﴿بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ إذ لولا فسقهم وإرادة الانتقام منهم لم نحرّم عليهم صيد السمك يوم السبت.

﴿وَإِذْ قَالَتْ﴾ عطف على (إذ يعدون) ﴿أُمَّةٌ﴾ جماعة ﴿مِّنْهُمْ﴾ من أهل القرية ، لجماعة كانوا يعظون الصائدين للسمك ﴿لِمَ تَعْظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ﴾ ياماتهم ﴿أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا﴾ دون الإهلاك ، قالوا ما الفائدة في نصيحة هؤلاء؟ ﴿قَالُوا﴾ الناصحون ﴿مُعَذِّرَةٌ﴾ لأجل أن يكون لنا عذر ﴿إِلَىٰ رَبِّكُمْ﴾ نقول له يا رب قد نصحناهم ﴿وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ صيد سمك المحرم.

﴿فَلَمَّا نَسُوا﴾ ترك الصائدون ﴿مَا ذُكِّرُوا بِهِ﴾ أي النصح الذي ذكرهم الناصحون به ﴿أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ﴾ وهم الناصحون فقط ﴿وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ الصائدون والطاركون للنصح ﴿بِعَذَابٍ بَّيْسٍ﴾ شديد ﴿بِمَا﴾ أي بسبب ما ﴿كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾.

﴿فَلَمَّا عَتَوْا﴾ تكبروا ﴿عَنْ مَا نُهُوا عَنْهُ﴾ عن صيد السمك ﴿قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾ مطرودين فانقلبوا قرده.

﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ﴾ أي أذن وأعلم ﴿رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ﴾ لیسلمن ﴿عَلَيْهِمْ﴾ على اليهود ﴿إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ﴾ أي يؤذيهم ﴿سُوءَ الْعَذَابِ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ﴾ لمن كفر ﴿وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ﴾ لمن آمن ﴿رَحِيمٌ﴾.

﴿وَقَطَعْنَاهُمْ﴾ أي فرقناهم ﴿فِي الْأَرْضِ أُمَمًا﴾ فرقاً ﴿مِنْهُمْ الصَّالِحُونَ﴾ الذين

آمنوا بالأنبياء المتأخرين ﴿وَمِنْهُمْ دُونَ ذَلِكَ﴾ غير مؤمنين ﴿وَلَوْلَاهُمْ﴾ اختبرناهم ﴿بِالْحَسَنَاتِ﴾ بالنعم ﴿وَالسَّيِّئَاتِ﴾ النقم ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ عن الكفر والمعاصي، ليشكروا النعم أو يتضرعوا عند النقم.

﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ بعد أولئك الأقوام ﴿خَلَفَ وَرَثُوا الْكِتَابِ﴾ التوراة ﴿يَأْخُذُونَ عَرَضَ﴾ أي حطام ﴿هَذَا الْأَدْنَى﴾ يعني الدنيا، مقابل الآخرة التي هي أبعد ﴿وَيَقُولُونَ سَيَغْفِرُ لَنَا﴾ أي لا بأس بما نفعله من الحرام فإن الله يغفر لنا ﴿وَإِنْ يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِثْلُهُ﴾ أي مثل هذا العرض الأول ﴿يَأْخُذُوهُ﴾ أيضاً، والمعنى أنهم مصرون على الذنب والعصيان ﴿أَلَمْ يُوْخِذْ عَلَيْهِمْ مِيثَاقُ الْكِتَابِ﴾ أي العهد المذكور في الكتاب ﴿أَنْ لَا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ﴾ فكيف يقولون سيغفر لنا وهم مرتكبون للمعاصي ﴿وَدَرَسُوا مَا فِيهِ﴾ أي قرأوا ما في الكتاب ﴿وَالدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ مما يأخذه اليهود من عرض هذا الأدنى ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾.

﴿وَالَّذِينَ﴾ عطف على (للذين) ﴿يَمْسُكُونَ﴾ يتمسكون ﴿بِالْكِتَابِ﴾ التوراة ﴿وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نَضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ﴾ الذين يصلحون أنفسهم بالطاعة. ﴿وَ﴾ اذكر ﴿إِذْ نَتَقْنَا﴾ أي قطعنا قطعة من ﴿الْجَبَلِ﴾ ورفعناها ﴿فَوْقَهُمْ﴾ وذلك بقصد إرهابهم ﴿كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ﴾ هي ما أظلم الإنسان ﴿وَوَظَنُوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ﴾ ساقط عليهم، وقلنا لهم ﴿خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ﴾ من التوراة ﴿بِقُوَّةٍ﴾ بشدة ﴿وَاذْكُرُوا﴾ بالعمل ﴿مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ المعاصي^(١).

(١) تبين القرآن: سورة الأعراف الآية ١٦٣ - ١٧١، ص ١٨٣ - ١٨٥.

٦٠

قصة التيه

قال الله تعالى: ﴿قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾^(١).

قال بعض المفسرين: إن بني إسرائيل لما قالوا لموسى ﴿فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾ حين أمرهم بالمسير إلى بيت المقدس وحرب العمالقة بقوله ﴿ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ﴾ فوقعوا في التيه، فصاروا كلما ساروا تاهوا في قدر خمسة فراسخ أو ستة وكلما أصبحوا ساروا غادين فأمسوا فإذا هم في مكانهم الذي ارتحلوا منه كذلك حتى تمت المدة وبقوا فيها أربعين سنة، وفي التيه توفي موسى وهارون عليهما السلام ثم خرج يوشع بن نون، وقيل كان الله يرد الجانب الذي انتهوا إليه من الأرض إلى الجانب الذي ساروا منه فكانوا يضلون على الطريق لأنهم كانوا خلقا عظيما فلا يجوز أن يضلوا كلهم عن الطريق في هذه المدة المديدة وفي هذا المقدار من الأرض، ولما حصلوا في التيه ندموا على ما فعلوه، فألطف الله بهم بالغمام لما شكوا حر الشمس، وأنزل عليهم المن والسلوى^(٢)...

ولما طال عليهم الأمد في التيه قالوا ﴿يَا مُوسَى لَنْ نَصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْتَبِئُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصِلَهَا﴾ والقوم هي الحنطة فقال لهم موسى ﴿أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مَا سَأَلْتُمْ﴾^(٣).

وفي البحار: وفي ذكر النعم التي أنعم الله تعالى على بني إسرائيل في التيه قال الله

(١) سورة المائدة: ٢٥.

(٢) انظر تفسير مجمع البيان: ج ١ ص ٢٢٥ سورة البقرة.

(٣) بحار الأنوار: ج ١٣ ص ١٧٤ ب ٦ ح ٢.

سبحانه ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ﴾. أي على أجدادكم وأسلافكم وذلك أن الله سبحانه وتعالى فلق البحر لهم وأنجاهم من فرعون وأهلك عدوهم وأورثهم ديارهم وأموالهم وأنزل عليهم التوراة فيها بيان كل شيء يحتاجون إليه وأعطاهم ما أعطاهم في التيه، وذلك أنهم قالوا لموسى في التيه: أهلكتنا وأخرجتنا من العمران والبنيان إلى مفازة لا ظل فيها ولا كن^(١)، فأنزل الله تعالى عليهم غماماً أبيض رقيقاً وليس بغمام المطر أرق وأطيب وأبرد منه فأظلمهم وكان يسير معهم إذا ساروا ويدوم عليهم من فوقهم إذا نزلوا، فذلك قوله تعالى ﴿وَوَضَّلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَامَ﴾ يعني في التيه تقيكم من حر الشمس، ومنها أنه جعل لهم عموداً من نور يضيء لهم بالليل إذا لم يكن ضوء القمر فقالوا هذا الظل والنور قد حصل، فأين الطعام؟ فأنزل الله تعالى عليهم المن، قيل: هو شيء كالصمغ كان يقع على الأشجار وطعمه كالشهد، وقيل: هو الترنجيب، وقيل: هو الخبز الرقاق، وقيل: هو عسل كان يقع على الشجر من الليل فيأكلون منه، وقيل: هو شيء أنزله الله عليهم مثل الرب الغليظ، وقيل: جملة (المن) ما يمن الله به مما لا تعب فيه ولا نصب^(٢).

وذكرنا في التبيين:

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ﴾ فشرّفكم ببعث الأنبياء فيكم ﴿وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا﴾ فالملك منكم ولستم تحت سلطة الغير ﴿وَأَتَاكُمْ﴾ أعطاكم ﴿مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ﴾ عالمي زمانكم، من التوراة والمعاجز والسيادة.

﴿يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ﴾ بيت المقدس، أو غيرها مما طهرها الله ببعث الأنبياء فيها، وكان قول موسى ﷺ لهم بعد خروجهم عن مصر ﴿الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ دخولها ﴿وَلَا تَرْتَدُّوا﴾ لا ترجعوا ﴿عَلَى أَدْبَارِكُمْ﴾ كفاراً، أو منهزمين أمام عمالقة الأرض المقدسة ﴿فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ﴾ من ثواب الدارين.

(١) الكن، بكسر الكاف: وقاء كل شيء وستره.

(٢) بخار الأنوار: ج ١٣ ص ١٩١ ب ٦.

﴿قَالُوا يَا مُوسَى إِن فِيهَا﴾ في الأرض المقدسة ﴿قَوْمًا جَبَّارِينَ﴾ جمع جَبَّار وهو المكره للناس والمراد بهم: قوماً أقوياء لا تقدر عليهم ﴿وإِنَّا لَن نَدْخُلُهَا﴾ لن ندخل الأرض المقدسة ﴿حَتَّى يَخْرُجُوا﴾ أي الجبارون ﴿مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ﴾ أما الآن فلا نتمكن من مقاومتهم.

﴿قَالَ رَجُلَانِ﴾ كالب ويوشع ﴿مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ﴾ الله ﴿أَنعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا﴾ بأن وفقهما للإيمان ولإتباع أوامر موسى ﷺ ﴿ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ﴾ أي على الجبارين ﴿الْبَابَ﴾ باب القرية ﴿فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ﴾ لأن الغلبة عادة لمن أغار ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا﴾ أي كلوا أمركم إليه ، فإنه ناصر أوليائه على أعدائه ﴿إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾. ﴿قَالُوا﴾ أي اليهود ﴿يَا مُوسَى إِنَّا لَن نَدْخُلُهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا﴾ أي ما دام الجبارون في الأرض المقدسة ﴿فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا﴾ قالوا ذلك استهانة بالله ورسوله ﴿إِنَّا هَهُنَا قَاعِدُونَ﴾ فإذا رجعت ظافراً دخلناها.

﴿قَالَ﴾ موسى ﷺ ﴿رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي﴾ فأنا أملك التصرف في هذين فقط ، أما القوم فلا يطيعوني ﴿فَافْرُقْ﴾ افصل يا رب ﴿بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ أي اليهود.

﴿قَالَ﴾ الله ﴿فَإِنَّهَا﴾ أي الأرض المقدسة ﴿مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ﴾ دخولها ﴿أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ﴾ أي يتحيرون ﴿فِي الْأَرْضِ﴾ بلا مأوى ولا بلد يجمعهم ﴿فَلَا تَأْسَ﴾ لا تحزن ﴿عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ أي على تيههم ، والتهيه إما كان إعجازاً ، أو بمعنى إنهم بقوا بلا مأوى في هذه المدة ولذا بقوا في الصحراء كالبدو^(١).

٦١

كونوا أنصار الله

قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ فَأَمَنَّا طَائِفَةٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَتْ طَائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَى عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ﴾^(١).

إن الله يحض المؤمنين على نصرته ونصرة نبيه ونصرة دينه الإسلام فيقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ﴾ أي أنصار دينه وأعوان نبيه. وإنما أضاف إلى نفسه كما يقال للكعبة: بيت الله. وقيل لحمزة بن عبد المطلب: أسد الله.

والمعنى دوموا على ما أنتم عليه من النصرة ﴿كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ﴾ أي مثل قول عيسى بن مريم ﴿لِلْحَوَارِيِّينَ﴾ وهم خاصة الأنبياء، وسموا بذلك لأنهم أخلصوا من كل عيب. وقيل: سموا بذلك لبياض ثيابهم. وقيل: لأنهم كانوا قصارين ﴿مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ﴾ والمعنى: قل يا محمد إني أدعوكم إلى هذا الأمر كما دعا عيسى قومه فقال: من أنصاري مع الله ينصروني مع نصرته الله إياي.

وقيل: إلى الله أي فيما يقرب إلى الله كما يقال: اللهم منك وإليك. ﴿قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ﴾ أي أنصار دين الله وأولياء الله. وقيل: إنهم إنما سموا نصارى لقولهم: نحن أنصار الله. ﴿فَأَمَنَّا طَائِفَةٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ أي صدقت بعيسى ﴿وَكَفَرَتْ طَائِفَةٌ﴾ أخرى به. قال ابن عباس: يعني في زمن عيسى عليه السلام وذلك أنه لما رفع تفرق قومه ثلاث فرق: فرقة قالت كان الله فارفع. وفرقة قالت: كان ابن الله فرفعه إليه. وفرقة قالوا: كان عبد الله ورسوله فرفعه إليه وهم المؤمنون.

واتبع كل فرقة منهم طائفة من الناس فاقتتلوا وظهرت الفرقتان الكافرتان على المؤمنين حتى بعث محمد ﷺ فظهرت الفرقة المؤمنة على الكافرين. وذلك قوله:

﴿فَإَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ﴾ أي عالين غالبين. وقيل: معناه أصبحت حجة من آمن ببعيسى ظاهرة بتصديق محمد ﷺ بأن عيسى كلمة الله وروحه.

وقيل: بل أيدوا في زمانهم على من كفر ببعيسى. وقيل: معناه فأمّنت طائفة من بني إسرائيل بمحمد ﷺ وكفرت طائفة به فأصبحوا قاهرين لعدوهم بالحجة والقهر والغلبة^(١).

وذكرنا في التبيين: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ﴾ بنصرة دينه ﴿كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ﴾ تلاميذه الإثني عشر ﴿مَنْ أَنْصَارِي﴾ ينصرني منتهياً ﴿إِلَى اللَّهِ﴾ ومعناه العمل بما يقول للفوز بثوابه تعالى ﴿قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ﴾ فأخذوا يبلغون الناس الدين ﴿فَآمَنْتْ طَائِفَةٌ مِّنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ وصدقت ببعيسى ﷺ ﴿وَكَفَرَتْ طَائِفَةٌ﴾ فلم يؤمنوا ﴿فَإَيَّدْنَا﴾ نصرنا ﴿الَّذِينَ آمَنُوا عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ﴾ الكافرين ﴿فَأَصْبَحُوا﴾ أي المؤمنون منهم ﴿ظَاهِرِينَ﴾ غالبين على الكفار^(٢).

٦٢

نزول التوراة

قال الله تعالى: ﴿وَوَاعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتَمَمْنَاهَا بِعَشْرِ فِتْمٍ مِّمَّاتِ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ﴾^(٣).

في تفسير الإمام العسكري عليه السلام: «كان موسى بن عمران عليه السلام يقول لبني إسرائيل: إذا فرج الله عنكم وأهلك أعداءكم آتيكم بكتاب من ربكم، يشتمل على

(١) تفسير مجمع البيان: ج ٩ ص ٤٦٦ - ٤٦٧ سورة الصف.

(٢) تبيين القرآن: سورة الصف الآية ١٤، ص ٥٦٦.

(٣) سورة الأعراف: ١٤٢.

وأوامره ونواهيهِ ومواعظه وعبره وأمثاله. فلما فرج الله تعالى عنهم، أمره الله عز وجل أن يأتي للميعاد، ويصوم ثلاثين يوماً عند أصل الجبل، وظن موسى أنه بعد ذلك يعطيه الكتاب. فصام موسى ثلاثين يوماً عند أصل الجبل فلما كان في آخر الأيام إستاك قبل الفطر، فأوحى الله عز وجل إليه: يا موسى أما علمت أن خلوف فم الصائم أطيب عندي من ريح المسك، صم عشراً آخر ولا تستك عند الإفطار.

ففعل ذلك موسى ﷺ. وكان وعد الله عز وجل أن يعطيه الكتاب بعد أربعين ليلة، فأعطاه إياه. فجاء السامري فشبه على مستضعفي بني إسرائيل وقال: وعدكم موسى أن يرجع إليكم بعد أربعين ليلة، وهذه عشرون ليلة وعشرون يوماً تمت أربعون أخطأ موسى ربه، وقد أتاكم ربكم، أراد أن يريكم: أنه قادر على أن يدعوكم إلى نفسه بنفسه وأنه لم يبعث موسى لحاجة منه إليه. فأظهر لهم العجل الذي كان عمله، فقالوا له فكيف يكون العجل إلها؟ قال: لهم إنما هذا العجل يكلمكم منه ربكم كما كلم موسى من الشجرة، فالإله في العجل كما كان في الشجرة. فضلوا بذلك وأضلوا. فلما رجع موسى إلى قومه قال: يا أيها العجل أكان فيك ربنا كما يزعم هؤلاء؟ فنطق العجل وقال: عز ربنا عن أن يكون العجل حاوياً له، أو شيء من الشجرة والأمكنة عليه مشتملاً، لا والله يا موسى ولكن السامري نصب عجلاً مؤخره إلى الحائط وحفر في الجانب الآخر في الأرض، وأجلس فيه بعض مردته فهو الذي وضع فاه على دبره وتكلم بما تكلم لما قال: (هذا إلهكم وإله موسى)، يا موسى بن عمران ما خذل هؤلاء بعبادتي، واتخاذي إلهاً إلا لتهاونهم بالصلاة على محمد وآله الطيبين، وجحودهم بموالاتهم وبنوة النبي محمد ووصية الوصي حتى أداهم إلى أن اتخذوني إلهاً.

قال الله عز وجل: فإذا كان الله تعالى إنما خذل عبدة العجل لتهاونهم بالصلاة على محمد ووصيه علي فما تخافون من الخذلان الأكبر في معاندتكم لمحمد وعلي وقد شاهدتموهما، وتبينتم آياتهما ودلائلهما، ثم قال الله عز وجل: ﴿ثُمَّ عَفَوْنَا عَنْكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾^(١) أي عفونا عن أوائلكم عبادتهم العجل، لعلكم يا أيها

الكائنون في عصر محمد من بني إسرائيل تشكرون تلك النعمة على أسلافكم وعليكم بعدهم. ثم قال ﷺ: وإنما عفا الله عز وجل عنهم لأنهم دعوا الله بمحمد وآله الطاهرين، وجددوا على أنفسهم الولاية لمحمد وعلي وآلهما الطيبين. فعند ذلك رحمهم الله وعفا عنهم^(١).

وفي الحديث:

إن موسى ﷺ لما خرج إلى الميقات ليأتي بالثورة وتأخر عشرة أيام فلما رجع إلى قومه رآهم قد عبدوا العجل! فقال لهم: ﴿يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَى بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ﴾^(٢)، فقالوا: فكيف نقتل أنفسنا؟ فقال لهم موسى ﷺ: اغدوا كل واحد منكم إلى بيت المقدس ومعه سكين أو حديدة أو سيف فإذا صعدت أنا منبر بني إسرائيل فكونوا أنتم مثلثمين لا يعرف أحد صاحبه فاقتلوا بعضكم بعضاً.

فاجتمعوا سبعين ألف رجل ممن كانوا عبدوا العجل إلى بيت المقدس فلما صلى بهم موسى ﷺ وصعد المنبر أقبل بعضهم يقتل بعضاً حتى نزل جبرئيل فقال: قل لهم يا موسى: ارفعوا القتل فقد تاب الله عليكم، فقتل منهم عشرة آلاف وأنزل الله ﴿ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِنْدَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾^(٣)،^(٤).

وذكرنا في التبيين:

﴿وَوَاعَدْنَا مُوسَى وَعَدْنَا لِإِعْطَائِهِ التَّوْرَةَ، بَعْدَ النِّجَاةِ مِنْ مِصْرَ ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتَمَمْنَاهَا بِعَشْرِ أَيَّامٍ أَضْفَيْنَا عَلَيْهَا عَشْرَ لَيَالٍ أُخْرَى﴾ ﴿فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ﴾ وقت وعده ﴿أَرْبَعِينَ لَيْلَةً وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ﴾ قبل أن يخرج إلى الميقات ﴿اخْلُفْنِي﴾ كن خليفتي ﴿فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ﴾ أمورهم ﴿وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ﴾ طريقتهم في

(١) تفسير الإمام العسكري ﷺ: ص ٢٤٨ - ٢٥٢.

(٢) سورة البقرة: ٥٤.

(٣) سورة البقرة: ٥٤.

(٤) انظر تفسير القمي: ج ١ ص ٤٧ سورة البقرة.

الفساد^(١).

وفي التبيين أيضاً:

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ﴾ أي بعبادتكم له ﴿فَتُوبُوا إِلَى بَرِّئِكُمْ﴾ خالقكم ﴿فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ ورد أنهم أمروا بقتل بعضهم بعضاً، وكان ذلك القتل توبة لكل من القاتل والمقتول ﴿ذَلِكُمْ﴾ القتل لأجل التوبة ﴿خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَرِّئِكُمْ﴾ خالقكم ﴿فَتَابَ عَلَيْكُمْ﴾ بعد أن قتل بعضهم بعضاً ﴿إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾^(٢).

٦٣

أرنا الله جهرة !!

قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ﴾^(٣).

وقال عز وجل: ﴿يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَى أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرَنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ﴾^(٤).

إن موسى عليه السلام لما قال لبني إسرائيل: إن الله يكلمني ويناجيني، لم يصدقوه، فقال لهم اختاروا منكم من يجيء معي حتى يسمع كلامه، فاختاروا سبعين رجلاً من خيارهم وذهبوا مع موسى عليه السلام إلى الميقات، فدنا موسى عليه السلام وناجى ربه وكلمه الله تبارك وتعالى، فقال موسى عليه السلام لأصحابه: اسمعوا واشهدوا عند بني إسرائيل بذلك، فقالوا له: ﴿لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً﴾ فأسأله أن يظهر لنا، فأنزل الله عليهم صاعقة فاحترقوا...

(١) تبيين القرآن: سورة الأعراف الآية ١٤٢، ص ١٧٩.

(٢) تبيين القرآن: سورة البقرة الآية ٥٤، ص ١٨.

(٣) سورة البقرة: ٥٥.

(٤) سورة النساء: ١٥٣.

فلما نظر موسى إلى أصحابه قد هلكوا حزن عليهم فقال: ﴿رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُمْ مِنْ قَبْلِ وَإِيَّايَ أَتَهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا﴾^(١)...

وفي عيون أخبار الرضا عليه السلام أنه سأل المأمون الرضا عليه السلام عن معنى قوله عز وجل: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَفْظُرُ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِي﴾^(٢) الآية، كيف يجوز أن يكون كلم الله موسى بن عمران عليه السلام لا يعلم أن الله تعالى ذكره لا يجوز عليه الرؤية حتى يسأله هذا السؤال؟

فقال الرضا عليه السلام: إن كلم الله موسى بن عمران عليه السلام علم أن الله تعالى أعز أن يرى بالأبصار ولكنه لما كلمه الله عز وجل وقرّبه نجياً رجع إلى قومه فأخبرهم أن الله عز وجل كلمه وقرّبه وناجاه، فقالوا: لن نؤمن لك حتى نسمع كلامه كما سمعت وكان القوم سبعمئة ألف رجل فاختر منهم سبعين ألفاً ثم اختار منهم سبعة آلاف ثم اختار منهم سبعمئة ثم اختار منهم سبعين رجلاً لمقات ربه، فخرج بهم إلى طور سيناء فأقامهم في سفح الجبل وصعد موسى إلى الطور وسأل الله عز وجل: أن يكلمه ويسمعهم كلامه، فكلّمه الله تعالى ذكره وسمعوا كلامه من فوق وأسفل ويمين وشمال ووراء وأمام، لأن الله عز وجل أحدثه في الشجرة وجعله منبعثاً منها حتى سمعوه من جميع الوجوه، فقالوا: ﴿لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ﴾ بأن هذا الذي سمعناه كلام الله ﴿حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً﴾ فلما قالوا هذا القول العظيم واستكبروا وعتوا بعث الله عز وجل عليهم صاعقة فأخذتهم بظلمهم فماتوا فقال موسى عليه السلام: يا رب ما أقول لبني إسرائيل إذا رجعت إليهم وقالوا إنك ذهبت بهم فقتلتهم؟! لأنك لم تكن صادقاً فيما ادعيت من مناجاة الله عز وجل إياك، فأحياهم الله وبعثهم معه فقالوا: إنك لو سألت الله أن يريك تنظر إليه لأجابك وكنت تخبرنا كيف هو فنعرفه حق معرفته.

فقال موسى عليه السلام: يا قوم إن الله لا يرى بالأبصار ولا كيفية له وإنما يعرف بآياته ويعلم بأعلامه.

(١) سورة الأعراف: ١٥٥.

(٢) سورة الأعراف: ١٤٣.

فقالوا: لن نؤمن لك حتى تسأله.

فقال موسى عليه السلام: يا رب إنك قد سمعت مقالة بني إسرائيل وأنت أعلم بصلاحيهم، فأوحى الله عز وجل: يا موسى اسألني ما سألوك، فلن أؤاخذك بجهلهم فعند ذلك قال موسى عليه السلام: ﴿رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ﴾ قَالَ لَنْ تَرَانِي وَلَكِنْ أَنْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنْ اسْتَقَرَّ مَكَانُهُ وَهُوَ يَهُوِي ﴿فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ﴾ بآية من آياته ﴿جَعَلَهُ دُكًا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ﴾ يقول: رجعت إلى معرفتي بك عن جهل قومي ﴿وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ منهم بأنك لا ترى^(١).

وذكرنا في التبيين:

﴿وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ﴾ من قومه ﴿سَبْعِينَ رَجُلًا لِمِيقَاتِنَا﴾ أي لوقت تكلم الله مع موسى عليه السلام، وذلك لأنهم طلبوا أن يسمعوا كلام الله تعالى ﴿فَلَمَّا﴾ جاؤوا قالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله عياناً ف ﴿أَخَذْتُهُمُ الرَّجْفَةَ﴾ الزلزلة فماتوا جميعاً ﴿قَالَ﴾ موسى عليه السلام ﴿رَبِّ لَوْ شِئْتَ﴾ لو أردت إهلاكهم ﴿أَهْلَكْتُهُمْ مِنْ قَبْلُ﴾ حضورهم الميقات ﴿وَأَيَّايَ﴾ بأن تهلكني معهم أيضاً، وذلك لأنه يتهمني بنو إسرائيل بأنني قتلتهم ﴿أَتَهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ﴾ من طلب الرؤية ﴿السُّفْهَاءُ مِنَّا إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ﴾ امتحانك، والاستفهام للاستعطف ﴿تُضِلُّ بِهَا﴾ بالفتنة ﴿مَنْ تَشَاءُ﴾ فان الفتنة تكون سبباً لإظهار ما في الباطن ﴿وَتَهْدِي مَنْ تَشَاءُ أَنْتَ وَلِيْنَا﴾ الأولى بالتصرف فينا ﴿فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ﴾^(٢).

وفي آيات أخرى:

﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ﴾ بأن خلق الكلام فسمعه موسى عليه السلام ﴿قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ﴾ لأن القوم طلبوا منه ذلك فأراد عليه السلام جوابهم ﴿قَالَ﴾ الله ﴿لَنْ تَرَانِي﴾ أبداً، لاستحالة رؤية الله ﴿وَلَكِنْ أَنْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ﴾ بالقرب منك ﴿إِنْ اسْتَقَرَّ مَكَانُهُ فَسَوْفَ تَرَانِي﴾ علق الله تعالى الرؤية على المحال إذ الاستقرار حال التجلي

(١) عيون أخبار الرضا عليه السلام: ج ٢ ص ١٧٨ - ١٧٩ ب ١٥ ح ١.

(٢) تبيين القرآن: سورة الأعراف الآية ١٥٥، ص ١٨١.

محال ﴿فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ﴾ بأن أظهر نوره عليه ﴿جَعَلَهُ دَكًّا﴾ أي مذكوكاً ومدقوقاً ﴿وَاخْرَ﴾ وقع ﴿مُوسَى صَعِقًا﴾ مغشياً عليه من الهيبة ﴿فَلَمَّا أَفَاقَ﴾ موسى ﷺ من غشوته ﴿قَالَ سُبْحَانَكَ﴾ أنزهك عما لا يليق بك من الرؤية ﴿تَبَّتْ إِلَيْكَ﴾ من طلب الرؤية ﴿وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾^(١).

٦٤

من أخبار بني إسرائيل

قال الله تعالى: ﴿وَقَطَعْنَاهُمْ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ أَنْ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾^(٢) الآيات.

في البحار: إن بني إسرائيل عطشوا في التيه فقالوا: يا موسى من أين لنا الشراب؟ فاستسقى لهم موسى ﷺ فأوحى الله سبحانه إليه: ﴿أَنْ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ﴾ قيل: كان موسى ﷺ يقرع لهم أقرب حجر من عرض الحجارة فتنفجر عيوناً لكل سبط عين وكانوا اثني عشر سبطاً ثم تسيل كل عين في جدول إلى سبط، فقالوا: إن فقد موسى عصاه متنا عطشاً! فأوحى الله عز وجل إلى موسى: لا تفرعن الحجارة بالعصا ولكن كلمها تطعك لعلهم يعتبرون، وكان يفعل ذلك، فقالوا: كيف بنا لو أفضينا إلى الوحل وإلى الأرض التي ليست فيها حجارة؟

فأمر موسى ﷺ فحمل معه حجراً فحيث ما نزلوا ألقاه.

وقيل: كان حجراً مخصوصاً بعينه، والدليل عليه قوله: (الحجر) فأدخل الألف واللام للتعريف والتخصيص، مثل قولك: رأيت الرجل، ثم اختلفوا في ذلك الحجر

(١) تبين القرآن: سورة الأعراف الآية ١٤٣، ص ١٧٩.

(٢) سورة الأعراف: ١٦٠.

ما هو؟ قال ابن عباس: كان حجراً خفيفاً مربعاً مثل رأس الرجل أمر أن يحمله فكان يضع في مخلاته، فإذا احتاجوا إلى الماء ألفاه وضربه بعصاه فسقاهم، وقيل: كان الحجر من الكدان وهو حجارة رخوة كالمدر وكان فيه اثنتا عشرة حفرة ينبع من كل حفرة عين ماء عذب فيأخذونه، فإذا فرغوا وأراد موسى حمله ضربه بعصاه فيذهب الماء وكان يسقي كل يوم ستمائة ألف.

قال العلامة المجلسي رحمته الله: إن حجر موسى عليه السلام كان حجراً مخصوصاً وهو عند قائمنا (عجل الله تعالى فرجه الشريف) ^(١).

وفي الحديث: كان مع موسى عليه السلام حجر يضعه في وسط العسكر، ثم يضربه بعصاه فتنفجر منه اثنتا عشرة عيناً فيذهب الماء إلى كل سبط في رحله وكانوا اثني عشر سبطاً ^(٢).

وفي تفسير الإمام الحسن العسكري عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: عباد الله عليكم باعتماد ولايتنا أهل البيت ولا تفرقوا بيننا، وانظروا كيف وسع الله عليكم حيث أوضح لكم الحجة ليسهل عليكم معرفة الحق، ثم وسع لكم في التقية لتسلموا من شرور الخلق، ثم إن بدلتم وغيرتم عرض عليكم التوبة وقبلها منكم، فكونوا لنعماء الله شاكرين.

قال الله عز وجل: ﴿وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ ^(٣) قال الإمام عليه السلام: قال الله عز وجل: واذكروا يا بني إسرائيل إذ قلنا لأسلافكم ﴿ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ﴾ وهي أريحا من بلاد الشام وذلك حين خرجوا من التيه ﴿فَكُلُوا مِنْهَا﴾ من القرية ﴿حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا﴾ واسعا بلا تعب، ﴿وَادْخُلُوا الْبَابَ﴾ باب القرية ﴿سُجْدًا﴾ مثل الله تعالى على الباب مثال محمد وعلي عليهما السلام وأمرهم أن يسجدوا تعظيماً لذلك المثال، ويجددوا على أنفسهم بيعتهما وذكر موالاتهما وليذكروا العهد والميثاق المأخوذين عليهم لهما، ﴿وَقُولُوا حِطَّةٌ﴾ أي قولوا

(١) بحار الأنوار: ج ١٣ ص ١٩١ - ١٩٢ ب ٦.

(٢) قصص الأنبياء، للجزائري: ص ٢٩٨.

(٣) سورة البقرة: ٥٨ - ٦٢.

إن سجدونا لله تعظيماً لمثال محمد وعلي عليهما السلام واعتقادنا لولايتهما حطة لذنوبنا ومحو لسيئاتنا، قال الله تعالى: «نَغْفِرُ لَكُمْ» أي بهذا الفعل «خَطَايَاكُمْ» السالفة ونزيل عنكم آثامكم الماضية «وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ» من كان منكم لم يقارف الذنوب التي قارفها من خالف الولاية، وثبت على ما أعطى الله من نفسه من عهد الولاية فإننا نزيدهم بهذا الفعل زيادة درجات ومثوبات وذلك قوله عز وجل وسنزيد المحسنين، قوله عز وجل «فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ» إنهم لم يسجدوا كما أمروا، ولا قالوا ما أمروا، ولكن دخلوها من مستقبلها بأستاهم وقالوا: (هطا سمقانا)، أي حنطة حمراء ينقونها تنقوتها أحب إلينا من هذا الفعل وهذا القول.. القصة^(١).

وذكرنا في التبيين:

«وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ» جماعة «يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ» أي يعدلون بين الناس بسبب الحق، وهم كانوا في عصر موسى عليه السلام، أو بعده ممن آمن بالأنبياء عليهم السلام.

«وَقَطَعْنَاهُمْ» فرقنا بني إسرائيل «اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا» كل قبيلة سبط لانتها نسبها إلى أحد أولاد يعقوب عليه السلام «أُمَمًا» صفة (أسباطاً) «وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى إِذِ اسْتَسْقَاهُ» طلب منه الماء في التيه «قَوْمُهُ أَنْ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ» الذي كان معه فضرِب «فَانْبَجَسَتْ مِنْهُ» خرجت من الحجر «اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ» كل قبيلة «مَشْرَبَهُمْ» المحل الذي يشربون منه «وَوَهَبْنَا لَهُمْ السَّحَابَ الَّتِي فِيهَا الشَّمْسُ» «وَأَنْزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْمَنَّاءَ» مادة حلوة «وَالسَّلْوَى» قسم من الطير «كُلُّوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا» حيث كفروا «وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ».

«وَإِذْ» اذكر يا رسول الله أنه «قِيلَ لَهُمْ اسْكُنُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ» بيت المقدس، للخلاص من التيه «وَكُلُّوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا حِطَّةٌ» أي اللهم حطّ ذنوبنا

(١) تفسير الإمام العسكري عليه السلام: ص ٢٥٩ - ٢٦٠ سورة البقرة.

﴿وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا﴾ فإذا أردتم أن تدخلوا من باب القرية اسجدوا لله شكراً ﴿نَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَاتِكُمْ سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ﴾ ثواباً.

﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ﴾ بأن قالوا حنطة حمراء خير لنا ﴿فَارْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا﴾ عذاباً ﴿مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَظْلِمُونَ﴾ أنفسهم بالعصيان^(١).

٦٥

لعنهم الله

قال الله تعالى: ﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ﴾^(٢).

إن بني إسرائيل لما كفروا وعصوا الله وخالفوا رسوله المصطفى ﷺ ولم يؤمنوا به مع علمهم بأنه خاتم الأنبياء لعنهم الله تعالى.
في تفسير الإمام الحسن العسكري عليه السلام:

قال الإمام عليه السلام: قال الله تعالى ﴿وَقَالُوا﴾ يعني هؤلاء اليهود الذين أراهم رسول الله ﷺ المعجزات المذكورات عند قوله ﴿فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ﴾ الآية^(٣) ﴿قُلُوبُنَا غُلْفٌ﴾ أوعية للخير، والعلوم قد أحاطت بها واشتملت عليها ثم هي مع ذلك لا تعرف لك يا محمد فضلاً مذكوراً في شيء من كتب الله ولا على لسان أحد من أنبياء الله! فقال الله رداً عليهم: ﴿بَلْ﴾ ليس كما يقولون أوعية للعلوم ولكن قد ﴿لَعَنَهُمُ اللَّهُ﴾ أبعدهم من

(١) تبيين القرآن: سورة الأعراف الآية ١٥٩ - ١٦٢، ص ١٨٢ - ١٨٣.

(٢) سورة البقرة: ٨٨.

(٣) سورة البقرة: ٧٤.

الخير ﴿فَقَلِيلًا مَا يُؤْمِنُونَ﴾ قليل إيمانهم ، يؤمنون ببعض ما أنزل الله تعالى ويكفرون ببعض فإذا كذبوا محمداً ﷺ في سائر ما يقول فقد صار ما كذبوا به أكثر و ما صدقوا به أقل^(١).

ومن معاني ﴿قُلُونَا غُلْفٌ﴾ أي في غطاء فلا نفهم كلامك وحديثك ، كما قال الله تعالى : ﴿وَقَالُوا قُلُونَا فِي أَكْتَةٍ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنَكَ حِجَابٌ﴾.

وذكرنا في التبيين :

﴿وَقَالُوا﴾ أي اليهود ﴿قُلُونَا غُلْفٌ﴾ جمع أغلف ، أي في غطاء فلا نفهم ما تقول يا محمد ﷺ ﴿بَلْ﴾ ليس في غلاف وإنما ﴿لَعَنَهُمُ اللَّهُ﴾ بعدهم الله عن قبول الحق ﴿بِكُفْرِهِمْ﴾ أي بسبب كفرهم ، فحيث إنهم عقدوا العزم على الكفر بعدهم الله عن الهداية ، كما أنك لو أعطيت ولدك مالاً ليتاجر ، فعزم الولد على المقامرة بالمال ، طرده من قربك ﴿فَقَلِيلًا مَا﴾ مبالغة للقلة ﴿يُؤْمِنُونَ﴾.

﴿وَلَمَّا جَاءَهُمُ﴾ اليهود ﴿كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ هو القرآن ﴿مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ﴾ لكتابهم ، فإن القرآن يصدق التوراة الأصلية التي لم تحرف ﴿وَكَانُوا﴾ اليهود ﴿مِنْ قَبْلُ﴾ أي قبل نزول القرآن وبعثة النبي ﷺ ﴿يَسْتَفْتَحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أي يطلبون من الله النصر والفتح على الكفار بمجيء النبي ﷺ ، فإن اليهود في المدينة كانوا إذا تخاصموا مع المشركين ، توجهوا إلى الله تعالى أن ينقذهم بمحمد ﷺ عن المشركين ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا﴾ أي ما عرفوه سابقاً ، من محمد ﷺ والقرآن ﴿كَفَرُوا بِهِ﴾ بمحمد ﷺ والقرآن ﴿فَلَعَنَهُ اللَّهُ﴾ أي عذابه وطرده عن الخير ﴿عَلَى الْكَافِرِينَ﴾.

﴿بِئْسَمَا﴾ أي بشئ الشيء الذي ﴿اشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ﴾ فباعوا أنفسهم للعذاب لينالوا خيراً قليلاً في الدنيا ﴿أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ والحاصل بشئ الاشتراء : الكفر

(١) تفسير الإمام العسكري عليه السلام : ص ٣٩٠ سورة البقرة.

بما أنزل الله ﴿بَغْيًا﴾ أي كفرًا ناشئًا من البغي والظلم والفساد ﴿أَنْ يُنْزَلَ اللَّهُ﴾ فقد حسدوا أن ينزل الله بالوحي ﴿مِنْ فَضْلِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ أي محمد ﷺ ، لأن اليهود كانوا يترقبون أن ينزل الوحي على قبيلتهم من ولد إسحاق لا على ولد إسماعيل ﴿فَبَاءُوا﴾ أي رجع اليهود بسبب هذا الكفر والحسد ﴿بِغَضَبٍ﴾ من الله لكفرهم بمحمد ﷺ ﴿عَلَى غَضَبٍ﴾ سابق لكفرهم بيسى ﷺ ﴿وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ يهينهم ويذلهم.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ﴾ أي لليهود ﴿آمِنُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ من الكتب كالإنجيل والقرآن ﴿قَالُوا نُؤْمِنُ بِمَا أَنْزَلَ عَلَيْنَا﴾ أي التوراة فقط ﴿وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ﴾ أي بما نزل بعد توراتهم ، وهو الإنجيل والقرآن ﴿وَهُوَ الْحَقُّ﴾ أي والحال أن ما وراءه حق ﴿مُصَدِّقًا لِمَا مَعَهُمْ﴾ في حال كون ما وراء كتابهم مصدق للكتاب الذي مع اليهود ، وهو التوراة ﴿قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ بالتوراة لأن التوراة ينهى عن قتل الأنبياء ، فإذا ادعأؤكم بقولكم ﴿نُؤْمِنُ بِمَا أَنْزَلَ عَلَيْنَا﴾ كذب ، فأنتم لا تؤمنون حتى بالتوراة.

﴿وَلَقَدْ جَاءَكُمْ مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ﴾ بالأدلة الواضحة ﴿ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ﴾ عبدتم ما يشبه ولد البقر ﴿مِنْ بَعْدِهِ﴾ أي بعد مجيء موسى ﷺ بالبينات ، فهذا دليل آخر على أنكم لا تؤمنون بالتوراة أيضا ﴿وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ﴾.

﴿وَإِذْ﴾ واذكروا يا بني إسرائيل الزمان الذي ﴿أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ﴾ عهدكم الأكيد باتباع التوراة ﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمْ الطُّورَ﴾ قطعة من الجبل ، وذلك لتخويفكم وتهديدكم بأنكم إذا لم تؤمنوا سقط عليكم وأهلككم ، فقلنا لكم ﴿خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ﴾ من الأحكام ﴿بِقُوَّةٍ﴾ بشدة وتأكد ﴿وَأَسْمِعُوا﴾ الأوامر سماع طاعة وانقياد ﴿قَالُوا سَمِعْنَا﴾ قولك ﴿وَعَصَيْنَا﴾ أمرك ﴿وَأَشْرَبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ﴾ كأن قلبهم شرب حب العجل ، فلا يخرج حبه من قلوبهم ، ولذا لما ذره موسى ﷺ في البحر كان جماعة منهم يلقون بأنفسهم في الماء ليشربوا منه ﴿بُكَفْرِهِمْ﴾ أي بسبب كفرهم الكامن في

أنفسهم ﴿قُلْ بِسْمَا﴾ أي بشئ الشيء الذي ﴿يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِيمَانُكُمْ﴾ فإنهم كانوا يقولون إن إيمانهم بموسى عليه السلام يأمرهم بعدم اتباع محمد ﷺ ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾^(١).



إلى غيرها من الآيات الكثيرة التي وردت في بني إسرائيل واليهود وقصصهم ، وفي ذلك عبرة للمسلمين ولغيرهم ، قال رسول الله ﷺ : «يكون في هذه الأمة كل ما كان في بني إسرائيل حذو النعل بالنعل ، والقذة بالقذة».

فإن سعادة الدارين لا تكون إلا في طاعة الله تعالى والعمل بكتابه وامثال أمر النبي ﷺ وأهل البيت عليه السلام .. وشقاء الدارين في عكس ذلك ، وما نشاهده اليوم من مآسي المسلمين على كثرتها فإنها بسبب تركهم لكتاب الله عز وجل وسنة نبيه ﷺ وعترته الطاهرة عليه السلام ، كما أن بني إسرائيل لما تركوا نبيهم وكتابهم وحرفوه نزل عليهم العذاب وأصبحوا أذلة خاسئين.

(١) تبين القرآن : سورة البقرة الآية ٨٨ - ٩٣ ، ص ٢٣ - ٢٤ .

الفصل الثاني

اليهود في عهد رسول الله ﷺ

إسلام اليهود

لم يكن جميع اليهود من المعاندين، فإن كثيراً منهم لما تعرفوا على رسول الله ﷺ وعلموا بصدقه، آمنوا به وأسلموا وحسن إسلامهم.

وكان هناك بعض اليهود من المعاندين، فإنهم مع علمهم بأن محمداً ﷺ هو خاتم النبيين لكنهم لم يؤمنوا به، قال تعالى: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾^(١).

وكان اليهود - خاصة علماؤهم - يقرؤون التوراة التي نزلت على نبي الله موسى عليه السلام ويلاحظون ما فيها من علائم نبي آخر الزمان ﷺ، وما يتميز به من خصائص على سائر الأنبياء والمرسلين عليه السلام، ومع ذلك كله لم يؤمن بعضهم وإن آمن آخرون. وفي بعض الأخبار: إنهم كانوا يعرفون حتى خصائص الأمة الإسلامية وكيف أنها فضلت على سائر الأمم، ففي الحديث عن أمير المؤمنين عليه السلام، قال:

«إن نفراً من اليهود جاءوا إلى رسول الله ﷺ فسأله أعلمهم عن أشياء، فكان فيما سأله: أخبرنا عن سبع خصال أعطاك الله من بين النبيين وأعطى أمتك من بين الأمم؟»

فقال النبي ﷺ: أعطاني الله عز وجل فاتحة الكتاب، والأذان، والجماعة في المسجد، ويوم الجمعة، والصلاة على الجنائز، والإجهار في ثلاث صلوات، والرخصة لأمتي عند الأمراض والسفر، والشفاعة لأصحاب الكبائر من أمتي. قال اليهودي: صدقت يا محمد، فما جزاء من قرأ فاتحة الكتاب؟

فقال رسول الله ﷺ: من قرأ فاتحة الكتاب أعطاه الله عز وجل بعدد كل آية نزلت من السماء ثواب تلاوتها، وأما الأذان فإنه يحشر المؤذنون من أمتي مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وأما الجماعة فإن صفوف أمتي في الأرض كصفوف الملائكة في السماء والركعة في جماعة أربع وعشرون ركعة كل ركعة أحب إلى الله

عز وجل من عبادة أربعين سنة، وأما يوم الجمعة فإن الله يجمع فيه الأولين والآخرين للحساب فما من مؤمن مشى إلى الجماعة إلاّ خفف الله عز وجل عليه أهوال يوم القيامة ثم يجازيه الجنة، وأما الاجهار فإنه يتباعد منه لهب النار بقدر ما يبلغ صوته ويجوز على الصراط ويعطى السرور حتى يدخل الجنة، وأما السادس فإن الله عز وجل يخفف أهوال يوم القيامة لأمتي كما ذكر الله في القرآن، وما من مؤمن يصلي على الجنائز إلاّ أوجب الله له الجنة إلاّ أن يكون منافقاً أو عاقاً، وأما شفاعتي ففي أصحاب الكبائر ما خلا أهل الشرك والظلم.

قال: صدقت يا محمد، وأنا أشهد أن لا إله إلاّ الله وأنت عبده ورسوله خاتم النبيين وإمام المتقين ورسول رب العالمين. فلما أسلم وحسن إسلامه أخرج رَقاً أبيض فيه جميع ما قال النبي ﷺ وقال: يا رسول الله، والذي بعثك بالحق نبياً ما استنسخناها إلاّ من الألواح التي كتب الله عز وجل لموسى بن عمران عليه السلام، ولقد قرأت في التوراة فضلك حتى شككت فيه يا محمد، ولقد كنت أحو اسمك منذ أربعين سنة من التوراة وكلما محوته وجدته مثبتاً فيها، ولقد قرأت في التوراة أن هذه المسائل لا يخرجها غيرك وأن في الساعة التي ترد عليك فيها هذه المسائل يكون جبرئيل عن يمينك وميكائيل عن يسارك ووصيك بين يديك.

فقال رسول الله ﷺ: صدقت هذا جبرئيل عن يميني، وميكائيل عن يساري، ووصيي علي بن أبي طالب بين يدي. فأمن اليهودي وحسن إسلامه^(١).

أقول: كان أمير المؤمنين عليه السلام ملازماً لرسول الله ﷺ طيلة حياته حتى أنه عليه السلام

قال:

«وَقَدْ عَلِمْتُمْ مَوْضِعِي مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِالْقُرَابَةِ الْقَرِيبَةِ، وَالْمَنْزِلَةِ الْخَصِيصَةِ. وَضَعَنِي فِي حِجْرِهِ وَأَنَا وَلَدٌ، يَضُمُّنِي إِلَى صَدْرِهِ، وَيَكْنُفُنِي فِي فِرَاشِهِ، وَيُمَسِّنِي جَسَدَهُ، وَيُسَمِّنِي عَرَفَهُ، وَكَانَ يَمْضَغُ الشَّيْءَ ثُمَّ يُلْقِمُونِيهِ. وَمَا وَجَدَ لِي كَذِبَةً فِي قَوْلٍ، وَلَا خَطْلَةً فِي فِعْلٍ، وَلَقَدْ قَرَنَ اللَّهُ بِهِ ﷺ مِنْ لَدُنْ أَنْ كَانَ فَطِيماً أَعْظَمَ مَلِكٍ مِنْ

(١) الخصال: ج ٢ ص ٣٥٥-٣٥٦ سبع خصال أعطاها الله عز وجل نبيه ﷺ ح ٣٦.

مَلَائِكَتِهِ يَسْلُكُ بِهِ طَرِيقَ الْمَكَارِمِ، وَمَحَاسِنَ أَخْلَاقِ الْعَالَمِ لَيْلُهُ وَنَهَارُهُ. وَلَقَدْ كُنْتُ أَتَّبِعُهُ اتِّبَاعَ الْفَصِيلِ أَثَرُ أُمِّهِ، يَرْفَعُ لِي فِي كُلِّ يَوْمٍ مِنْ أَخْلَاقِهِ عِلْماً، وَيَأْمُرُنِي بِالْإِقْتِدَاءِ بِهِ. وَلَقَدْ كَانَ يُجَاوِرُ فِي كُلِّ سَنَةٍ بِحَرَاءٍ فَأَرَاهُ وَلَا يَرَاهُ غَيْرِي، وَلَمْ يَجْمَعْ بَيْتَ وَاحِدٍ يَوْمَئِذٍ فِي الْإِسْلَامِ غَيْرَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَخَدِيجَةَ وَأَنَا ثَالِثُهُمَا، أَرَى نُورَ الْوَحْيِ وَالرَّسَالَةِ، وَأَشْمُ رِيحَ النُّبُوَّةِ. وَلَقَدْ سَمِعْتُ رَنَّةَ الشَّيْطَانِ حِينَ نَزَلَ الْوَحْيُ عَلَيْهِ ﷺ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا هَذِهِ الرَّنَّةُ؟ فَقَالَ: هَذَا الشَّيْطَانُ قَدْ أُيسَ مِنْ عِبَادَتِهِ، إِنَّكَ تَسْمَعُ مَا أَسْمَعُ، وَتَرَى مَا أَرَى إِلَّا إِنَّكَ لَسْتَ بِنَبِيٍّ وَلَكِنَّكَ لَوْزِيرٌ، وَإِنَّكَ لَعَلَى خَيْرٍ^(١).

وهكذا كان أمير المؤمنين عليه السلام المناصر الأول لرسول الله ﷺ وفداه بنفسه طيلة حياته، وقد أشار الرسول الأكرم ﷺ إلى ذلك فقال: «ما قام ديني ولا استقام إلا بشيئين: مال خديجة، وسيف علي»^(٢).

لماذا سميت محمداً؟

عمد بعض اليهود إلى سؤال رسول الله ﷺ عن كل شيء علّهم يعجزونه عن الجواب ويطلقون دعوته أمام الناس، ولكنهم في كل مرة فشلوا وزاد إقبال الناس نحو الإسلام.

يقول الإمام الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام: «جاء نفر من اليهود إلى رسول الله ﷺ فسألوه: لأي شيء سميت محمداً وأحمد وأبا القاسم وبشيراً ونذيراً وداعياً؟. فقال النبي ﷺ: أما (محمد) فإني محمود في الأرض، وأما (أحمد) فإني محمود في السماء، وأما (أبو القاسم) فإن الله عز وجل يقسم يوم القيامة قسمة النار فمن كفر بي من الأولين والآخرين ففي النار، ويقسم قسمة الجنة فمن آمن بي وأقر بنبوتي ففي

(١) نهج البلاغة، الخطب: رقم ١٩٢ ومن خطبة له عليه السلام تسمى القاصعة.

(٢) أعيان الشيعة ج ٢ ص ١٤ شجرة طوبى: ج ٢ ص ٢٣٣ المجلس السابع.

الجنة ، وأما (الداعي) فإني أدعو الناس إلى دين ربي عز وجل ، وأما (النذير) فإني أنذر بالنار من عصائي ، وأما (البشير) فإني أبشر بالجنة من أطاعني^(١).

صف لي ربك

كان من أسئلة اليهود عن رسول الله ﷺ سؤالهم عن الله عز وجل وعن صفاته ، وعن نبي آخر الزمان وأوصيائه ، ليتحققوا من صدقه في دعواه واتصاله بالله تعالى.

وعندما كان الرسول ﷺ يبين لهم صفات الله عز وجل وأوصاف نبي آخر الزمان وأسماء نقبائه ، ويرون ذلك مطابقاً لما أخبروا به ، فإنهم في كثير من الأحيان كانوا يؤمنون ويدخلون في دين الإسلام.

نقل ابن عباس^(٢) قال : قدم يهودي على رسول الله ﷺ يقال له : نعثل . فقال : يا محمد ، إني أسألك عن أشياء تلجلج^(٣) في صدري منذ حين ، فإن أنت أجبتني عنها أسلمت على يدك.

قال ﷺ : «سل يا أبا عمار».

فقال : يا محمد ، صف لي ربك؟.

فقال ﷺ : «إن الخالق لا يوصف إلا بما وصف به نفسه ، وكيف يوصف الخالق الذي تعجز الحواس أن تدركه ، والأوهام أن تناله ، والخطرات أن تحده ، والأبصار الإحاطة به!! جل عما يصفه الواصفون. نأى في قربه ، وقرب في نأيه ، كيف الكيف

(١) علل الشرائع : ج ١ ص ١٢٦ - ١٢٧ ب ١٠٦ ح ١.

(٢) عده الشيخ من أصحاب رسول الله ﷺ ، ومن أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام ، ومن أصحاب الإمام الحسين عليه السلام . وعده البرقي من أصحاب رسول الله ﷺ ، وقد روى عن رسول الله ﷺ ، وروى عنه عطاء بن أبي رباح . وقد ذكر الكشي فيه روايات تمدحه ، ولا شك في وثاقته وجلالة قدره ، بل وفي كونه من المدافعين عن أمير المؤمنين عليه السلام ، والحسين عليه السلام .

(٣) تلجلج : تردد وتعلق ولم يستقر - مجمع البحرين : ج ٢ ص ٣٢٧ مادة (لجج).

فلا يقال له كيف ، وأين الأين فلا يقال له أين ، هو منقطع الكيفوفية والأينونية ، فهو الأحد الصمد كما وصف نفسه ، والواصفون لا يبلغون نعته ، لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد».

قال : صدقت يا محمد ، فأخبرني عن قولك إنه واحد لا شبه له ، أليس الله واحد والإنسان واحد؟ ، فوحدانيته أشبهت وحدانية الإنسان؟.

فقال ﷺ : «الله واحد وأحدي المعنى ، والإنسان واحد ثنوي المعنى ، جسم وعرض وبدن وروح ، وإنما التشبيه في المعاني لا غير».

قال : صدقت يا محمد ، فأخبرني عن وصيك من هو؟ ، فما من نبي إلا وله وصي ، وإن نبينا موسى بن عمران ﷺ أوصى إلى يوشع بن نون ﷺ.

فقال : «نعم ، إن وصيي والخليفة من بعدي علي بن أبي طالب ﷺ ، وبعده سبطاي الحسن والحسين عليهما السلام ، تتلوه تسعة من صلب الحسين أئمة أبرار عليهما السلام».

قال : يا محمد فسمهم لي؟.

قال ﷺ : «نعم ، إذا مضى الحسين فابنه علي ، فإذا مضى علي فابنه محمد ، فإذا مضى محمد فابنه جعفر ، فإذا مضى جعفر فابنه موسى ، فإذا مضى موسى فابنه علي ، فإذا مضى علي فابنه محمد ، فإذا مضى محمد فابنه علي ، فإذا مضى علي فابنه الحسن ، فإذا مضى الحسن فبعده ابنه الحجة بن الحسن بن علي عليهما السلام ، فهذه اثنا عشر إماماً على عدد نقباء بني إسرائيل».

قال : فأين مكانهم في الجنة؟.

قال : «معي في درجتي».

قال : «أشهد أن لا إله إلا الله ، وأنت رسول الله ، وأشهد أنهم الأوصياء بعدك ، ولقد وجدت هذا في الكتب المقدمة ، وفيما عهد إلينا موسى بن عمران ﷺ أنه إذا كان آخر الزمان يخرج نبي يقال له : أحمد ، خاتم الأنبياء لا نبي بعده ، يخرج من صلبه أئمة أبرار عدد الأسباط».

فقال ﷺ : «يا أبا عمار ، أتعرف الأسباط؟».

قال: نعم يا رسول الله، إنهم كانوا اثني عشر.

قال ﷺ: «فإن فيهم لاوي بن أرحيا».

قال: أعرفه يا رسول الله، وهو الذي غاب عن بني إسرائيل سنين ثم عاد فأظهر

شريعته بعد اندراسها وقاتل مع قرسطيا الملك حتى قتله.

وقال ﷺ: «كائن في أمتي ما كان من بني إسرائيل حذو النعل بالنعل والقذة

بالقذة، وإن الثاني عشر من ولدي يغيب حتى لا يرى، ويأتي على أمتي زمن لا يبقى

من الإسلام إلا اسمه، ولا من القرآن إلا رسمه، فحينئذ يأذن الله له بالخروج فيظهر

الإسلام ويجدد الدين».

ثم قال ﷺ: «طوبى لمن أحبهم وطوبى لمن تمسك بهم، والويل لمبغضهم».

فانتفض نعل وقام بين يدي رسول الله ﷺ وأنشأ يقول:

صلى العلي ذوالعلي عليك يا خير البشر

أنت النبي المصطفى والهاشمي المفتخر

بك اهتدينا رشدنا وفيك نرجو ما أمر

ومعشر رسميتهم أئمة اثنا عشر

حباهم رب العلي ثم صفاهم من كدر^(١)

أقول: الأخبار الشريفة في أوصياء رسول الله ﷺ وعددهم وأسمائهم كثيرة

متواترة، وكذلك في خاتم الأوصياء الإمام المهدي عليه السلام وأنه يجدد الدين ويحيى

الشريعة ويملا الأرض قسطاً وعدلاً بعد ما ملئت ظلماً وجوراً.

(١) بحار الأنوار: ج ٣٦ ص ٢٨٣ - ٢٨٥ ب ٤١ ح ١٠٦.

أين ربك يا محمد؟

روي أن يهودياً جاء إلى رسول الله ﷺ يقال له: سنجت الفارسي. فقال: أسألك عن ربك يا محمد، إن أجبتني اتبعتك - وكان رجلاً من ملوك فارس وكان ذرباً^(١) - فقال: أين الله؟.

قال ﷺ: «هو في كل مكان، وربنا لا يوصف بمكان ولا يزول، بل لم يزل بلا مكان ولا يزال».

فقال: يا محمد، إنك لتصف رباً عظيماً بلا كيف، فكيف لي أن أعلم أنه أرسلك؟.

قال علي بن أبي طالب عليه السلام: «فلم يبق بحضرتنا ذلك اليوم حجر ولا مدر^(٢) إلا قال: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله. وقلت أيضاً: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله».

فأسلم سنجت، وسماه رسول الله ﷺ: عبد الله.

فقال: يا رسول الله، من هذا؟.

قال ﷺ: «هذا خير أهلي، وأقرب الخلق مني، وهو الوزير معي في حياتي، والخليفة بعد وفاتي، كما كان هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي، فاسمع له وأطعه؛ فإنه على الحق»^(٣).

أقول: تواترت الأخبار الشريفة عن رسول الله ﷺ بخلافة أمير المؤمنين علي عليه السلام من بعده، وأنه منه بمنزلة هارون من موسى، ومع ذلك فإن الأمة انقلبت على أعقابها بعد وفاة الرسول ﷺ وتركت أمير المؤمنين عليه السلام وأهل بيته عليه السلام مشغولين بتجهيز النبي ﷺ وعقدوا الأمر في سقيفة بني ساعدة وأدلو بالخلافة إلى غيره،

(١) الذرب: الحاد من كل شيء - كتاب العين: ج ٨ ص ١٨٣ مادة (ذرب).

(٢) المدر: قطع طين يابس - كتاب العين: ج ٨ ص ٣٨ مادة (مدر).

(٣) الخرائج والجرائح: ج ٢ ص ٤٩١ - ٤٩٢ ب ١٤ فصل في أعلام رسول الله ﷺ.

والحال أن رسول الله ﷺ إلى أواخر لحظات عمره الشريف كان يؤكد على أن الأمر لعلي أمير المؤمنين عليه السلام من بعده.

أخلاق الرسول ﷺ مع اليهود

على الرغم أن اليهود كانوا يسيئون إلى رسول الله ﷺ ويخططون ليل نهار لرد دعوته المباركة والمؤامرة عليه وعلى أصحابه، إلا أنه ﷺ كان دائماً يحسن إليهم ويعفو عنهم.

وفي طفلة حياته ﷺ الشريفة - حتى بعد ما قوي الإسلام - لم ينقل عن النبي ﷺ أنه أساء إلى أحد من اليهود أو رد إساءتهم بمثلها، بل كان دائماً يحلم عنهم ويسعى في هدايتهم بالحكمة والموعظة الحسنة، والشواهد على ذلك كثيرة منها ما روي عن أمير المؤمنين عليه السلام، قال :

«إن يهودياً يقال له : حوِجر، كان له على رسول الله ﷺ دنانير. فتقاضى النبي ﷺ، فقال ﷺ له : يا يهودي، ما عندي ما أعطيك.

فقال : إني لا أفارقك يا محمد حتى تعطيني.

فقال : إذا أجلس معك. فجلس معه صلى رسول الله ﷺ في ذلك الموضع الظهر والعصر والمغرب والعشاء الآخرة والغداة، وكان أصحاب رسول الله ﷺ يتهددونه ويتوعدونهم. ففطن رسول الله ﷺ فقال : ما الذي تصنعون به؟ فقالوا : يا رسول الله، يهودي يحبسك ! فقال ﷺ : نهى تبارك وتعالى أن أظلم معاهداً ولا غيره. فلما ترحل^(١) النهار قال اليهودي : أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وشطر^(٢) مالي في سبيل الله. أما والله ما فعلت بك الذي فعلت إلا لأنظر إلى نعتك في التوراة ؛ فإني قرأت في التوراة : محمد بن عبد الله مولده بمكة ومهاجره بطيبة،

(١) ترحل : ارتحال في مهلة - كتاب العين : ج ٣ ص ٢٠٨ مادة (رحل).

(٢) شطر : شطر كل شيء نصفه - كتاب العين : ج ٦ ص ٢٣٣ مادة (شطر).

وملكه بالشام، وليس بفظ ولا غليظ، ولا سخاف^(١) في الأسواق، ولا مرس^(٢) بالفحش، ولا قول الخطأ. أشهد أن لا إله إلا الله وأنت رسول الله، وهذا مالي فاحكم فيه بما أراك الله تعالى، وكان اليهودي كثير المال^(٣).

أقول: الأخلاق الطيبة من أهم أسرار النجاح، وهكذا كان رسول الله ﷺ حيث آمن كثير من الناس ببركة أخلاقه ﷺ، وقد وصفه القرآن الكريم بقوله تعالى: ﴿وَأَنَّكَ لَـعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾^(٤)، فحري بالمسلمين أن يتبعوا نبيهم ويتخلقوا بأخلاقه العظيمة ليجذبوا العالم إلى الإسلام.

إسلام شاب يهودي

كان رسول الله ﷺ خير نموذج للتعايش السلمي مع غير المسلمين من الأقليات الدينية، وهو ﷺ أسوة حسنة في حسن التعامل مع الكفار والمشركين، فكانوا يدخلون على رسول الله ﷺ ويسألونه ويحدثونه ويحاجونه من دون أي مانع. وكان النبي ﷺ يعاملهم كسائر رعيته في البيع والشراء، والأجرة، والإجارة، والقرض والقراض، وما أشبه.

عن أبي جعفر عليه السلام قال: «كان غلام من اليهود يأتي النبي ﷺ كثيراً حتى استخفه^(٥)، وربما أرسله في حاجة، وربما كتب ﷺ له الكتاب إلى قوم، فافتقده أياماً فسأل عنه؟ فقال له قائل: تركته في آخر يوم من أيام الدنيا!.

فأتاه النبي ﷺ في ناس من أصحابه وكان بركة لا يكاد يكلم أحداً إلا أجابه، فقال: يا فلان. ففتح عينيه وقال: لبيك يا أبا القاسم. قال: أشهد أن لا إله إلا الله

(١) السخف: رقة العقل، والسخافة عام في كل شيء. كتاب العين: ج ٤ ص ٢٠٢ مادة (سخف).

(٢) المرس والمراس: الممارسة. لسان العرب: ج ٦ ص ٢١٥ مادة (مرس).

(٣) مستدرك الوسائل: ج ١٣ ص ٤٠٧ - ٤٠٨ ب ١٧ ح ١٥٧٤١.

(٤) سورة القلم: ٤.

(٥) استخفه: خلاف استنقله. مجمع البحرين: ج ٥ ص ٤٨ مادة (خفف).

وأني رسول الله.

فنظر الغلام إلى أبيه فلم يقل له شيئاً، ثم ناداه رسول الله ﷺ الثانية وقال له مثل قوله الأول، فالتفت الغلام إلى أبيه فلم يقل له شيئاً، ثم ناداه رسول الله ﷺ الثالثة، فالتفت الغلام إلى أبيه، فقال أبوه: إن شئت فقل وإن شئت فلا.

فقال الغلام: أشهد أن لا إله إلا الله وأنت محمد رسول الله، ومات مكانه.

فقال رسول الله ﷺ لأصحابه: اغسلوه وكفنوه واثنوني به أصلي عليه، ثم خرج وهو يقول: الحمد لله الذي أنجى بي نسمة من النار^(١).

أقول: وفي هذه القصة خير دليل على سعة باب الهداية الذي فتحه الله عز وجل لعباده، وبعث خاتم الأنبياء والرسل ﷺ ليدعو الناس في الدخول إلى الإسلام بكل سهولة ومن دون أي مقدمات. قال عز وجل: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾^(٢). وإن باب التوبة والهداية مفتوح على مصراعيه أمام الجميع ولو في آخر لحظات عمرهم.

يا أخا اليهود!

من حسن تعامل نبي الإسلام ﷺ مع اليهود أنه كان يخاطبهم بالأخ، فيقول لأحدهم: يا أخا اليهود^(٣). ومن قبل ذلك القرآن الكريم حيث عبر عن الكفار من قوم صالح وهود وشعيب بالأخوة لأنبياء الله.

قال تعالى: ﴿وَالِئِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا﴾^(٤). وقال سبحانه: ﴿وَالِئِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا﴾^(٥).

(١) الأمالي للصدوق: ص ٣٩٧ - ٣٩٨ المجلس ٦٢ ح ١٠.

(٢) سورة آل عمران: ١٩.

(٣) كما سيأتي في الرواية التالية.

(٤) سورة الأعراف: ٦٥، سورة هود: ٥٠.

(٥) سورة الأعراف: ٧٣، سورة هود: ٦١.

وقال تعالى: ﴿وَالِى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا﴾^(١).

وقال عز وجل: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا﴾^(٢).

ثم إن الأنبياء عليهم السلام - وخاصة أولوا العزم منهم - كانوا يبشرون الناس بنبي آخر الزمان عليه السلام، ويشيرون إلى صفاته وكراماته المختلفة، فمنهم النبي عيسى عليه السلام حيث قال الله عز وجل عنه: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾^(٣).

ومنهم النبي موسى عليه السلام حيث بشر اليهود بنبوة الرسول أحمد عليه السلام كما في المروي عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: «إنه قدم على رسول الله عليه السلام جبر^(٤) من أحبار اليهود، وقال: يا رسول الله، قد أرسلني إليك قومي أن عهد إلينا نبينا موسى عليه السلام أنه يبعث بعدي نبي اسمه أحمد وهو عربي، فامضوا إليه واسألوه أن يخرج لكم من جبل هناك سبع نوق حمر الوبر سود الحديق^(٥)، فإن أخرجها لكم فسلموا عليه وآمنوا به واتبعوا النور الذي أنزل معه وصياً، فهو سيد الأنبياء ووصيه سيد الأوصياء وهو بمنزلة هارون من موسى.

فعند ذلك قال عليه السلام: الله أكبر قم بنا يا أخا اليهود. قال: فخرج النبي عليه السلام والمسلمون حوله إلى ظاهر المدينة، وجاء إلى جبل فبسط البردة وصلى ركعتين وتكلم بكلام خفي، وإذا الجبل يصر^(٦) صريراً عظيماً وانشق، وسمع الناس حنين النوق! فقال اليهودي: مد يدك فإننا نشهد أن لا إله إلا الله وأنت محمد رسول الله عليه السلام.

(١) سورة الأعراف: ٨٥، سورة هود: ٨٤، سورة العنكبوت: ٣٦.

(٢) سورة النمل: ٤٥.

(٣) سورة الصف: ٦.

(٤) الخبر: هو الرجل الصالح، وجمعه أحبار وجبور، والمراد به علماءهم وكبارهم - انظر لسان العرب: ج ٤ ص ١٥٧ مادة (جبر).

(٥) الحديق: حدقة العين، في الظاهر هي سواد العين وفي الباطن خزنتها - كتاب العين: ج ٣ ص ٤١ مادة (حديق).

(٦) صرّ: صوّت وصاح أشدّ الصياح - لسان العرب: ج ٤ ص ٤٥٠ مادة (صر).

وأن جميع ما جئت به صدق وعدل. يا رسول الله، أمهلني حتى أمضي إلى قومي وأجيء بهم ليقضوا عدتهم منك ويؤمنوا بك.

قال: فمضى الخبر إلى قومه فأخبرهم بذلك، فتهجروا بأجمعهم للمسير يطلبون المدينة، فلما دخلوها وجدوها مظلمة بفقد رسول الله ﷺ وقد انقطع الوحي من السماء، وجلس مكانه أبو بكر فدخلوا عليه وقالوا: أنت خليفة رسول الله ﷺ؟ قال: نعم.

قالوا: أعطنا عدتنا من رسول الله ﷺ.

قال: وما عدتكم؟

قالوا: أنت أعلم بعدتنا إن كنت خليفة حقاً، وإن لم تكن خليفة فكيف جلست مجلس نبيك بغير حق ولست له أهلاً؟

قال: فقام وقعد وتحير في أمره ولم يعلم ماذا يصنع.. وإذا برجل من المسلمين، فقال: اتبعوني حتى أدلكم على خليفة رسول الله ﷺ.

قال: فخرجوا من بين يدي أبي بكر وتبعوا الرجل حتى أتوا إلى منزل الزهراء ع عليها السلام وطرقوا الباب وإذا الباب قد فتح، فإذا بعلي ع قد خرج وهو شديد الحزن على رسول الله ﷺ، فلما رآهم قال: أيها اليهود تريدون عدتكم من رسول الله ﷺ؟ قالوا: نعم.

فخرج معهم إلى ظاهر المدينة إلى الجبل الذي صلى عنده رسول الله ﷺ، فلما رأى مكانه تنفس الصعداء وقال: بأبي وأمي من كان بهذا الجبل هنيئاً، ثم صلى ركعتين وإذا بالجبل قد انشق وخرجت النوق منه، وهي سبع نوق، فلما رأوا ذلك قالوا بلسان واحد: نشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ﷺ وإنك الخليفة من بعده، وأن ما جاء به ﷺ من عند ربنا هو الحق، وأنت خليفة حقاً ووصيه ووارث علمه، فجزاك الله وجزاه عن الإسلام خيراً، ثم رجعوا إلى بلادهم مسلمين موحدين^(١).

(١) بحار الأنوار: ج ٤١ ص ٢٧٠-٢٧١ ب ١١٢ ح ٢٤.

أقول: إن الذين تقمصوا الخلافة كثيراً ما كانوا يعجزون عن الإجابة على أسئلة الناس حتى البسيطة منها، ويتدارك أمير المؤمنين عليه السلام الموقف ويثبت أحقية الإسلام، ومع ذلك فإن بعض الأمة أصروا على إعراضهم عنه عليه السلام وتركوه جليس الدار.

أنت أفضل أم موسى بن عمران؟

لم يكن رسول الله ﷺ يفتخر على الآخرين بفضائله ومناقبه المحمودة التي حباها الله عز وجل بها، بل كان يعتز بكونه عبداً من عباد الله المكرمين خصه الباري تعالى برسالته واصطفاه بنبوته.

ولكن في بعض الأحيان لما كان يستدعي الأمر أن يظهر رسول الله ﷺ فضائله أمام الآخرين لمصلحة مهمة كهداية الناس إذا توقفت عليه، كان ﷺ يشير إلى فضائله وأفضليته، وقد ذكرنا حكم مدح النفس في كتاب (من فقه الزهراء عليها السلام)^(١).

ومن ذلك ما ورد عن معمر بن راشد، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «أتى يهودي إلى رسول الله ﷺ فقام بين يديه يحذ النظر إليه. فقال ﷺ: يا يهودي، ما حاجتك؟»

فقال: أنت أفضل أم موسى بن عمران النبي كلمه الله عز وجل، وأنزل عليه التوراة والعصا، وفلق له البحر وأظله بالغمام؟.

فقال له النبي ﷺ: إنه يكره للعبد أن يزكي نفسه، ولكني أقول: إن آدم عليه السلام لما أصاب الخطيئة كانت توبته أن قال: اللهم إني أسألك بحق محمد وآل محمد لما غفرت لي، فغفرها الله له. وأن نوحاً عليه السلام لما ركب السفينة وخاف الغرق، قال: اللهم إني أسألك بحق محمد وآل محمد لما أنجيتني من الغرق، فأنجاه الله عز وجل. وأن

(١) من أبرز مؤلفات الإمام السيد محمد الشيرازي (أعلى الله مقامه) كُتِبَ في قم المقدسة عام ١٤١٤ هـ. يقع الكتاب في سبعة أجزاء، ويعد من الأبواب الفقهية المبتكرة، حيث تطرق الإمام المؤلف رحمته الله - ولأول مرة - إلى استنباط الأحكام الشرعية من روايات السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام، طبع منه لحد الآن خمسة مجلدات.

إبراهيم عليه السلام لما ألقى في النار، قال: اللهم إني أسألك بحق محمد وآل محمد لما آمنتني، فجعلها برداً وسلاماً. وأن موسى عليه السلام لما ألقى عصاه وأوجس في نفسه خيفة، قال: اللهم إني أسألك بحق محمد وآل محمد لما آمنتني، قال الله تعالى: ﴿لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى﴾^(١). يا يهودي، إن موسى عليه السلام لو أدركني ثم لم يؤمن بي وبنبوتي ما نفعه إيمانه شيئاً، ولا نفعته النبوة. يا يهودي، ومن ذريتي المهدي عليه السلام إذا خرج نزل عيسى ابن مريم عليه السلام لنصرته، فقدمه ويصلي خلفه»^(٢).

أقول: الأخبار مستفيضة في توسل الأنبياء عليهم السلام بأهل البيت عليهم السلام وتقديمهم إلى الله عز وجل شفعاء في قضاء حوائجهم^(٣)، وكذلك الأخبار الدالة على أن المهدي عليه السلام من ذرية النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وأنه إذا ظهر سيصلي خلفه عيسى بن مريم عليه السلام^(٤).

آثار وبركات الصدقة

في حديث عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «مر يهودي بالنبي صلى الله عليه وآله ... فقال النبي صلى الله عليه وآله: إن هذا اليهودي يعضه أسود في قفاه فيقتله. قال: فذهب اليهودي فاحتطب حطباً كثيراً فاحتمله ثم لم يلبث أن انصرف. فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله: ضعه. فوضع الحطب فإذا أسود في جوف الحطب عاض على عود. فقال: يا يهودي، ما عملت اليوم؟»

(١) سورة طه: ٦٨.

(٢) الاحتجاج: ج ١ ص ٤٧ - ٤٨ احتجاجه صلى الله عليه وآله على اليهود في جواز نسخ الشرائع وفي غير ذلك.

(٣) راجع مثلاً: بحار الأنوار: ج ٢٦ ص ٣١٩ ب ٧، تفسير الإمام العسكري عليه السلام: ص ٢٥٥ ارتفاع القتل عن بني إسرائيل بتوسلهم بمحمد وآله عليهم السلام.

(٤) راجع: العمدة: ص ٤٢٣ فصل في ذكر ما جاء في المهدي عليه السلام من متون الصحاح الستة، الإرشاد: ج ٢ ص ٣٣٩ باب ذكر الإمام القائم بعد أبي محمد عليه السلام وتاريخ مولده ودلائل إمامته وذكر طرف من أخباره وغيبته وسيرته عند قيامه ومدة دولته، كشف الغمة: ج ٢ ص ٤٣٦ ذكر الإمام الثاني عشر وهو مولانا الإمام المنتظر الخلف الحجة صاحب الزمان محمد بن الحسن عليه السلام.

قال: ما عملت عملاً إلاّ خطيبي هذا احتملته فجئت به وكان معي كعكتان فأكلت واحدة وتصدقت بواحدة على مسكين.

فقال رسول الله ﷺ: بها دفع الله عنه. وقال: إن الصدقة تدفع ميتة السوء عن الإنسان»^(١).

أقول: أكدت الروايات الشريفة على دور الصدقة في دفع البلاء المحتم، ثم إن ذلك من الآثار الوضعية لها، فيشمل المسلم والكافر، والمؤمن والمنافق، على ما يستفاد من الأخبار الماثورة.

عن أبي جعفر عليه السلام، قال: «البر والصدقة ينفيان الفقر، ويزيدان في العمر، ويدفعان تسعين ميتة السوء»^(٢).

وعن عبد الله بن سنان، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «الصدقة باليد تقي ميتة السوء، وتدفع سبعين نوعاً من أنواع البلاء، وتفك عن لحي سبعين شيطاناً كلهم يأمره أن لا يفعل»^(٣).

وعن أبي ولاد، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «وارغبوا في الصدقة وبكروا بها، فما من مؤمن يتصدق بصدقة يريد بها ما عند الله ليدفع الله بها عنه شر ما ينزل من السماء إلى الأرض في ذلك اليوم إلا وقاه الله شر ما ينزل من السماء إلى الأرض في ذلك اليوم»^(٤).

وقال رسول الله ﷺ: «الصدقة تدفع الداء، والديبيلة، والحرق، والغرق، والهدم، والجنون» حتى عد ﷺ سبعين باباً من السوء»^(٥).

(١) الكافي: ج ٤ ص ٥ باب أن الصدقة تدفع البلاء ح ٣.

(٢) الكافي: ج ٤ ص ٢ باب فضل الصدقة ح ٢.

(٣) الكافي: ج ٤ ص ٣ باب فضل الصدقة ح ٧.

(٤) مستدرک الوسائل: ج ٧ ص ١٧٠ ب ٧ ح ٧٩٥٠.

(٥) دعائم الإسلام: ج ٢ ص ٣٣١ ف ٤ ح ١٢٥٢.

ما يقول هؤلاء؟

من ضمن الأسئلة التي سألها اليهود عن رسول الله ﷺ هو سؤالهم عن لغة الحيوانات وفهمها؛ ليميزوا أنه ﷺ مبعوث من السماء، يعرف منطق الحيوانات أم لا؟.

عن أبي عبد الله عليه السلام عن آبائه عليه السلام، قال: «قال رجل من اليهود لرسول الله ﷺ: يا محمد، أخبرني ما يقول الحمار في نهيقه، وما يقول الفرس في صهيله، وما يقول الدراج في صوته، وما تقول القنبرة في صوتها، وما يقول الضفدع في نقيقه، وما يقول الهدهد في صوته؟».

قال عليه السلام: فأطرق رسول الله ﷺ ثم قال: أعد علي يا يهودي.

قال: فأعاد. فقال رسول الله ﷺ: أما الحمار فيلعن العشار^(١)، وأما الفرس فيقول: الملك لله الواحد القهار، وأما الدراج^(٢) فيقول: الرحمن على العرش استوى، وأما الديك فيقول: سبح قدوس رب الملائكة والروح، وأما الضفدع فيقول: اذكروا الله يا غافلين، وأما الهدهد فيقول: رحمك الله يا داود يعني سليمان بن داود، وأما القنبرة فيقول: لعن الله من يبغض أهل بيت رسول الله ﷺ^(٣).

أقول: من معاجز النبي ﷺ والأئمة المعصومين عليه السلام أنهم يفهمون لغة الحيوانات، ويدل على ذلك العديد من الأخبار الشريفة والقصص المروية عنهم عليه السلام الدالة على فهمهم للغة الحيوانات، منها:

عن الثمالي، قال: كنت مع علي بن الحسين عليه السلام في داره وفيها شجرة فيها عصافير، فانتشرت العصافير وصوتت. فقال: «يا أبا حمزة، أ تدري ما تقول؟». قلت: لا. قال: «تقدس ربها وتسأله قوت يومها». قال: ثم قال: «يا أبا حمزة،

(١) العشار: قابض العشر - لسان العرب: ج ٤ ص ٥٧٠ مادة (عشر).

(٢) الدراج: من الطير بمنزلة الحيقطان من طير العراق - كتاب العين: ج ٦ ص ٧٨ مادة (درج).

(٣) بحار الأنوار: ج ٦١ ص ٤٦ - ٤٧ ب ١ ح ٢٢.

﴿عَلَّمَنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ وَأَوْتَيْنَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾^(١)»^(٢).

وعن عمار بن ياسر (رضوان الله عليه) قال: كنت عند أمير المؤمنين جالساً بمسجد الكوفة ولم يكن سواي أحد فيه، وإذا هو يقول: «صدقيه صدقيه». فالتفت يميناً وشمالاً فلم أر أحداً فبقيت متعجباً. فقال لي: «يا عمار، كأنني بك تقول لمن يكلم علي». فقلت: هو كذلك يا أمير المؤمنين. فقال: «ارفع رأسك». فرفعت رأسي وإذا أنا بحمامتين يتجاوبان. فقال لي: «يا عمار، أتدري ما تقول إحداهما للأخرى؟». فقلت: لا وعيشك يا أمير المؤمنين». قال: «تقول الأنثى للذكر: أنت استبدلت بي غيري وهجرني وأخذت سواي، وهو يحلف لها ويقول: ما فعلت ذلك، وهي تقول: ما أصدقك. فقال لها: وحق هذا القاعد في هذا الجامع ما استبدلت بك سواك ولا أخذت غيرك، فهمت أن تكذبه فقلت لها: صدقيه صدقيه». قال عمار: يا أمير المؤمنين، ما علمت أحداً يعلم منطق الطير إلا سليمان بن داود عليه السلام. فقال له: «يا عمار، والله إن سليمان بن داود عليه السلام سأل الله تعالى بنا أهل البيت حتى علم منطق الطير»^(٣).

وروى أحمد بن محمد المعروف بغزال، قال: كنت جالساً مع أبي الحسن في حائط له إذ جاء عصفور فوق بين يديه، وأخذ يصيح ويكثر الصياح ويضطرب. فقال: «تدري ما يقول هذا العصفور؟».

قلت: الله ورسوله ووليه أعلم.

فقال: «يقول: يا مولاي، إن حية تريد أن تأكل فراخي في البيت، فقم بنا ندفعها عنه وعن فراخه».

فقمنا ودخلنا البيت فإذا حية تجول في البيت فقتلناها^(٤).

(١) سورة النمل: ١٦.

(٢) بحار الأنوار: ج ٤٦ ص ٢٣ ب ٣ ح ٣.

(٣) بحار الأنوار: ج ٤٢ ص ٥٦ ب ١١٧ ضمن ح ١.

(٤) دلائل الإمامة: ص ١٧٢ - ١٧٣ ذكر معجزاته عليه السلام.

أما نفعلك وصية ابن حواش؟

كان رسول الله ﷺ يتعامل بقانون السلم واللاعنف مع الجميع، حتى مع أعدائه الذين كانوا يجيشون الجيوش لمحاربتهم ويحركون الناس ضده، والشواهد على ذلك كثيرة ذكرنا شيئاً منها في بعض كتبنا^(١).

وكان رسول الله ﷺ لا يستخدم القوة إلا بعد بدء الأعداء بمحاربتهم، وبعد اليأس من هدايتهم، واليقين من عناد الطرف.

في الحديث: أنه دعا رسول الله ﷺ بكعب بن أسد في غزوة بني قريظة، فنظر إليه وقال ﷺ له: «يا كعب، أما نفعلك وصية ابن حواش الحبر الذي أقبل من الشام فقال: تركت الخمر والخمير، وجئت إلى الموس والتمور، لنبي يبعث هذا أو أن خروجه، يكون مخرجه بمكة، وهذه دار هجرته، وهو الضحوك القتال، يجتزي بالكسريات والتمرات، ويركب الحمار العاري، في عينيه حمرة، وبين كتفيه خاتم النبوة، يضع سيفه على عاتقه ولا يبالي بمن لاقى، يبلغ سلطانه منقطع الخف والحافر؟»

قال كعب: قد كان ذلك يا محمد، ولولا أن اليهود تعيرني أنني جنبنت عند القتل لآمنت بك وصدقتك، ولكنني على دين اليهودية عليه أحيأ وعليه أموت^(٢).

أقول: رسول الله ﷺ كان يسعى لهداية الكفار حتى في آخر لحظة ممكنة، فلم يأمر بقتل أحد لم تقم عليه الحجة، بل حتى وإن قامت الحجة ولم يبدأ بقتال، فكان يدعو ويقول: «اللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون»^(٣).

وكذلك الإمام الحجة (عجل الله تعالى فرجه الشريف) فإنه إذا ظهر إن شاء الله سيحكم

(١) راجع كتاب: (اللاعنف في الإسلام)، و(اللاعنف منهج وسلوك)، و(الفقه: السلم والسلام) للإمام المؤلف تثنئ.

(٢) راجع كمال الدين: ج ١ ص ١٩٨ ب ١٩ ح ٤٢.

(٣) بحار الأنوار: ج ٢٠ ص ٢٠ - ٢١ ب ١٢.

بسيرة جده رسول الله ﷺ، ويطبق قانون السلم واللاعنف مع الناس سوى المعاندين منهم والذين يحاربونه ويحاربون المؤمنين.

أوقات الصلاة والحكمة فيها

بين الفترة والأخرى كان اليهود يترددون على رسول الله ﷺ ويسألونه عن فلسفة أحكام الإسلام والحكمة في تشريعها، وكان ﷺ يجيبهم بكل رحابة صدر لعلمهم يهتدون، وقد اهتدى منهم الكثير والكثير.

روى الإمام الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام، قال: «جاء نفر من اليهود إلى النبي ﷺ فسأله أعلمهم عن مسائل، فكان مما سأله أنه قال: أخبرني عن الله عزوجل لأي شيء فرض الله عزوجل هذه الخمس الصلوات في خمس مواقيت على أمتك في ساعات الليل والنهار؟».

فقال النبي ﷺ: إن الشمس عند الزوال لها حلقة تدخل فيها، فإذا دخلت فيها زالت الشمس فيسبح كل شيء دون العرش بحمد ربي جل جلاله، وهي الساعة التي يصلي عليّ فيها ربي جل جلاله، ففرض الله عليّ وعلى أمتي فيها الصلاة وقال: ﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ﴾^(١)، وهي الساعة التي يؤتى فيها بمجهنم يوم القيامة، فما من مؤمن يوافق تلك الساعة أن يكون ساجداً أو راکعاً أو قائماً إلاّ حرم الله جسده على النار.

وأما صلاة العصر؛ فهي الساعة التي أكل آدم عليه السلام فيها من الشجرة فأخرجه الله عزوجل من الجنة، فأمر الله عزوجل ذريته بهذه الصلاة إلى يوم القيامة واختارها لأمتي فهي من أحب الصلوات إلى الله عزوجل، وأوصاني أن أحفظها من بين الصلوات. وأما صلاة المغرب؛ فهي الساعة التي تاب الله عزوجل فيها على آدم عليه السلام، وكان بين ما أكل من الشجرة وبين ما تاب الله عزوجل عليه ثلاثمائة سنة من أيام

الدنيا وفي أيام الآخرة يوم كآلف سنة ما بين العصر إلى العشاء، وصلى آدم ﷺ ثلاث ركعات ركعة لخطيئته وركعة لخطيئة حواء وركعة لتوبته، ففرض الله عز وجل هذه الثلاث ركعات على أمتي، وهي الساعة التي يستجاب فيها الدعاء فوعدني ربي عز وجل أن يستجيب لمن دعاه فيها، وهي الصلاة التي أمرني ربي بها في قوله تبارك وتعالى: ﴿فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ﴾^(١).

وأما صلاة العشاء الآخرة؛ فإن للقبر ظلمة ولיום القيامة ظلمة أمرني ربي عز وجل وأمتي بهذه الصلاة لتنور القبر وليعطيني وأمتي النور على الصراط، وما من قدم مشت إلى صلاة العتمة إلا حرم الله عز وجل جسدها على النار، وهي الصلاة التي اختارها الله تعالى وتقدس ذكره للمرسلين قبلي.

وأما صلاة الفجر؛ فإن الشمس إذا طلعت تطلع على قرني الشيطان، فأمرني ربي عز وجل أن أصلي قبل طلوع الشمس صلاة الغداة وقبل أن يسجد لها الكافر لتسجد أمتي لله عز وجل وسرعتها أحب إلى الله عز وجل، وهي الصلاة التي تشهد بها ملائكة الليل وملائكة النهار^(٢).

وفي خبر آخر جاء نفر من اليهود إلى رسول الله ﷺ فسأله أعلمهم عن مسائل وكان فيما سأله أن قال: لأي شيء أمر الله تعالى بالاغتسال من الجنابة، ولم يأمر بالغسل من الغائط والبول؟

فقال رسول الله ﷺ: «إن آدم لما أكل من الشجرة دب ذلك في عروقه وشعره وبشره، فإذا جامع الرجل أهله خرج الماء من كل عرق وشعرة في جسده، فأوجب الله عز وجل على ذريته الاغتسال من الجنابة إلى يوم القيامة. والبول يخرج من فضلة الشراب الذي يشربه الإنسان، والغائط يخرج من فضلة الطعام الذي يأكله الإنسان، فعليه من ذلك الوضوء». قال اليهودي: صدقت يا محمد^(٣).

(١) سورة الروم: ١٧.

(٢) من لا يحضره الفقيه: ج ١ ص ٢١١ - ٢١٤ باب علة وجوب خمس صلوات في خمس مواقيت ح ٦٤٣.

(٣) وسائل الشيعة: ج ٢ ص ١٧٩ ب ٢ ح ١٨٦٧.

أقول: ورد في روايات أهل البيت عليهم السلام كثير من الحكم الإلهية في باب التشريع، وقد جمع الشيخ الصدوق رحمته الله ^(١) بعضها في كتابه القيم (علل الشرائع) ^(٢)، ومن الجيد جداً أن يسعى بعض أهل الاختصاص بجمع الأحاديث الأخرى الواردة في باب فلسفة الأحكام مع التحقيق العلمي المعاصر لما أمكن منها.

لماذا نقف في عرفات؟

من الأسئلة التي سألها اليهود من النبي ﷺ هو ما ورد في الحديث المروي عن الإمام الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام، قال:

«إنه جاء رجل من اليهود إلى النبي ﷺ فقال: يا محمد... إني أسألك عن عشر كلمات أعطاه الله تعالى موسى في البقعة المباركة حيث ناجاه - إلى أن قال - يا محمد، فأخبرني عن التاسع لأي شيء أمر الله الوقوف بعرفات بعد العصر؟»

فقال النبي ﷺ: لأن بعد العصر ساعة عصى آدم عليه السلام ربه، فافترض الله على أمتي الوقوف والتضرع والدعاء في أحب المواضع إلى الله وهو موضع العرفات وتكفل بالإجابة، والساعة التي ينصرف هي الساعة التي تلقى آدم عليه السلام من ربه كلمات فتاب

(١) ولد محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي المعروف بالشيخ الصدوق سنة ٣٠٥ هـ في مدينة قم المقدسة في أسرة علمية من أهل التقوى. أدرك الشيخ الصدوق عشرين سنة من حياة والده وكان من العلماء الأجلاء، فاكسب خلال هذه المدة العلم والحكمة منه ومن سائر علماء قم. وكان الصدوق رحمته الله يعيش في عصر قريب من عصر الأئمة عليهم السلام، فقام بجمع روايات أهل البيت عليهم السلام ألف الكتب القيمة، فأسدى للإسلام والتشيع خدمات جليلة يقل نظيرها. فمن مؤلفاته: من لا يحضره الفقيه، مدينة العلم، كمال الدين وتمام النعمة، التوحيد، الخصال، معاني الأخبار، عيون أخبار الرضا عليه السلام، الأمالي، المقنع في الفقه، الهداية بالخير... توفي رحمته الله سنة ٣٨١ هـ بعد عمر حافل بالبركات.

(٢) يعد هذا الكتاب من الكتب الشيعية القيمة ولا يزال يلقي اهتماماً وإقبالاً من قبل العلماء والفقهاء، وقد اعتمدت عليه ونقلت عنه الموسوعات الروائية الكبيرة أمثال (بحار الأنوار) و(وسائل الشيعية). يضم الكتاب مجموعة من الروايات الواردة عن النبي ﷺ والأئمة المعصومين عليهم السلام التي تبحث في علل وحكم وأسباب ما يرتبط بالشريعة من أحكام وعقائد وأمر أخرى كعلة تسمية بعض الأشياء والأشخاص وعلة بعض أفعال الأنبياء عليهم السلام بما فيهم نبينا الأكرم ﷺ وآله الطاهرين عليهم السلام.

عليه إنه هو التواب الرحيم.

قال: صدقت يا محمد، فما ثواب من قام بها ودعا وتضرع إليه؟.

فقال النبي ﷺ: والذي بعثني بالحق بشيراً ونذيراً إن الله تبارك وتعالى في السماء سبعة أبواب: باب التوبة، وباب الرحمة، وباب الفضل، وباب الإحسان، وباب الجود، وباب الكرم، وباب العفو، لا يجتمع بعرفات أحد إلا تساهل من هذه الأبواب وأخذ من الله هذه الخصال، فإن الله تبارك وتعالى مائة ألف ملك مع كل ملك مائة وعشرون ألف ملك والله مائة رحمة ينزلها على أهل عرفات، فإذا انصرفوا أشهد الله تلك الملائكة بعثت رقاب أهل عرفات، فإذا انصرفوا أشهد الله تلك الملائكة بأنه أوجب لهم الجنة وينادي مناد: انصرفوا مغفوراً لكم فقد أرضيتوني ورضيت عليكم.

قال: صدقت يا محمد^(١).

أخبرنا عن ذي القرنين

جاء بعض اليهود إلى رسول الله ﷺ وسألوه عن ذي القرنين، فأجابهم ﷺ عن صفاته كما هي في التوراة دون أية نقيصة أو زيادة.

يقول أبو عقبة الأنصاري: كنت في خدمة رسول الله ﷺ فجاء نفر من اليهود، فقالوا لي: استأذن لنا على محمد. فأخبرته ﷺ فدخلوا عليه، فقالوا: أخبرنا عما جئنا نسألك عنه؟.

قال ﷺ: «جئتموني تسألوني عن ذي القرنين». قالوا: نعم.

فقال ﷺ: «كان غلاماً من أهل الروم ناصحاً لله عز وجل فأحبه الله وملك الأرض، فسار حتى أتى مغرب الشمس ثم سار إلى مطلعها ثم سار إلى جبل يأجوج ومأجوج فبنى فيها السد». قالوا: نشهد إن هذا شأنه وإنه لفي التوراة^(٢).

(١) مستدرک الوسائل: ج ١٠ ص ٣٢-٣٣ ب ١٨ ح ١١٣٨٦.

(٢) قصص الأنبياء، للراوندي: ص ٢٩٣-٢٩٤ ب ١٩ ف ٧ ح ٣٦٤.

إسلام عامة اليهود

كان تعامل النبي ﷺ مع كافة الناس بالحكمة والموعظة الحسنة، فإنه جاء ليدعوهم إلى طاعة الله عز وجل ويهديهم الصراط المستقيم ويحبب إليهم ذلك، فكان ﷺ يتجنب البطش والشدّة حتى مع ألد أعدائه، وقد مدحه الله تعالى بذلك فقال: ﴿وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾^(١).

فإنه بالإضافة إلى خلقه ﷺ العظيم وسجاياء الحميدة التي كانت تجذب الناس إلى الإسلام، كان للأحكام الإسلامية وتطابقها مع الفطرة البشرية دوراً مهماً في إقبال الناس على الإسلام، حتى اليهود الذين كانوا عادة يتصفون بالعناد حيث دخل معظمهم في الإسلام.

عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «إن النبي ﷺ قال: أنا أولى بكل مؤمن من نفسه وعلي أولى به من بعدي. فقيل له: ما معنى ذلك؟. فقال: قول النبي ﷺ: من ترك ديناً أو ضياعاً فعليّ ومن ترك مالا فلورثته، فالرجل ليست له على نفسه ولاية إذا لم يكن له مال، وليس له على عياله أمر ولا نهى إذا لم يجر عليهم النفقة، والنبي وأمير المؤمنين عليه السلام ومن بعدهما ألزمهم هذا، فمن هناك صاروا أولى بهم من أنفسهم، وما كان سبب إسلام عامة اليهود إلا من بعد هذا القول من رسول الله ﷺ وإنهم آمنوا على أنفسهم وعلى عيالاتهم»^(٢).

أقول: مما يؤسف له إن العالم اليوم لا يعرف عن الإسلام شيئاً، ولم يصله منه سوى بعض التطبيقات الخاطئة للشريعة من قبل من غصبوا الخلافة وحكام بني أمية وبني العباس والعثمانيين ومن أشبههم، فغابت الصورة الحسنة للإسلام في العالم وتنفّر الآخرون عن الدخول فيه، وأصبح حالنا كحال ذلك الحاكم الذي دخل عليه أحد القراء فطلب منه أن يقرأ له شيئاً من القرآن، فقرأ قائلاً: (إذا جاء نصر الله والفتح

(١) سورة آل عمران: ١٥٩.

(٢) الكافي: ج ١ ص ٤٠٦ باب ما يجب من حق الإمام على الرعية وحق الرعية على الإمام ج ٦.

ورأيت الناس يخرجون!! من دين الله أفواجاً، فخطبه الحاكم قائلاً: بل يدخلون في دين الله أفواجاً. فقال القارئ: ذاك في عهد رسول الله ﷺ أما في عهدك فهم يخرجون من دين الله أفواجاً.

يهودية سممت النبي ﷺ والعضو عنها

في الحديث الشريف عن رسول الله ﷺ: «ما منا إلا مقتول أو مسموم»^(١)، وهكذا تم ارتحال رسول الله ﷺ فإنه استشهد بالسم، والمشهور إنه السم التي أعطته اليهودية في قصة خبير، وفي الروايات: «أنهما سمته»^(٢). ومع ذلك فقد عفا رسول الله ﷺ عن المرأة اليهودية، وصار عفوه سبباً لهداية كثير من اليهود إلى الإسلام.

وفي بعض روايات الشاة المسمومة: إن رسول الله ﷺ قبل أن يأكل من الكتف أنطقه الله عز وجل وقال: إني مسموم، ومنها تشير إلى أنه أكل منه^(٣)، وفي بعضها أن رسول الله ﷺ دعا بدعاء وعلم أصحابه الدعاء فأكلوا منها ولم تضرهم. قال أمير المؤمنين عليه السلام: «إن اليهود أتت امرأة منهم يقال لها: عبدة. فقالوا لها: يا عبدة، قد علمت إن محمداً قد هدم ركن بني إسرائيل وهدم اليهودية، وقد غال الملاء من بني إسرائيل بهذا السم له، وهم جاعلون لك جعلاً على أن تسميه في هذه الشاة. فعمدت عبدة إلى الشاة فشوتها، ثم جمعت الرؤساء في بيتها وأتت رسول الله ﷺ، فقالت: يا محمد، قد علمت ما توجب لي، وقد حضرني رؤساء اليهود فزيني بأصحابك. فقام رسول الله ﷺ ومعه أمير المؤمنين عليه السلام وأبو دجانة وأبو أيوب وسهل بن حنيف وجماعة من المهاجرين، فلما دخلوا وأخرجت الشاة شدت اليهود

(١) كفاية الأثر: ص ٢٢٧ باب ما جاء عن الحسن عليه السلام ما يوافق هذه الأخبار ونصه على أخيه الحسين عليه السلام.

(٢) راجع تفسير العياشي: ج ١ ص ٢٠٠ من سورة آل عمران ح ١٥٢.

(٣) كشف الغمة: ج ١ ص ٢٧ وأما ما ظهر من معجزاته وآياته ﷺ بعد بعثته.

آثافها بالصوف، وقاموا على أرجلهم وتوكوا على عصيهم. فقال لهم رسول الله ﷺ: اقعدوا.

فقالوا: إنا إذا زارنا نبي لم يقعد منا أحد، وكرهنا أن يصل إليه من أنفاسنا ما يتأذى به. وكذبت اليهود لعنهم الله إنما فعلت ذلك مخافة شواء السم ودخانه، فلما وضعت الشاة بين يديه تكلم كتفها فقالت: مه يا أحمد، لا تأكلني فإني مسمومة. فدعا رسول الله ﷺ عبدة، فقال لها: ما حملك على ما صنعت؟.

فقالت: قلت: إن كان نبياً لم يضره، وإن كان ساحراً كاذباً أرحت قومي منه. فهبط جبرئيل فقال: الله يقرئك السلام ويقول: قل بسم الله الذي يسميه به كل مؤمن، وبه عز كل مؤمن، وبنوره الذي أضاءت به السماوات والأرض، وبقدرته التي خضع لها كل جبار عنيد، وانتكس كل شيطان مريد، من شر السم والسحر واللمم، باسم العلي الملك الفرد الذي لا إله إلا هو، ﴿وَنَزَّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾^(١). فقال النبي ﷺ ذلك وأمر أصحابه فتكلموا به ثم قال: كلوا، ثم أمرهم أن يحتجموا^(٢).

أقول: وقد تأسى برسول الله ﷺ الأئمة الأطهار عليهم السلام فلم ينتقموا ممن دس السم إليهم وقام بقتلهم، ولم ينقل أن أحد المعصومين عليه السلام عمد إلى مجازاة المسيئين إليه بالمثل. وقد وصى أمير المؤمنين عليه السلام الإمام الحسن عليه السلام بآب من ملجم عندما ضربه اللعين وقال: «يا بني عبد المطلب، لا ألفينكم تخوضون دماء المسلمين خوفاً تقولون قُتل أمير المؤمنين، ألا لا يُقتلن بي إلا قاتلي، انظروا إذا أنا مت من هذه الضربة فاضربوه ضربة بضربة، ولا يمثل بالرجل؛ فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: إياكم والمثلة ولو بالكلب العقور»^(٣).

(١) سورة الإسراء: ٨٢.

(٢) روضة الواعظين: ج ١ ص ٦١ باب ما ورد من معجزات النبي ﷺ.

(٣) نهج البلاغة، الرسائل: رقم ٤٧ ومن وصية له عليه السلام للحسن والحسين عليهما السلام لما ضربه ابن ملجم (لعنه الله).

يهودية تصبح أم المؤمنين!

السيدة أم المؤمنين صفية بنت حبي بن أخطب الخيرية كانت يهودية فأسلمت ، وقبل رسول الله ﷺ إسلامها وتزوجها فأصبحت أم المؤمنين !.

روي أنه أخذ علي عليه السلام فيمن أخذ صفية بنت حبي فدعا بلالاً فدفعها إليه وقال له : « لا تضعها إلّا في يدي رسول الله ﷺ حتى يرى فيها رأيه » . فأخرجها بلال ومر بها إلى رسول الله ﷺ على القتلى وقد كادت تذهب روحها ، فقال ﷺ : « أنزعت منك الرحمة يا بلال » . ثم اصطفاه لنفسه ثم أعتقها وتزوجها .

أقول : في قوله ﷺ توبخاً لبلال : « أنزعت منك الرحمة » ، دلالات على عظيم خلق النبي ﷺ وإكرامه للإنسان حتى إذا لم يكن مسلماً ، بل كان في صف الأعداء والمحاربين للإسلام .

وفي (تفسير القمي)^(١) قوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّنْ قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّنْ نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ﴾^(٢) ، قال : فإنها نزلت في صفية بنت حبي بن أخطب وكانت زوجة رسول الله ﷺ ؛ وذلك أن عائشة وحفصة كانتا تؤذيانها وتشتمانها وتقولان لها : يا بنت اليهودية . فشكت ذلك إلى رسول الله ﷺ فقال لها : « ألا تجبينهما » . فقالت : بما ذا يا رسول الله ؟ .

قال : « قلتي : إن أبي هارون نبي الله ، وعمي موسى كليم الله ، وزوجي محمد رسول الله ﷺ ، فما تنكران مني ؟ » . فقالت لهما ، فقالتا : هذا علمك رسول الله ، فأنزل الله في ذلك ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّنْ قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ - إِلَى قَوْلِهِ - وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الْأَسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ﴾^(٣) .

(١) تفسير القمي : ج ٢ ص ٣٢١ - ٣٢٢ سورة الحجرات الإفك على مارية .

(٢) سورة الحجرات : ١١ .

(٣) سورة الحجرات : ١١ .

الفصل الثالث

اليهود في عهد أمير المؤمنين عليه السلام

أخبرني عما ليس لله

لقد أكثر اليهود السؤال عن الله تعالى حتى تجاسروا عليه سبحانه، وطلبوا من نبي الله موسى عليه السلام أن يريهم الله جهرة، أو أن يجعل لهم إلهً كما للمشركين آلهة. وقد استمروا على ذلك يجادلون في الله ويسألون عنه إلى عصر أهل البيت عليهم السلام، فكانوا يسألونهم عن ذات الله عز وجل، علّهم يعجزون العترة الطاهرة عليهم السلام عن الإجابة ولكن المعصومين عليهم السلام مسددون من الله يستلهمون منه العلوم.

نعم، أسلم الكثير منهم على يد أمير المؤمنين علي عليه السلام لما رأوا فيه أوصاف وصي نبي آخر الزمان عليه السلام وعرفوا أنه على الحق والحق معه.

ففي الخبر: إنه اجتمعت اليهود إلى رأس الجالوت، فقالوا له: إن هذا الرجل عالم - يعنون أمير المؤمنين عليه السلام - فانطلق بنا إليه نسأله، فأتوه، فقيل لهم: هو في القصر. فانظروه حتى خرج عليه السلام، فقال له رأس الجالوت: جئناك نسألك.

فقال عليه السلام: سل يا يهودي عما بدا لك.

فقال: أسألك عن ربك متى كان؟

فقال عليه السلام: «كان بلا كينونية، كان بلا كيف كان، لم يزل بلا كمّ وبلا كيف كان، ليس له قبل، هو قبل القبل بلا قبل، ولا غاية ولا منتهى، انقطعت عنه الغاية وهو غاية كل غاية».

فقال رأس الجالوت: امضوا بنا فهو أعلم مما يقال فيه ^(١).

وجاء رجل من اليهود إلى أمير المؤمنين علي عليه السلام فقال: يا أمير المؤمنين، متى كان ربنا عز وجل؟

فقال له عليه السلام: «يا يهودي، ما كان لم يكن ربنا فكان، وإنما يقال متى كان شيء لم يكن فكان، هو كائن بلا كينونة كائن، لم يزل ليس له قبل، هو قبل القبل

(١) الكافي: ج ١ ص ٨٩ باب الكون والمكان ح ٤.

وقبل الغاية، انقطعت عنه الغايات فهو غاية كل غاية»^(١).

وعن الحسين بن علي عليه السلام قال: «إن يهودياً سأل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، فقال: أخبرني عما ليس لله، وعما ليس عند الله، وعما لا يعلمه الله؟. فقال علي عليه السلام: «أما ما لا يعلمه الله فذلك قولكم يا معشر اليهود إن عزيزاً ابن الله، والله لا يعلم له ولداً، وأما قولك ما ليس عند الله فليس عند الله ظلم للعباد، وأما قولك ما ليس لله فليس لله شريك. فقال اليهودي: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله»^(٢).

أقول: لا يخفى أن أخذ المعارف من أهل البيت عليه السلام هو طريق النجاة، وإلى ذلك يشير الإمام الباقر عليه السلام في قوله لابن مسكان ومحمد بن مسلم: «ليس عند أحد من الناس حق ولا صواب، ولا أحد من الناس يقضي بقضاء حق إلا ما خرج منا أهل البيت»^(٣).

وعن زرارة قال: كنت عند أبي جعفر عليه السلام، فقال له رجل من أهل الكوفة يسأله عن قول أمير المؤمنين عليه السلام: «سلوني عما شئتم، فلا تسألوني عن شيء إلا أنبأتكم به»؟. قال عليه السلام: «إنه ليس أحد عنده علم شيء إلا خرج من عند أمير المؤمنين عليه السلام، فليذهب الناس حيث شاءوا فوالله ليس الأمر إلا من هاهنا»، وأشار بيده إلى بيته^(٤).

وعن أبي مريم قال: قال أبو جعفر عليه السلام لسلمة بن كهيل والحكم بن عتيبة: «شرقاً وغرباً، فلا تجدان علماً صحيحاً إلا شيئاً خرج من عندنا أهل البيت»^(٥).

(١) بحار الأنوار: ج ٧٤ ص ٣٣٣ ب ١٤ ح ١٨.

(٢) عيون أخبار الرضا عليه السلام: ج ١ ص ١٤١ ب ١١ ح ٤٠.

(٣) الكافي: ج ١ ص ٣٩٩ باب أنه ليس شيء من الحق في يد الناس إلا ما خرج من عند الأئمة عليهم السلام ح ١.

(٤) الكافي: ج ١ ص ٣٩٩ باب أنه ليس شيء من الحق في يد الناس إلا ما خرج من عند الأئمة عليهم السلام ح ٢.

(٥) الكافي: ج ١ ص ٣٩٩ باب أنه ليس شيء من الحق في يد الناس إلا ما خرج من عند الأئمة عليهم السلام ح ٣.

افتراق الأمة بعد الرسول ﷺ

ليست الأمة الإسلامية الوحيدة من الأمم التي انقسمت بعد نبيها ﷺ ، وإنما سبقتها أُمم أخرى منها اليهود والنصارى حيث انقسمت اليهود إلى واحدة وسبعين فرقة ، وانقسمت النصارى إلى اثنتين وسبعين فرقة.

يقول سليم بن قيس : دخلت على علي بن أبي طالب عليه السلام وهو في مسجد الكوفة والناس حوله ، إذ دخل عليه رأس اليهود ورأس النصارى فسلما عليه وجلسا. فقال الجماعة : بالله عليك يا مولانا اسألهم حتى ننظر ما يعلمون؟.

فقال عليه السلام لرأس اليهود : «يا أخا اليهود»!.

قال : لبيك يا علي.

قال : «على كم انقسمت أمة نبيكم؟».

قال : هو عندي في كتاب مكتوب.

فقال عليه السلام : «قاتل الله قوماً أنت زعيمهم يسأل عن أمر دينه فيقول هو عندي في كتاب؟».

ثم التفت إلى رأس النصارى وقال له : «كم انقسمت أمة نبيكم؟».

قال : على كذا وكذا.

فقال عليه السلام : «لو قلت ما قلت مثل ما قال صاحبك لكان خيراً لك من أن تقول وتخطئ ولا تعلم» ثم أقبل على الناس وقال : «أيها الناس ، أنا أعلم من أهل التوراة بتوراتهم ، ومن أهل الإنجيل بإنجيلهم ، وأعلم من أهل القرآن بقرآنهم ، فأنا أخبركم على كم انقسمت الأمم ، أخبرني به حبيبي وقرّة عيني رسول الله ﷺ حيث قال : » افترت اليهود على إحدى وسبعين فرقة ، ففي النار سبعون منها ، وواحدة في الجنة ، وهي التي اتبعت وصيه.. وافترت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة ، إحدى وسبعون في النار ، وواحدة في الجنة ، وهي التي اتبعت وصي عيسى عليه السلام.. وافترت

أُمِّي ثلاثاً وسبعين فرقة، اثنتان وسبعون فرقة في النار، وواحدة في الجنة، فهي التي أتبع وصيي وضرب بيده على منكبي ثم قال: اثنتان وسبعون فرقة حلت عقد الله فيك، وواحدة في الجنة وهي التي اتخذت محبتك وهم شيعتك»^(١).

أقول: تضافرت الأخبار في بيان فضائل الشيعة والموالين لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، وأشار كثير منها إلى منازلهم في الآخرة.. وما ذلك إلا لمحبتهم وموالاتهم واتباعهم لأهل البيت عليهم السلام، وتحملهم الصعاب والويلات من أجل ذلك حتى إنهم سُردوا في العالم، وحبسوا وعُذبوا وقُتلوا في البلاد من دون أن يتخلوا عن محبتهم وولائهم لأهل البيت عليهم السلام.

وقد كتب الشيخ الصدوق رحمته الله كتاباً في فضائل الشيعة تحت عنوان: (صفات الشيعة)^(٢).

الإمام علي عليه السلام ومقام الرسول صلى الله عليه وآله وسلم

عندما كان يتحير المسلمون ويتيهون في أمورهم كان علي أمير المؤمنين عليه السلام هو حلال مشاكلهم، فيبين لهم طريق الصواب ويدفع الخطر عن الإسلام والمسلمين ويمنع كيد الأعداء عنهم.

فعن الإمام الحسين عليه السلام قال: «إن يهودياً من يهود الشام وأحبارهم كان قد قرأ التوراة والإنجيل والزبور وصحف الأنبياء عليهم السلام وعرف دلائلهم، جاء إلى مجلس فيه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وفيهم علي بن أبي طالب عليه السلام وابن عباس وأبو معبد الجهني. فقال: يا أمة محمد، ما تركتم لنبي درجة ولا لمرسل فضيلة إلا نخلتموها

(١) الفضائل، لابن شاذان: ص ١٤٠ - ١٤١ وفي ذكر اللوح المحفوظ الذي نزل به جبرئيل على النبي صلى الله عليه وآله وسلم ما ينفع للمستبصرين.

(٢) يعد هذا الكتاب - الذي يضم ٧١ حديثاً - من الكتب المهمة لمعرفة صفات الشيعة، حيث استعرض الشيخ الصدوق رحمته الله الروايات التي تبحث في خصائص وصفات الشيعة التي ينبغي أن تتحلى بها من روايات أخلاقية وعقائدية.

نيكم، فهل تحيوني عما أسألكم عنه؟.

فكاع^(١) القوم عنه. فقال علي بن أبي طالب عليه السلام: نعم ما أعطى الله عز وجل نبياً درجة ولا مرسلأ فضيلة إلا وقد جمعها لمحمد عليه السلام، وزاد محمداً عليه السلام على الأنبياء عليهم السلام أضعافاً مضاعفة.

فقال له اليهودي: فهل أنت مجيبي؟.

قال له: نعم، سأذكر لك اليوم من فضائل رسول الله عليه السلام ما يقر الله به أعين المؤمنين، ويكون فيه إزالة لشك الشاكين في فضائله، إنه (عليه الصلاة والسلام) كان إذا ذكر لنفسه فضيلة قال: ولا فخر، وأنا أذكر لك فضائله غير مزر^(٢) بالأنبياء ولا منتقص لهم، ولكن شكر الله عز وجل على ما أعطى محمداً عليه السلام مثل ما أعطاهم وما زاده الله وما فضله عليهم^(٣).

فضيلة النبي محمد عليه السلام على الأنبياء عليهم السلام

قال له اليهودي: إني أسألك فأعد له جواباً.

فقال له علي عليه السلام: «هات».

قال له اليهودي: هذا آدم عليه السلام عليه أسجد الله له ملائكته، فهل فعل بمحمد شيئاً من هذا؟.

فقال له علي عليه السلام: «لقد كان ذلك، ولئن أسجد الله لآدم ملائكته؛ فإن سجودهم لم يكن سجود طاعة أنهم عبدوا آدم من دون الله عز وجل، ولكن اعترفوا لآدم بالفضيلة ورحمة من الله له. ومحمد عليه السلام أُعطي ما هو أفضل من هذا، إن الله تعالى صلى عليه في جبروته والملائكة بأجمعها، وتعبد المؤمنين بالصلاة عليه، فهذه زيادة له يا يهودي».

(١) كاع القوم: أي هابوا. مجمع البحرين: ج ٤ ص ٣٨٧ مادة (كيع).

(٢) يزرى فلان على صاحبه أمراً: إذا عابه وعنفه ليرجع، فهو زار عليه. كتاب العين: ج ٧ ص ٣٨١ مادة (زري).

(٣) بحار الأنوار: ج ١٠ ص ٢٨ ب ٢ ح ١.

قال له اليهودي : فإن آدم تاب الله عليه من بعد خطيئته.

قال له علي عليه السلام : «لقد كان كذلك ، ومحمد ﷺ نزل فيه ما هو أكبر من هذا من غير ذنب أتى ، قال الله عز وجل : ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾^(١) ، إن محمداً غير مواف^(٢) في القيامة بوزر^(٣) ، ولا مطلوب فيها بذنب^(٤) .

مع النبي إدريس عليه السلام

ثم قال اليهودي (لأمير المؤمنين عليه السلام) : فإن هذا إدريس عليه السلام رفعه الله عز وجل مكاناً علياً وأطعمه من تحف الجنة بعد وفاته؟

قال له علي عليه السلام :

«لقد كان كذلك ، ومحمد ﷺ أعطي ما هو أفضل من هذا. إن الله جل ثناؤه قال فيه : ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾^(٥) فكفى بهذا من الله رفعة. ولئن أطعم إدريس من تحف الجنة بعد وفاته فإن محمداً ﷺ أطعم في الدنيا في حياته بينما يتصور^(٦) جوعاً ، فأتاه جبرئيل بجام^(٧) من الجنة فيه تحفة ، فهلل الجام وهللت التحفة في يده وسبحاً وكبراً وحمداً ، فناولها أهل بيته ﷺ ففعل الجام مثل ذلك ، فهم أن يناولها بعض أصحابه فتناولها جبرئيل عليه السلام ، فقال له : كُلْهَا فَإِنَّهَا تحفة من الجنة أتخفك الله بها ، وإنها لاتصلح إلّا لنبي أو وصي نبي ، فأكل ﷺ وأكلنا معه وإني لأجد حلاوتها ساعتى هذه»^(٨) .

(١) سورة الفتح : ٢ .

(٢) أي غير آت يوم القيامة .

(٣) الوزر : الحمل الثقيل من الإثم ، كتاب العين : ج ٧ ص ٣٨٠ مادة (وزر) .

(٤) بحار الأنوار : ج ١٠ ص ٢٩ ب ٢ ح ١ .

(٥) سورة الشرح : ٤ .

(٦) يتصور : أي يظهر الضر الذي به ويضطرب . لسان العرب : ج ٤ ص ٤٩٤ مادة (ضور) .

(٧) الجام : إناء من فضة . لسان العرب : ج ١٢ ص ١١٢ مادة (جوم) .

(٨) بحار الأنوار : ج ١٠ ص ٢٩ ب ٢ ح ١ .

مع النبي نوح عليه السلام

قال اليهودي: فهذا نوح عليه السلام صبر في ذات الله عز وجل وأعذر قومه إذ كُذِّب. قال له علي عليه السلام: «لقد كان كذلك ومحمد ﷺ صبر في ذات الله وأعذر قومه إذ كُذِّب وشُرِّد، وحُصِب^(١) بالحصى، وعلاه أبو لهب بسلا^(٢) شاة، فأوحى الله تبارك وتعالى إلى جابيل ملك الجبال: أن شق الجبال واثته إلى أمر محمد ﷺ. فأتاه فقال له: إني قد أمرت لك بالطاعة، فإن أمرت أن أطبق عليهم الجبال فأهلكتهم بها. قال عليه الصلاة والسلام: إنما بُعثت رحمةً، رب اهد أمتي فإنهم لا يعلمون.

ويحك يا يهودي، إن نوحاً عليه السلام لما شاهد غرق قومه رق عليهم رقة القرابة وأظهر عليهم شفقة، فقال: ﴿رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي﴾^(٣). فقال الله تبارك وتعالى اسمه: ﴿إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ﴾^(٤) أراد جل ذكره أن يسليه بذلك، ومحمد ﷺ لما علنت من قومه المعاندة شهر عليهم سيف النعمة ولم تدركه فيهم رقة القرابة، ولم ينظر إليهم بعين مقت».

قال له اليهودي: فإن نوحاً دعا ربه فهطلت له السماء بماء منهمر. قال له عليه السلام: «لقد كان كذلك وكانت دعوته دعوة غضب، ومحمد ﷺ هطلت له السماء بماء منهمر رحمةً. إنه ﷺ لما هاجر إلى المدينة أتاه أهلها في يوم الجمعة، فقالوا له: يا رسول الله ﷺ، احتبس القطر، واصفر العود، وتهافت الورق.. فرفع ﷺ يده المباركة - حتى رئي بياض إبطيه - وما ترى في السماء سحابة، فما برح حتى سقاهم الله حتى إن الشاب المعجب بشبابه لتهمه نفسه في الرجوع إلى منزله فما يقدر من شدة السيل فدام أسبوعاً. فأتوه في الجمعة الثانية، فقالوا: يا

(١) الحصب: رميك بالحصباء أي صغار الحصى أو كبارها - كتاب العين: ج ٣ ص ١٢٣ مادة (حصب).

(٢) السلا: الجلدة الرقيقة التي يكون فيها الولد من المواشي - مجمع البحرين: ج ١ ص ٢٢٢ مادة (سلو).

(٣) سورة هود: ٤٥.

(٤) سورة هود: ٤٦.

رسول الله، لقد تهدمت الجدر، واحتبس الركب والسفر، فضحك (عليه الصلاة والسلام)، وقال: هذه سرعة ملالة ابن آدم، ثم قال: اللهم حوالينا ولا علينا، اللهم في أصول الشيخ^(١)، ومراتع^(٢) البقع. فرئي حوالي المدينة المطر يقطر قطراً، وما يقع في المدينة قطرة لكرامته على الله عز وجل^(٣).

مع النبي هود عليه السلام

قال اليهودي: فإن هذا هود عليه السلام قد انتصر الله له من أعدائه بالريح، فهل فعل بمحمد ﷺ شيئاً من هذا؟.

فقال له علي عليه السلام: «لقد كان كذلك، ومحمد ﷺ أعطي ما هو أفضل من هذا. إن الله عز وجل ذكره قد انتصر له من أعدائه بالريح يوم الخندق، إذ أرسل عليهم ريحاً تذرو الحصى وجنوداً لم يروها، فزاد الله تبارك وتعالى محمداً ﷺ على هود عليه السلام بشمانية آلاف ملك، وفضله على هود بأن ريح عاد ريح سخط، وريح محمد ﷺ ريح رحمة، قال الله تبارك وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحاً وَجُنُوداً لَمْ تَرَوْهَا﴾^(٤)»^(٥).

مع النبي صالح عليه السلام

قال اليهودي: فإن هذا صالح أخرج الله له ناقةً جعلها لقومه عبرة.

فقال علي عليه السلام: «لقد كان كذلك، ومحمد (عليه وآله السلام) أعطي ما هو أفضل من ذلك. إن ناقة صالح لم تكلم صالحاً ﷺ ولم تناطقه ولم تشهد له بالنبوة،

(١) الشيخ: نبات. انظر كتاب العين: ج ٣ ص ٢٦٣ مادة (شيخ).

(٢) أماكن الأكل والشرب.

(٣) بحار الأنوار: ج ١٠ ص ٢٩ - ٣١ ب ٢ ح ١.

(٤) سورة الأحزاب: ٩.

(٥) بحار الأنوار: ج ١٠ ص ٣١ ب ٢ ح ١.

ومحمد ﷺ بينما نحن معه في بعض غزواته إذا هو بيعير قد دنا ثم رغا^(١) فأنطقه الله عزوجل. فقال: يا رسول الله، إن فلاناً استعملني حتى كبرت ويريد نخري فأنا أستعيز بك منه.

فأرسل رسول الله ﷺ إلى صاحبه فاستوهبه منه فوهبه له وخلاه. ولقد كنا معه فإذا نحن بأعرابي معه ناقة له يسوقها وقد استسلم للقطع لما زور عليه من الشهود فنطقت له الناقة، فقالت: يا رسول الله، إن فلاناً مني بريء، وإن الشهود يشهدون عليه بالزور وإن سارقي فلان اليهودي^(٢).

مع النبي إبراهيم عليه السلام

قال اليهودي: فإن هذا إبراهيم قد تيقظ بالاعتبار على معرفة الله تعالى، وأحاطت دلالاته بعلم الإيمان به.

فقال له علي عليه السلام: «لقد كان كذلك، وأعطى محمد ﷺ أفضل من ذلك، قد تيقظ بالاعتبار على معرفة الله تعالى وأحاطت دلالاته بعلم الإيمان به، وتيقظ إبراهيم عليه السلام وهو ابن خمس عشرة سنة، ومحمد ﷺ كان ابن سبع سنين. قدم تجار من النصارى فنزلوا بتجارتهم بين الصفا والمروة، فنظر إليه بعضهم فعرفه بصفته ونعته وخبر مبعثه وآياته ﷺ.

فقالوا له: يا غلام ما اسمك؟ قال: محمد.

قالوا: ما اسم أبيك؟ قال: عبد الله.

قالوا: ما اسم هذه، وأشاروا بأيديهم إلى الأرض؟ قال: الأرض.

قالوا: فما اسم هذه، وأشاروا بأيديهم إلى السماء؟ قال: السماء.

قالوا: فمن ربهما؟ قال: الله، ثم انتهرهم وقال: أتشكونني في الله

عزوجل؟

(١) رغا: صوتت فضجت. لسان العرب: ج ١٤ ص ٣٢٩ مادة (رغو).

(٢) بحار الأنوار: ج ١٠ ص ٣١ ب ٢ ح ١.

ويحك يا يهودي، لقد تيقظ عليه السلام بالاعتبار على معرفة الله عزوجل مع كفر قومه إذ هو بينهم يستقسمون بالأزلام ويعبدون الأوثان وهو يقول: «لا إله إلا الله»^(١).

قال اليهودي: فإن إبراهيم عليه السلام حجب عن نمرود بحجب ثلاثة.

فقال عليه السلام: «لقد كان كذلك، ومحمد عليه السلام حجب عمن أراد قتله بحجب خمس، فثلاثة بثلاثة واثان فضل. قال الله عز وجل وهو يصف أمر محمد عليه السلام فقال: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا﴾ فهذا الحجاب الأول.

﴿وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا﴾ فهذا الحجاب الثاني.

﴿فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾^(٢) فهذا الحجاب الثالث.

ثم قال: ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا﴾^(٣)، فهذا الحجاب الرابع.

ثم قال: ﴿فَهِيَ إِلَى الْأَذْقَانِ فَهُمْ مُقْمَحُونَ﴾^(٤)، فهذه حُجب خمسة.

قال له اليهودي: فإن إبراهيم عليه السلام قد بهت الذي كفر ببرهان نبوته.

فقال له علي عليه السلام: «لقد كان كذلك، ومحمد عليه السلام أتاه مكذب بالبعث بعد الموت وهو أبي بن خلف الجمحي معه عظم نحر ففركه، ثم قال: يا محمد، من يحيي العظام وهي رميم؟. فأنطق الله محمداً عليه السلام بمحكم آياته وبهته ببرهان نبوته، فقال: ﴿قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾^(٥)، فانصرف مبهوراً.

قال له اليهودي: فإن هذا إبراهيم جذ أصنام قومه غضباً لله عز وجل.

فقال له علي عليه السلام: «لقد كان كذلك، ومحمد عليه السلام قد نكس عن الكعبة ثلاثمائة وستين صنماً، ونفاها من جزيرة العرب وأذل من عبدها بالسيف».

قال له اليهودي: فإن هذا إبراهيم عليه السلام قد أضجع ولده وتله للجبين.

(١) بحار الأنوار: ج ١٠ ص ٣١-٣٢ ب ٢ ح ١.

(٢) سورة يس: ٩.

(٣) سورة الإسراء: ٤٥.

(٤) سورة يس: ٨.

(٥) سورة يس: ٧٩.

فقال له علي عليه السلام: «لقد كان كذلك، ولقد أُعطي إبراهيم عليه السلام بعد الإضجاع الفداء، ومحمد ﷺ أُصيب بأفجع منه فجيعة، إنه وقف (عليه وآله الصلاة والسلام) على عمه حمزة أسد الله، وأسد رسوله، وناصر دينه، وقد فرّق بين روحه وجسده، فلم يبين عليه حرقة، ولم يفض عليه عبرة^(١)، ولم ينظر إلى موضعه من قلبه وقلوب أهل بيته، ليرضي الله عز وجل بصبره ويستسلم لأمره في جميع الفعال، وقال ﷺ: لولا أن تحزن صفة لتركته حتى يحشر من بطون السباع وحواصل الطير، ولولا أن يكون سنةً بعدي لفعلت ذلك».

قال له اليهودي: فإن إبراهيم عليه السلام قد أسلمه قومه إلى الحريق فصبر فجعل الله عز وجل النار عليه برداً وسلاماً، فهل فعل بمحمد شيئاً من ذلك؟
فقال له علي عليه السلام: «لقد كان كذلك، ومحمد ﷺ لما نزل بخير سمته الخيرية فستر الله السم في جوفه برداً وسلاماً إلى منتهى أجله، فالسم يحرق إذا استقر في الجوف كما إن النار تحرق، فهذا من قدرته لا تنكره»^(٢).

مع النبي يعقوب عليه السلام

قال اليهودي: فإن هذا يعقوب عليه السلام أعظم في الخير نصيبه إذ جعل الأسباط من سلالة صلبه ومريم ابنة عمران من بناته.

فقال له علي عليه السلام: «لقد كان كذلك، ومحمد ﷺ أعظم في الخير نصيباً منه، إذ جعل فاطمة عليها السلام سيدة نساء العالمين من بناته، والحسن والحسين عليهما السلام من حفدته».

قال له اليهودي: فإن يعقوب عليه السلام قد صبر على فراق ولده حتى كاد يحرض^(٣) من الحزن.

فقال له علي عليه السلام: «لقد كان كذلك، وكان حزن يعقوب حزناً بعده تلاق،

(١) أي عبرة فيها سخط الله، أما أصل البكاء رحمة فلا بأس به.

(٢) بحار الأنوار: ج ١٠ ص ٣٢-٣٣ ب ٢ ح ١.

(٣) يحرض: أي يهلك. لسان العرب: ج ٧ ص ١٣٤ مادة (حرض).

ومحمد ﷺ قبض ولده إبراهيم قرة عينه في حياة منه وخصه بالاختبار ليعظم له الأمدار. فقال ﷺ: تحزن النفس، ويجزع القلب، وإنا عليك يا إبراهيم لمحزونون ولانقول ما يسخط الرب. في كل ذلك يؤثر الرضا عن الله عز ذكره والاستسلام له في جميع الفعال»^(١).

مع النبي يوسف ﷺ

قال اليهودي: فإن هذا يوسف ﷺ قاسى مرارة الفقرة، وحُبس في السجن توقيماً للمعصية وأُلقي في الجُبِّ وحيداً.

فقال له علي ﷺ: «لقد كان كذلك، ومحمد ﷺ قاسى مرارة الغربة وفارق الأهل والأولاد والمال مهاجراً من حرم الله تعالى وأمنه، فلما رأى الله عز وجل كآبته واستشعاره والحزن أراه تبارك اسمه رؤيا توازي رؤيا يوسف ﷺ في تأويلها، وأبان للعالمين صدق تحقيقها، فقال:

﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ﴾^(٢)..

ولئن كان يوسف ﷺ حُبس في السجن فلقد حبس رسول الله ﷺ نفسه في الشعب ثلاث سنين وقطع منه أقاربه وذوو الرحم، وأجثوه إلى أضيق المضيق، ولقد كادهم الله عز ذكره له كيلاً مستبيناً إذ بعث أضعف خلقه، فأكل عهدهم الذي كتبوه بينهم في قطيعة رحمه، ولئن كان يوسف ﷺ أُلقي في الجُبِّ، فلقد حبس محمد ﷺ نفسه مخافة عدوه في الغار حتى قال لصاحبه: ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾^(٣) ومدحه إليه بذلك في كتابه»^(٤).

(١) بحار الأنوار: ج ١٠ ص ٣٣ ب ٢ ح ١.

(٢) سورة الفتح: ٢٧.

(٣) سورة التوبة: ٤٠.

(٤) بحار الأنوار: ج ١٠ ص ٣٤ ب ٢ ح ١.

مع النبي موسى عليه السلام

ولما بلغ الأمر باليهودي أن يذكر فضائل نبي الله موسى عليه السلام أطنب في الكلام. فقال: فهذا موسى بن عمران عليه السلام آتاه الله عز وجل التوراة التي فيها حكمه. فقال له علي عليه السلام: «فلقد كان كذلك، ومحمد ﷺ أعطي ما هو أفضل منه، أعطى محمداً ﷺ البقرة وسورة المائدة والإنجيل، وطواسين وطه ونصف المفصل والحواميم بالتوراة، وأعطى نصف المفصل والتساييح بالزبور، وأعطى سورة بني إسرائيل وبراءة بصحف إبراهيم عليه السلام وموسى عليه السلام وزاد الله عز وجل محمداً ﷺ السبع الطوال، وفاتحة الكتاب وهي السبع المثاني والقرآن العظيم، وأعطى الكتاب والحكمة».

قال له اليهودي: فإن موسى عليه السلام ناجاه الله عز وجل على طور سيناء. فقال له علي عليه السلام: «لقد كان كذلك، ولقد أوحى الله إلى محمد ﷺ عند سدرة المنتهى، فمقامه في السماء محمود، وعند منتهى العرش مذكور». قال اليهودي: فلقد ألقى الله على موسى بن عمران عليه السلام محبة منه. فقال له علي عليه السلام: «لقد كان كذلك، وقد أعطي محمد ﷺ ما هو أفضل منه، لقد ألقى الله محبة منه، فمن هذا الذي يشركه في هذا الاسم إذ تم من الله به الشهادة فلا تتم الشهادة إلا أن يقال: (أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً رسول الله) ينادي به على المنابر، فلا يرفع صوت بذكر الله إلا رفع بذكر محمد ﷺ معه». قال له اليهودي: لقد أوحى الله إلى أم موسى لفضل منزلة موسى عليه السلام عند الله.

قال له علي عليه السلام: «لقد كان كذلك، ولقد لطف الله جل ثناؤه لأم محمد ﷺ بأن أوصل إليها اسمه حتى قالت: أشهد والعالون أن محمداً ﷺ منتظر وشهد الملائكة على الأنبياء إنهم أثبتوه في الأسفار، وبلطف من الله ساقه إليها وأوصل إليها اسمه لفضل منزلته عنده حتى رأت في المنام إنه قيل لها: إن ما في بطنك سيد فإذا ولدته فسميه محمداً ﷺ، فاشتق الله له اسماً من أسمائه، فالله المحمود وهذا

محمد ﷺ.

قال له اليهودي: فإن هذا موسى بن عمران قد أرسله الله إلى فرعون وأراه الآيات الكبرى.

فقال له علي عليه السلام: «لقد كان كذلك، ومحمد ﷺ أرسل إلى فراعنة شتى، مثل أبي جهل بن هشام، وعتبة بن ربيعة، وشيبة، وأبي البختری، والنضر بن الحارث، وأبي بن خلف، ومنبه ونيبه ابني الحجاج، وإلى الخمسة المستهزين: الوليد بن المغيرة المخزومي، والعاص بن وائل السهمي، والأسود بن عبد يغوث الزهري، والأسود بن المطلب، والحارث بن أبي الطلالة، فأراهم الآيات في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم إنه الحق».

قال له اليهودي: لقد انتقم الله لموسى عليه السلام من فرعون.

فقال له علي عليه السلام: «لقد كان كذلك، ولقد انتقم الله جل اسمه لمحمد ﷺ من الفراعنة، فأما المستهزون، فقال الله: ﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِينَ﴾^(١)، فقتل الله خمستهم كل واحد منهم بغير قتلة صاحبه في يوم واحد، فأما الوليد بن المغيرة فمر بنبل لرجل من خزاعة قد راشه ووضعه في الطريق فأصابه شظية منه فانقطع أكلحه^(٢) حتى أدامه فمات وهو يقول: قتلني رب محمد ﷺ. وأما العاص بن وائل السهمي فإنه خرج في حاجة له إلى موضع فتدهده تحته حجر فسقط فتقطع قطعة فمات وهو يقول: قتلني رب محمد ﷺ. وأما الأسود بن عبد يغوث فإنه خرج يستقبل ابنه زمعة فاستظل بشجرة فأناه جبرئيل عليه السلام فأخذ رأسه فنطح به الشجرة، فقال لغلامه: امنع هذا عني. فقال: ما أرى أحداً يصنع شيئاً إلاً نفسك. فقتله وهو يقول: قتلني رب محمد ﷺ. وأما الأسود بن الحرث فإن النبي ﷺ دعا عليه أن يعمي الله بصره وأن يثكله ولده، فلما كان في ذلك اليوم خرج حتى صار إلى موضع أتاه جبرئيل بورقة خضراء فضرب بها وجهه فعمي فبقي حتى أكله الله ولده. وأما الحارث بن أبي

(١) سورة الحجر: ٩٥.

(٢) الأكل: عرق في اليد يفصد. لسان العرب: ج ١١ ص ٥٨٦ مادة (كحل).

الطلالة فإنه خرج من بيته في السموم فتحول حبشياً فرجع إلى أهله. فقال: أنا الحرث. فغضبوا عليه فقتلوه وهو يقول: قتلني رب محمد ﷺ^(١).

أفضلية علي عليه السلام على الأنبياء ﷺ إلا النبي محمد ﷺ

أقول: لقد أجاب أمير المؤمنين عليه السلام على سؤال اليهودي ببيان أفضلية رسول الله ﷺ على سائر الأنبياء ﷺ .. ولم يشر إلى أفضليته هو عليهم؛ لأنه لم يسأله عن ذلك، ولكنه عليه السلام لما سأله صعصعة بن صوحان عن أفضليته عليه السلام على سائر الأنبياء ﷺ باستثناء النبي محمد ﷺ أجاب.

قال صعصعة له: يا أمير المؤمنين، أنت أفضل أم آدم عليه السلام أبو البشر؟ قال علي عليه السلام: «تزكية المرء نفسه قبيح، قال الله تعالى لآدم: ﴿يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ﴾ الآية^(٢) وأن أكثر الأشياء أباحنيها الله وتركتها وما قاربتها».

ثم قال: أنت أفضل أم نوح عليه السلام؟

فقال علي عليه السلام: «إن نوحاً دعا على قومه وأنا ما دعوت على ظلمي حقي، وابن نوح كان كافراً وابنائي سيدا شباب أهل الجنة».

قال: أنت أفضل أم موسى عليه السلام؟

قال عليه السلام: «إن الله تعالى أرسل موسى إلى فرعون فقال: إني أخاف أن يقتلون. وأنا ما خفت حين أرسلني رسول الله ﷺ بتبليغ سورة براءة أن أقرأها على قريش في الموسم مع إني كنت قتلت كثيراً من صناديدهم، فذهبت إليهم وقرأتها عليهم وما خفتهم». قال: أنت أفضل أم عيسى بن مريم عليه السلام؟

فقال عليه السلام: «عيسى كانت أمه في بيت المقدس، فلما جاءت وقت ولادتها سمعت قائلاً يقول: أخرجي هذا بيت العبادة لا بيت الولادة. وأما أمي فاطمة بنت أسد لما قرب وضع حملها كانت في الحرم فانشق حائط الكعبة، وسمعت قائلاً يقول

(١) بحار الأنوار: ج ١٠ ص ٣٤-٣٦ ب ٢ ح ١.

(٢) سورة البقرة: ٣٥، سورة الأعراف: ١٩.

لها: ادخلي. ودخلت في وسط البيت وأنا ولدت به، وليس لأحد هذه الفضيلة لا قبلي ولا بعدي»^(١) الحديث.

أسئلة رؤساء اليهود

بعد وفاة رسول الله ﷺ وإبعاد أمير المؤمنين عليه السلام عن الخلافة، كان يتردد بعض اليهود على المدينة المنورة ليسألوا عن الرسول الأكرم ﷺ أو وصيه، فكان الناس يرشدونهم إلى ابن أبي قحافة ومن أشبهه، فكانوا يتلكنون أمام أسئلتهم ويتحIRON في الإجابة، فيضطر المسلمون أن يرسلوهم إلى علي أمير المؤمنين عليه السلام ليجيب على كافة أسئلة اليهود.

قال عبد الله بن عباس:

قدم يهوديان أخوان من رؤساء اليهود بالمدينة، فقالا: يا قوم إن نبينا حدثنا عنه: إنه قد ظهر نبي بتهامة يسفه أحلام اليهود ويطعن في دينهم، ونحن نخاف أن يزيلنا عما كان عليه آبائنا، فأیکم هذا النبي؟ فإن يكن الذي بشر به داود آمنا به واتبعناه، وإن لم يكن يورد الكلام على ائتلافه ويقول الشعر ويقهرنا بلسانه جاهدناه بأنفسنا وأموالنا، فأیکم هذا النبي؟

فقال المهاجرون والأنصار: إن نبينا ﷺ قد قبض.

فقالا: الحمد لله، فأیکم وصيه؟ فما بعث الله عزوجل نبياً إلى قوم إلا وله وصي يؤدي عنه من بعده ويحكي عنه ما أمره ربه؟

فأوما المهاجرون والأنصار إلى أبي بكر، فقالوا: هو وصيه!

فقالا لأبي بكر: إنا نلقي عليك من المسائل ما يلقي على الأوصياء، ونسألك عما تسأل الأوصياء عنه.

فقال لهما أبو بكر: ألقيا ما شئتما أخبركما بجوابه إن شاء الله.

(١) الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام للهمداني: ص ٣٦٩-٣٧٠ ف ٨.

فقال أحدهما : ما أنا وأنت عند الله عز وجل؟.

وما نفس في نفس ليس بينهما رحم ولا قرابة؟.

وما قبر سار بصاحبه؟.

ومن أين تطلع الشمس وفي أين تغرب؟.

وأين طلعت الشمس ثم لم تطلع فيه بعد ذلك؟.

وأين تكون الجنة؟.

وأين تكون النار؟.

وربك يحمل أو يُحمل؟.

وأين يكون وجه ربك؟.

وما اثنان شاهدان وما اثنان غائبان؟.

وما اثنان متباغضان؟.

وما الواحد وما الاثنان؟.

وما الثلاثة وما الأربعة؟.

وما الخمسة وما الستة؟.

وما السبعة وما الثمانية؟.

وما التسعة وما العشرة؟.

وما الأحد عشر وما الاثنا عشر؟.

وما العشرون وما الثلاثون؟.

وما الأربعون وما الخمسون؟.

وما الستون وما السبعون؟.

وما الثمانون وما التسعون؟.

وما المائة؟.

قال : فبقي أبو بكر لا يرد جواباً وتخوفنا أن يرتد القوم عن الإسلام.

أمير المؤمنين عليه السلام يدرك الموقف

يقول عبد الله بن عباس ، الذي كان يعرف أن أمير المؤمنين عليه السلام أهل للإجابة على مثل هذه الأسئلة دون غيره ممن تقمص الخلافة : فأتيت منزل علي بن أبي طالب عليه السلام فقلت له : يا علي ، إن رؤساء اليهود قد قدموا المدينة وألقوا على أبي بكر مسائل فبقي أبو بكر لا يرد جواباً.

فتبسم علي عليه السلام ضاحكاً ثم قال : «هو اليوم الذي وعدني رسول الله ﷺ . فأقبل يمشي أمامي وما أخطأت مشيته من مشية رسول الله ﷺ شيئاً حتى قعد في الموضع الذي كان يقعد فيه رسول الله ﷺ ، ثم التفت إلى اليهوديين فقال : «يا يهوديان ، ادنوا مني وألقيا عليّ ما ألقيتماه على الشيخ».

فقال اليهوديان : ومن أنت؟.

فقال لهما : «أنا علي بن أبي طالب بن عبد المطلب ، أخو النبي وزوج ابنته فاطمة ، وأبو الحسن والحسين ووصيه في حالاته كلها ، وصاحب كل منقبة وعز ، وموضع سر النبي ﷺ».

فقال له أحد اليهوديين : ما أنا وأنت عند الله؟.

قال : «أنا مؤمن منذ عرفت نفسي ، وأنت كافر منذ عرفت نفسك. فما أدري ما يحدث الله فيك يا يهودي بعد ذلك».

فقال اليهودي : فما نفس في نفس ليس بينهما رحم ولا قرابة؟.

قال عليه السلام : «ذاك يونس عليه السلام في بطن الحوت».

قال : فما قبر سار بصاحبه؟.

قال : «يونس عليه السلام حين طاف به الحوت في سبعة أبحر».

قال له : فالشمس من أين تطلع؟.

قال : «من بين قرني الشيطان».

قال : فأين تغرب؟.

قال : «في عين حامية ، قال لي حبيبي رسول الله ﷺ : لا تصل في إقبالها ولا في

إدبارها حتى تصير مقدار رمح أو رحين».

قال: فأين طلعت الشمس ثم لم تطلع في ذلك الموضع؟.

قال: «في البحر حين فلقه الله لبني إسرائيل لقوم موسى عليه السلام».

قال له: فربك يحمل أو يُحمل؟.

قال: «إن ربي عز وجل يحمل كل شيء بقدرته ولا يحمله شيء».

قال: فكيف قوله عز وجل: ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ﴾^(١)؟.

قال: «يا يهودي، ألم تعلم إن لله ما في السماوات وما في الأرض وما بينهما وما

تحت الثرى، فكل شيء على الثرى، والثرى على القدرة، والقدرة تحمل كل شيء».

قال: فأين تكون الجنة، وأين تكون النار؟.

قال: «أما الجنة ففي السماء، وأما النار ففي الأرض».

قال: فأين يكون وجه ربك؟.

فقال علي بن أبي طالب عليه السلام لي: «يا ابن عباس، ائتني بنار وخطب». فأتيته

بنار وخطب فأضرمها ثم قال: «يا يهودي، أين يكون وجه هذه النار؟».

قال: لا أقف لها على وجه.

قال: «فإن ربي عز وجل عن هذا المثل، وله المشرق والمغرب فأينما تولوا فثم

وجه الله».

أخبرني عن هؤلاء

وقد استمر اليهودي بالسؤال من أمير المؤمنين عليه السلام فقال له: ما اثنان شاهدان؟.

قال عليه السلام: «السماوات والأرض لا يغيبان ساعة».

قال: فما اثنان غائبان؟.

قال: «الموت والحياة لا يوقف عليهما».

قال: فما اثنان متباغضان؟.

قال: «الليل والنهار».

قال : فما الواحد؟.

قال : «الله عز وجل».

قال : فما الاثنان؟.

قال : «آدم وحواء».

قال : فما الثلاثة؟.

قال : «كذبت النصرى على الله عز وجل ، فقالوا : ثالث ثلاثة ، والله لم يتخذ صاحبة ولا ولداً».

قال : فما الأربعة؟.

قال : «القرآن والزبور والتوراة والإنجيل».

قال : فما الخمسة؟.

قال : «خمس صلوات مفترضات».

قال : فما الستة؟.

قال : «خلق الله السماوات والأرض وما بينهما في ستة أيام».

قال : فما السبعة؟. قال : «سبعة أبواب النار متطابقات».

قال : فما الثمانية؟. قال : «ثمانية أبواب الجنة».

قال : فما التسعة؟.

قال : «تسعة رهط يفسدون في الأرض ولا يصلحون».

قال : فما العشرة؟. قال : «عشرة أيام العشر».

قال : فما الأحد عشر؟.

قال : قول يوسف لأبيه : ﴿يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ

رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾^(١).

قال : فما الاثنا عشر؟. قال : «شهور السنة».

قال : فما العشرون؟. قال : «بيع يوسف بعشرين درهماً».

(١) سورة يوسف : ٤.

قال : فما الثلاثون؟.

قال ﷺ : «ثلاثون يوماً شهر رمضان صيامه فرض واجب على كل مؤمن إلا من كان مريضاً أو على سفر».

قال : فما الأربعون؟.

قال : «كان ميقات موسى ﷺ ثلاثون ليلة ، فأتمها الله عز وجل بعشر فتم ميقات ربه أربعين ليلة».

قال : فما الخمسون؟.

قال : «لبث نوح ﷺ في قومه ألف سنة إلا خمسين عاماً».

قال : فما الستون؟.

قال : قول الله عز وجل في كفارة الظهار : ﴿فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فِإِطْعَامِ سِتِّينَ مِسْكِيناً﴾^(١) ، إذا لم يقدر على صيام شهرين متتابعين».

قال : فما السبعون؟.

قال : «اختار موسى قومه سبعين رجلاً لميقات ربه عز وجل».

قال : فما الثمانون؟.

قال : «قرية بالجزيرة يقال لها : ثمانون ، منها قعد نوح ﷺ في السفينة واستوت على الجودي وأغرق الله القوم».

قال : فما التسعون؟.

قال : «الفلك المشحون ، اتخذ نوح ﷺ فيه تسعين بيتاً للبهائم».

قال : فما المائة؟.

قال : «كان أجل داود ﷺ ستين سنة فوهب له آدم ﷺ أربعين سنة من عمره ، فلما حضرت آدم الوفاة جحد فجحدت ذريته»^(٢).

(١) سورة المجادلة : ٤ .

(٢) الخصال : ج ٢ ص ٥٩٥ - ٥٩٨ باب الواحد إلى المائة ح ١ .

بين المدرستين

يقول أنس بن مالك : دخل يهودي في خلافة أبي بكر . فقال : أريد خليفة رسول الله ﷺ . قال : فجاءوا به إلى أبي بكر . فقال له اليهودي : أنت خليفة رسول الله ﷺ ؟

قال له أبو بكر : نعم ، أما تنظرني في مقامه ومحراه . فقال له : إن كنت كما تقول يا أبا بكر أسألك عن أشياء ، فإن كنت تجيب صدقتك .

قال : سل عما بدا لك وعما تريد . فقال اليهودي : أخبرني عما ليس لله ، وعما ليس عند الله ، وعما لا يعلمه الله ؟ . قال : فعند ذلك قال أبو بكر : هذه مسائل الزنادقة يا يهودي . فعندها هم بعض المسلمين بقتل اليهودي فكان ممن حضر ذلك ابن عباس ، فزعم بالناس وقال : يا أبا بكر ، ما أنصفتم الرجل .

فقال : أما سمعت ما تكلم به ؟ .

فقال ابن عباس : فإن كان عندكم جوابه وإلا أخرجوه حيث شاء .

قال : فأخرجوه وهو يقول : لعن الله قوماً جلسوا في غير مراتبهم يريدون قتل النفس التي حرم الله تعالى بغير علم .

قال : فخرج وهو يقول : أيها الناس ، ذهب الإسلام حتى لا تجيبوا عن مسألة ، وأين رسول الله ﷺ وأين خليفته ؟ ! .

قال : فتبعه ابن عباس وقال له : ويلك اذهب إلى عيبة علم رسول الله ﷺ إلى منزل علي بن أبي طالب عليه السلام .

قال : فعند ذلك أقبل وقد خرج أبو بكر والمسلمون في طلبه فلحقوه في بعض الطريق ، فأخذوه وجاءوا به إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ، فاستأذنوا

للدخول ثم دخلوا عليه وقد ازدحم الناس ليكون وقوم يضحكون.
فقال له أبو بكر: يا أبا الحسن، إن هذا اليهودي سألني عن مسألة من مسائل
الزنادقة.

فقال علي عليه السلام: «ما تقول يا يهودي؟».

قال: أسألك ويفعلون بي ما يريدون هؤلاء القوم.

قال: «وأي شيء أرادوا يفعلوا بك؟».

قال: أرادوا أن يذهبوا بدمي لأنهم ما أجابوني عن مسألي.

قال له الإمام عليه السلام: «دع هذا واسأل عما بدا لك يا يهودي وما شئت».

قال: يا علي، سؤالي لا يعلمه إلا نبي أو وصي.

قال: «سل عما تريد».

فعند ذلك قال اليهودي: أخبرني عما ليس عند الله، وعما ليس لله، وعما لا
يعلمه الله؟.

فقال له علي عليه السلام: «شرط يا أخا اليهود».

قال: وما الشرط؟.

قال: «تقول معي قولاً عدلاً مخلصاً بالرضا: لا إله إلا الله.. محمد رسول الله».

قال: نعم يا علي، كيف ما أقول.

فقال عليه السلام: «يا أخا اليهود، سألت عما ليس عند الله فليس عند الله ظلم».

فقال: صدقت يا أبا الحسن.

«وأما قولك عما ليس لله، فليس لله ولد ولا صاحبة ولا شريك».

قال: صدقت.

«وأما قولك عما ليس يعلمه الله، فإن الله ما يعلم أن له صاحبة ووزيراً ولا
مشيراً وهو قادر على ما يريد».

فعند ذلك قال اليهودي: مدّ يدك فأنا أشهد أن لا إله إلا الله وإن محمداً

رسول الله وأنت خليفة حقاً ووصيه ووارث علمه فجزاك الله عن الإسلام خيراً.

قال: فضحك الناس عند ذلك.

فقال أبو بكر: أنت يا علي كاشف الكربات، أنت يا علي فارح الهم والغم.

قال: فعند ذلك خرج أبو بكر فرقى المنبر وقال: أقيلوني - ثلاثاً - فلست بخيركم وعلي فيكم.

قال: فخرج عليه عمر وقال: كيف يا أبا بكر وقد رضيناك لأنفسنا.

فنزل عن المنبر وأخبروا بذلك أمير المؤمنين عليه السلام ^(١).

أقول: كان أمير المؤمنين علي عليه السلام على نفس منهج رسول الله ﷺ في التعامل مع اليهود والمشركين حيث كان يسعى لهدايتهم بالحكمة والموعظة الحسنة، وقد اهتدى الكثيرون منهم إثر ذلك لا أن يأمر بقتلهم.

يهودي من المدينة

يقول عامر بن واثلة: شهدنا الصلاة على أبي بكر ثم اجتمعنا إلى عمر بن الخطاب فبايعناه وأقمنا أياماً نختلف إلى المسجد إليه حتى سموه أمير المؤمنين!، فبينما نحن عنده جلوس يوماً إذ جاءه يهودي من يهود المدينة وهم يزعمون أنه من ولد هارون أخي موسى عليه السلام حتى وقف على عمر. فقال له: يا أمير أيكم أعلم بعلم نبيكم وبكتاب ربكم حتى أسأله عما أريد؟.

قال: فأشار عمر إلى علي بن أبي طالب عليه السلام.

فقال له اليهودي: أأكذلك أنت يا علي؟.

فقال: «نعم سل عما تريد».

قال: إني أسألك عن ثلاث وعن ثلاث وعن واحدة.

فقال له علي عليه السلام: «لَمْ لَا تقول إني أسألك عن سبع؟».

قال له اليهودي: أسألك عن ثلاث، فإن أصبت فيهن سألتك عن الثلاث

(١) الفضائل: ص ١٣٢ - ١٣٣ وفي ذكر اللوح المحفوظ الذي نزل به جبرئيل على النبي ﷺ ما ينفع للمستبصرين.

الأخرى، فإن أصبت فيهن سألتك عن الواحدة، وإن أخطأت في الثلاث الأولى لم أسألك عن شيء.

فقال له علي عليه السلام: «وما يدريك إذا سألتني فأجبتك أخطأت أم أصبت؟». قال: فضرب يده إلى كفه فأخرج كتاباً عتيقاً، فقال: هذا ورثته عن آبائي وأجدادي إمام موسى بن عمران وخط هارون وفيه الخصال التي أريد أن أسألك عنها.

فقال له علي عليه السلام: «على إن لي عليك إن أجبتك فيهن بالصواب أن تسلم». فقال اليهودي: والله لئن أجبتني فيهن بالصواب لأسلمن الساعة على يدك. فقال له علي عليه السلام: «سل».

قال: أخبرني عن أول حجر وضع على وجه الأرض؟. وأخبرني عن أول شجرة نبتت على وجه الأرض؟. وأخبرني عن أول عين نبعت على وجه الأرض؟.

فشرع أمير المؤمنين عليه السلام بجواب أسئلة اليهودي مشيراً إلى تحريف اليهود لكثير من الحقائق، فقال: «يا يهودي، أما أول حجر وضع على وجه الأرض فإن اليهود يزعمون أنها صخرة بيت المقدس وكذبوا، ولكنه الحجر الأسود نزل به آدم عليه السلام معه من الجنة فوضعه في ركن البيت، والناس يتمسحون به ويقبلونه ويمجدون العهد والميثاق فيما بينهم وبين الله عز وجل».

قال اليهودي: أشهد بالله لقد صدقت.

قال له علي عليه السلام: «وأما أول شجرة نبتت على وجه الأرض فإن اليهود يزعمون أنها الزيتون وكذبوا، ولكنها النخلة من العجوة، نزل بها آدم عليه السلام معه من الجنة وبالفحل فأصل النخل كله من العجوة».

قال له اليهودي: أشهد بالله لقد صدقت.

قال له علي عليه السلام: «وأما أول عين نبعت على وجه الأرض فإن اليهود يزعمون أنها العين التي نبعت تحت صخرة بيت المقدس وكذبوا، ولكنها عين الحياة التي نسي عندها صاحب موسى السمكة المألحة، فلما أصابها ماء العين عاشت وسربت فاتبعها

موسى ﷺ وصاحبه فلقيا الخضر ﷺ».

قال اليهودي : أشهد بالله لقد صدقت.

قال له علي ﷺ : «سل عن الثلاث الأخرى».

قال : أخبرني عن هذه الأمة كم لها بعد نبيها من إمام عدل ؟. وأخبرني عن منزل

محمد أين هو من الجنة ، ومن يسكن معه في منزله ؟.

قال له علي ﷺ : «يا يهودي ، يكون لهذه الأمة بعد نبيها اثنا عشر إماماً

عدلاً ، لا يضرهم خلاف من خالف عليهم».

قال له اليهودي : أشهد بالله لقد صدقت.

قال له علي ﷺ : «وأما منزل محمد ﷺ من الجنة في جنة عدن ، وهي وسط

الجنان وأقربها من عرش الرحمن جل جلاله».

قال له اليهودي : أشهد بالله لقد صدقت.

قال له علي ﷺ : «والذين يسكنون معه في الجنة هؤلاء الأئمة الاثنا عشر».

قال له اليهودي : أشهد بالله لقد صدقت.

قال له علي ﷺ : «سل عن الواحدة».

قال : أخبرني عن وصي محمد في أهله كم يعيش بعده ، وهل يموت موتاً أو يُقتل

قتلاً ؟.

قال له علي ﷺ : «يا يهودي ، يعيش بعده ثلاثين سنة وتخضب منه هذه من

هذا ، وأشار إلى رأسه».

قال : فوثب إليه اليهودي ، فقال : أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول

الله وأنت وصي رسول الله^(١).

أقول : وهذه القصص تدل على أن كثيراً من اليهود أسلموا عندما علموا بأحقية

الإسلام ، وإن بقي بعضهم في عناده ولجاجة.

من هنا يلزم اليوم أيضاً السعي لهداية اليهود بالحكمة والموعظة الحسنة ونشر

(١) كمال الدين : ج ١ ص ٢٩٤-٢٩٦ ب ٢٦ ح ٣.

ثقافة الإسلام والقرآن والعتر الطاهرة ﷺ بينهم، فإن الناس إذا عرفوا محاسن كلامنا لا تبعونا، كما ورد في الحديث الشريف عن الإمام الرضا عليه السلام^(١).

مع أحبار اليهود

من خصائص العلماء أنهم لا يقبلون الأمور إلا بعد معرفة أدلتها والإذعان بصوابها، ولذا فإنهم يكثر من الأسئلة ويدققون في الأمور حتى يصلوا إلى الحقيقة فيتبعوها، بخلاف بعض الناس فهم عادة يميلون مع كل ربح ويتبعون كل ناعق. ومن راجع سيرة اليهود الذين دخلوا في الإسلام يجد أن كثيراً منهم كانوا من العلماء الذين ترددوا على النبي ﷺ وأهل بيته ﷺ، فسألوه عن علوم الأنبياء ﷺ وعن بعض الأسرار، وتحققوا من صدقهم في دعوهم فأسلموا وحسن إسلامهم.

يقول ابن عباس: لما كان في عهد حكومة عمر أتاه من أحبار اليهود فسألوه عن أقفال السماوات ما هي؟ وعن مفاتيح السماوات ما هي؟ وعن قبر سار بصاحبه ما هو؟ وعن أنذر قومه ليس من الجن ولا من الإنس؟ وعن خمسة أشياء مشت على وجه الأرض لن يخلقوا في الأرحام؟ وما يقول الدراج في صياحه؟ وما يقول الديك والفرس والحمار والضفدع والقنبر؟ فنكس عمر رأسه، فقال: يا أبا الحسن، ما أرى جوابهم إلا عندك. فقال لهم علي عليه السلام: «إن لي عليكم شريطة إذا أنا أخبرتكم بما في التوراة دخلتم في ديننا».

قالوا: نعم.

(١) عبون أخبار الرضا عليه السلام: ج ١ ص ٣٠٧-٣٠٨ ب ٢٨ ح ٦٩.

فقال ﷺ: «أما أقفال السماوات فهو الشرك بالله، فإن العبد والأمة إذا كانا مشركين ما يرفع لهما إلى الله سبحانه عمل».

فقالوا: ما مفاتيحها؟

فقال علي ﷺ: «شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله».

فقالوا: أخبرنا عن قبر سار بصاحبه؟

قال: «ذاك الحوت حين ابتلع يونس ﷺ فدار به في البحار السبعة».

فقالوا: أخبرنا عمن أنذر قومه لا من الجن ولا من الإنس؟

قال: «تلك غملة سليمان ﷺ إذ قالت: ﴿يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ﴾»^(١).

قالوا: فأخبرنا عن خمسة أشياء مشت على الأرض ما خلقوا في الأرحام؟

قال ﷺ: «ذاك آدم وحواء وناقصة صالح وكبش إبراهيم وعصا موسى»^(٢).

مع أصحاب الكهف

خصص القرآن الكريم سورة باسم أصحاب الكهف وتعرض فيها لأحوالهم، قال عز من قائل: ﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى﴾^(٣)، وبين الأئمة الأطهار ﷺ قصصهم في بعض أحاديثهم، ومن ذلك ما قاله أمير المؤمنين عليه السلام لذلك لليهودي الذي أسلم صاحباه فخطب أمير المؤمنين ﷺ قائلاً: لقد وقع في قلبي ما وقع في قلوب أصحابي ولكن بقيت خصلة أسألك عنها.

فقال علي ﷺ: «سل».

قال: أخبرني عن قوم كانوا في أول الزمان فماتوا ثلاثمائة وتسع سنين ثم أحياهم

الله ما كان قصتهم؟

(١) سورة النمل: ١٨.

(٢) قصص الأنبياء للراوندي: ص ٢٥٥ - ٢٥٦ ب ١٧ ف ٨ ح ٣٠٠.

(٣) سورة الكهف: ١٣.

فابتدأ علي عليه السلام وأراد أن يقرأ سورة الكهف.

فقال الخبر: ما أكثر ما سمعنا قرآنكم، فإن كنت عالماً فأخبرنا بقصة هؤلاء وبأسمائهم وعددهم، واسم كلبهم، واسم كهفهم، واسم ملكهم، واسم مدينتهم؟. فقال علي عليه السلام: «لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم. يا أخا اليهود، حدثني محمد ^{عليه السلام} إنه كان بأرض الروم مدينة يقال لها: أفسوس، وكان لها ملك صالح فمات ملكهم فاختلفت كلمتهم. فسمع ملك من ملوك فارس يقال له: دقيانوس. فسار في مائة ألف حتى دخل مدينة أفسوس فاتخذها دار مملكته، واتخذ فيها قصرًا طوله فرسخ في فرسخ، واتخذ في ذلك القصر مجلساً طوله ألف ذراع في عرض مثل ذلك من الزجاج الممرد، واتخذ في ذلك المجلس أربعة آلاف اسطوانة من ذهب، واتخذ ألف قنديل من ذهب لها سلاسل من اللجين تسرج بأطيب الأدهان، واتخذ في شرقي المجلس ثمانين كوة وكانت الشمس إذا طلعت طلعت في المجلس كيفما دارت، واتخذ فيه سريراً من ذهب له قوائم من فضة مرصعة بالجواهر وعلاه بالنمارق^(١)، واتخذ من يمين السرير ثمانين كرسيًا من الذهب مرصعة بالزبرجد الأخضر فأجلس عليها بطارقه، واتخذ عن يسار السرير ثمانين كرسيًا من الفضة مرصعة بالياقوت الأحمر فأجلس عليها هراقته^(٢)، ثم قعد على السرير فوضع التاج على رأسه».

فوثب اليهودي فقال: يا علي، مم كان تاجه؟.

قال: «من الذهب المشبك له سبعة أركان على كل ركن لؤلؤة بيضاء كضوء المصباح في الليلة الظلماء، واتخذ خمسين غلاماً من أولاد الهراقلة فقرطقهم^(٣) بقراطق الديباج الأحمر، وسرولهم بسرراويلات الحرير الأخضر، وتوجههم ودملجهم واخلخلهم، وأعطاهم أعمدة من الذهب، وأوقفهم على رأسه، واتخذ ستة غلمة وزراء، فأقام ثلاثة عن يمينه وثلاثة عن يساره».

فقال اليهودي: ما كان اسم الثلاثة والثلاثة؟.

(١) النمارق: هي الوسائد. مجمع البحرين: ج ٥ ص ٢٤٢ مادة (نمرق).

(٢) الهراقلة: هم ملوك الروم.

(٣) قرطق: قباء. لسان العرب: ج ١٠ ص ٣٢٣ مادة (قرطق).

فقال علي عليه السلام: «الذين عن يمينه أسماؤهم: تمليخا ومكسلمينا ومنشيلينا، وأما الذين عن يساره فأسماءهمك مرنوس وديرنوس وشاذريوس، وكان يستشيرهم في جميع أموره، وكان يجلس في كل يوم في صحن داره والبطارقة عن يمينه والهرائلة عن يساره: ويدخل ثلاثة غلمة في يد أحدهم جام من ذهب مملوء من المسك المسحوق، وفي يد الآخر جام من فضة مملوء من ماء الورد، وفي يد الآخر طائر أبيض له منقار أحمر، فإذا نظر الملك إلى ذلك الطائر صفر به فيطير الطائر حتى يقع في جام ماء الورد فيتمرغ فيه فيحمل ما في الجام بريشه وجناحه، ثم يصفر به الثانية فيطير الطائر على تاج الملك فينفض ما في ريشه على رأس الملك، فلما نظر الملك إلى ذلك عتا^(١) وتجبر، فادعى الربوبية من دون الله ودعا إلى ذلك وجوه قومه، فكل من أطاعه على ذلك أعطاه حباه وكساه، وكل من لم يبايعه قتله، فاستجابوا له رأساً، واتخذ لهم عيداً في كل سنة مرة»^(٢).

بداية الهداية

وقد استمر أمير المؤمنين عليه السلام في بيان الدافع الرئيسي في هداية هؤلاء الفتية، فقال لليهودي: «بيننا هم ذات يوم في عيد والبطارقة عن يمينه والهرائلة عن يساره، إذ أتاه بطريق فأخبره إن عساكر الفرس قد غشيت، فاعتم لذلك حتى سقط التاج عن ناصيته، فنظر إليه أحد الثلاثة الذين كانوا عن يمينه يقال له: تمليخا وكان غلاماً. فقال في نفسه: لو كان دقيوس إلهاً كما يزعم إذا ما كان يغتم ولا يفزع، وما كان يبول ولا يتغوط، وما كان ينام، وليس هذا من فعل الإله..

قال: وكان الفتية الستة كل يوم عند أحدهم، وكانوا ذلك اليوم عند تمليخا فاتخذ لهم من أطيب الطعام، ثم قال لهم: يا إخواني، قد وقع في قلبي شيء منعني الطعام والشراب والنام. قالوا: وما ذاك يا تمليخا؟ قال: أطلت فكري في هذه السماء

(١) عتا: استكبر وجاوز الحد. لسان العرب: ج ١٥ ص ٢٧ مادة (عتو).

(٢) قصص الأنبياء للراوندي: ص ٢٥٦ - ٢٥٨ ب ١٧ ح ٨ ف ٣٠٠.

فقلت: من رفع سقفها محفوظاً بلا عمد ولا علاقة من فوقها، ومن أجرى فيها شمساً وقمرأ آيتان مبصرتان، ومن زينها بالنجوم؟ ثم أطلت الفكر في الأرض، فقلت: من سطحتها على صميم الماء الزاخر، ومن حبسها بالجبال أن تميد على كل شيء؟ وأطلت فكري في نفسي من أخرجني جيناً من بطن أُمي، ومن غذاني، ومن رباني، إن لها صانعاً ومدبراً غير دقيوس الملك، وما هو إلا ملك الملوك وجبار السماوات؟

فانكبت الفتية على رجليه يقبلونهما وقالوا: بك هدانا الله من الضلالة إلى الهدى فأشر علينا. قال: فوثب تمليخا فباع تمرأ من حائط له بثلاثة آلاف درهم وصرها في رده وركبوا خيولهم وخرجوا من المدينة»^(١).

هكذا لجئوا إلى الكهف

أما كيف آوى الفتية إلى الكهف، وكيف التحق الراعي وكلبه بهم، فقد أشار إليها أمير المؤمنين عليه السلام في حديثه للحبر اليهودي، فقال: «فلما ساروا ثلاثة أميال. قال لهم تمليخا: يا إخواني، جاءت مسكنة الآخرة وذهب ملك الدنيا، انزلوا عن خيولكم وامشوا على أرجلكم لعل الله أن يجعل لكم من أمركم فرجاً ومخرجاً. فنزلوا عن خيولهم ومشوا على أرجلهم سبعة فراسخ في ذلك اليوم، فجعلت أرجلهم تقطر دماً. قال: فاستقبلهم راع. فقالوا: يا أيها الراعي، هل من شربة لبن أو ماء؟ فقال الراعي: عندي ما تحبون ولكن أرى وجوهكم وجوه الملوك، وما أظنكم إلا هرباً من دقيوس الملك.

قالوا: يا أيها الراعي، لا يحل لنا الكذب أفينجينا منك الصدق؟ فأخبروه بقصتهم، فانكب الراعي على أرجلهم يقبلها ويقول: يا قوم لقد وقع في قلبي ما وقع في قلوبكم ولكن أهملوني حتى أرد الأغنام على أربابها وألحق بكم. فتوقفوا له فرد الأغنام، وأقبل يسعى فتبعه الكلب له».

قال: فوثب اليهودي، فقال: يا علي، ما كان اسم الكلب وما لونه؟

فقال علي عليه السلام: «لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، أما لون الكلب فكان أبلق بسواد، وأما اسم الكلب فقطمير. فلما نظر الفتية إلى الكلب قال بعضهم: إنا نخاف أن يفضحنا بنباحه فأتحوا عليه بالحجارة، فأنطق الله تعالى الكلب: ذروني أحرسكم من عدوكم. فلم يزل الراعي يسير بهم حتى علاهم جبلاً، فانخط بهم على كهف يقال له: الوصيد، فإذا بفناء الكهف عيون وأشجار مثمرة فأكلوا من ثمارها وشربوا من الماء وجنهم الليل، فأووا إلى الكهف فأوحى الله عز وجل إلى ملك الموت بقبض أرواحهم ووكل الله بكل رجلين ملكين يقلبانهما من ذات اليمين إلى ذات الشمال، وأوحى الله عز وجل إلى خزان الشمس فكانت تزاور عن كهفهم ذات اليمين وتقرضهم ذات الشمال. فلما رجع دقيوس من عيده سأل عن الفتية فأخبر أنهم خرجوا هرباً، فركب في ثمانين ألف حصان، فلم يزل يقفوا أثرهم حتى علا فانخط إلى كهفهم فلما نظر إليهم إذا هم نيام. فقال الملك: لو أردت أن أعاقبهم بشيء لما عاقبتهم بأكثر مما عاقبوا أنفسهم ولكن اتنوني بالبنائين. فسد باب الكهف بالكلس^(١) والحجارة، وقال لأصحابه: قولوا لهم يقولوا لإلههم الذي في السماء لينجيهم وأن يخرجهم من هذا الموضع»^(٢).

الرجوع إلى الدنيا

وأشار أمير المؤمنين عليه السلام إلى حالة أصحاب الكهف لما أحياهم الله عز وجل من بعد مماتهم، فقال:

«يا أبا اليهود، فمكثوا ثلاثمائة سنة وتسع سنين، فلما أراد الله أن يحييهم أمر إسرافيل أن ينفخ فيهم الروح، فنفخ فقاموا من رقدتهم، فلما بزغت الشمس قال بعضهم: قد غفلنا في هذه الليلة عن عبادة إله السماء. فقاموا فإذا العين قد غارت وإذا الأشجار قد يبست. فقال بعضهم: إن أمورنا لعجب مثل تلك العين الغزيرة قد غارت

(١) الكلس: ما كلست به حائطاً، أو باطن قصر، شبه الجص من غير آجر. كتاب العين: ج ٥ ص ٣١١

مادة (كلس).

(٢) قصص الأنبياء، للراوندي: ص ٢٥٩-٢٦٠ ب ١٧ ح ٨ ص ٣٠٠.

والأشجار قد ييست في ليلة واحدة ومسهم الجوع، فقالوا: ﴿فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَاماً فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا﴾^(١).

قال تملیخا: لا يذهب في حوائجكم غيري، ولكن ادفع أيها الراعي ثيابك إليّ. قال: فدفع الراعي ثيابه ومضى يؤم المدينة، فجعل يرى مواضعاً لا يعرفها وطريقاً هو ينكرها، حتى أتى باب المدينة وإذا علم أخضر مكتوب عليه لا إله إلا الله عيسى رسول الله - قال - فجعل ينظر إلى العلم وجعل يمسح به عينيه، ويقول: أراني نائماً ثم دخل المدينة حتى أتى السوق فأتى رجلاً خبازاً. فقال: أيها الخباز، ما اسم مدينتكم هذه؟

قال: أفسوس. قال: وما اسم ملككم؟ قال: عبد الرحمن.

قال: ادفع إليّ بهذه الورق طعاماً.

فجعل الخباز يتعجب من ثقل الدراهم ومن كبرها.

قال: فوثب اليهودي وقال: يا علي، ما كان وزن كل درهم منها؟

قال عيسى عليه السلام: وزن كل درهم عشرة دراهم وثلثي درهم.

فقال الخباز: يا هذا، أنت أصبت كنزاً؟

فقال تملیخا: ما هذا إلا ثمن تمر بعثها منذ ثلاث، وخرجت من هذه المدينة وتركت الناس يعبدون دقيوس الملك.

قال: فأخذ الخباز بيد تملیخا وأدخله على الملك.

بين يدي الملك

وبعد أن أدخل تملیخا على الملك سأل عن جرمه، فقال: ما شأن هذا الفتى؟

قال الخباز: إن هذا رجل أصاب كنزاً.

فقال الملك: يا فتى، لا تخف فإن نبينا عيسى عليه السلام أمرنا أن لا نأخذ من الكنز إلا

خمسة فأعطني خمسة وامض سالماً.

فقال تملیخا: انظر أيها الملك في أمري ما أصبت كنزاً، أنا رجل من أهل هذه المدينة.

فقال الملك: أنت من أهلها؟.

قال: نعم.

قال: فهل تعرف بها أحداً؟.

قال: نعم.

قال: ما اسمك؟.

قال: اسمي تملیخا.

قال: وما هذه الأسماء أسماء أهل زماننا؟.

فقال: الملك هل لك في هذه المدينة دار؟.

قال: نعم، اركب أيها الملك معي.

قال: فركب والناس معه فأتى بهم أرفع دار في المدينة.

قال تملیخا: هذه الدار لي.

ففرع الباب فخرج إليهم شيخ كبير قد وقع حاجباه على عينيه من الكبر.

فقال: ما شأنكم؟.

فقال الملك: أانا هذا الغلام بالعجائب يزعم إن هذه الدار داره.

فقال له الشيخ: من أنت؟.

قال: أنا تملیخا بن قسطيكين.

قال: فانكب الشيخ على رجليه يقبلها ويقول: هو جدي ورب الكعبة.

فقال: أيها الملك، هؤلاء الستة الذين خرجوا هرباً من دقيوس الملك.

قال: فنزل الملك عن فرسه وحمله على عاتقه وجعل الناس يقبلون يديه

ورجليه.

فقال: يا تملیخا ما فعل أصحابك؟.

فأخبر أنهم في الكهف، وكان يومئذ بالمدينة ملك مسلم وملك يهودي. فركبوا في

أصحابهم فلما صاروا قريباً من الكهف، قال لهم تملخوا: إني أخاف أن تسمع أصحابي أصوات حوافر الخيول فيظنون أن دقيوس الملك قد جاء في طلبهم، ولكن أمهلوني حتى أتقدم فأخبرهم.

فوقف الناس فأقبل تملخوا حتى دخل الكهف، فلما نظروا إليه اعتنقوه وقالوا: الحمد لله الذي نجاك من دقيوس.

قال تملخوا: دعوني عنكم وعن دقيوسكم، كم لبثتم؟
قالوا: لبثنا يوماً أو بعض يوم.

قال تملخوا: بل لبثتم ثلاثمائة وتسع سنين، وقد مات دقيوس وانقرض قرن بعد قرن، وبعث الله نبياً يقال له المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام ورفع الله إليه، وقد أقبل إلينا الملك والناس معه.

قالوا: يا تملخوا أتريد أن تجعلنا فتنه للعالمين؟
قال تملخوا: فما تريدون؟

قالوا: ادع الله جل ذكره وندعوه معك حتى يقبض أرواحنا. فرفعوا أيديهم فأمر الله بقبض أرواحهم وطمس الله باب الكهف على الناس، فأقبل الملكان يطوفان على باب الكهف سبعة أيام لا يجدان للكهف باباً.

فقال الملك المسلم: ماتوا على ديننا أبني على باب الكهف مسجداً. وقال اليهودي: لا بل ماتوا على ديني أبني على باب الكهف كنيسة، فاقتتلا فغلب المسلم وبنى مسجداً عليه. يا يهودي، أوافق هذا ما في توراتكم؟

قال: ما زدت حرفاً ولا نقصت حرفاً، وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وآله^(١).

أقول: كيف لا يكون ما جاء به أمير المؤمنين عليه السلام مطابقاً لما في التوراة الأصلي، وهو العالم بالتوراة أكثر من أهلها، وقد صرح عليه السلام بذلك في عدة أحاديث:

روى ابن أبي البختري من ستة طرق، وابن المفضل من عشر طرق، وإبراهيم

(١) قصص الأنبياء للراوندي: ص ٢٦٠ - ٢٦٢ ب ١٧ ف ٨ ح ٣٠٠.

الثقفي من أربعة عشر طريقاً، منهم: عدي بن حاتم، والأصبغ بن نباته، وعلقمة بن قيس، ويحيى ابن أم الطويل، وزر بن حبيش، وعباية بن ربعي، وعباية بن رفاعه، وأبو الطفيل: أن أمير المؤمنين عليه السلام قال بحضرة المهاجرين والأنصار وأشار إلى صدره: «كيف ملئ علماً لو وجدت له طالباً، سلوني قبل أن تفقدوني. هذا سبط العلم، هذا لعاب رسول الله، هذا ما زقني به رسول الله زقاً، فاسألوني؛ فإن عندي علم الأولين والآخرين. أما والله لو ثنيت لي الوسادة ثم أجلس عليها لحكمت بين أهل التوراة بتوراتهم، وبين أهل الإنجيل بإنجيلهم، وبين أهل الزبور بزبورهم، وبين أهل الفرقان بفرقانهم، حتى ينادي كل كتاب بأن علياً حكم بحكم الله - في وفي رواية - حتى ينطق الله التوراة والإنجيل - وفي رواية - حتى يزهر كل كتاب من هذه الكتب ويقول: يا رب، إن علياً قضى بقضائك».

ثم قال: «سلوني قبل أن تفقدوني، فوالذي فلق الحبة وبرأ النسمة لو سألتُموني عن آية آية في ليلة أنزلت أو في نهار أنزلت، مكيها ومدنيها، وسفريها وحضرها، ناسخها ومنسوخها، ومحكمها ومتشابهها، وتأويلها وتنزيلها، لأخبرتكم»^(١). وقال علي عليه السلام: «أيها الناس أنا أعلم من أهل التوراة بتوراتهم، وأعلم من أهل الإنجيل بإنجيلهم»^(٢).

(١) المناقب: ج ٢ ص ٣٨ - ٣٩ فصل في المسابقة بالعلم.

(٢) بحار الأنوار: ج ٢٨ ص ١٣ ب ١ كتاب الفتن والمحن باب افتراق الأمة بعد النبي ﷺ على ثلاث

وسبعين فرقة ... ح ٢٠.

يهودي يسأل ابن أبي قحافة

كان من أسباب عدم إسلام بعض اليهود ما رأوه ممن تقمص الخلافة بعد رسول الله ﷺ من بني أمية وبني العباس وغيرهم من جهلهم وابتعادهم عن الكتاب وسنة النبي ﷺ.

نعم، كثير منهم أسلموا في عهد رسول الله ﷺ لما رأوا منه ﷺ صفات الأنبياء ﷺ المذكورة في التوراة، وكذلك أسلم كثير من اليهود عندما رأوا من أمير المؤمنين علي عليه السلام صفات الأوصياء.

وفي الخبر: إن أحد أحبار اليهود جاء إلى أبي بكر، فقال: أنت خليفة نبي هذه الأمة؟. فقال له: نعم.

فقال: فإننا نجد في التوراة أن خلفاء الأنبياء أعلم أمهم فخيرني عن الله تعالى أين هو في السماء أم في الأرض؟. فقال له أبو بكر: في السماء على العرش.

فقال اليهودي: فأرى الأرض خالية منه، وأراه على هذا القول في مكان دون مكان. فقال أبو بكر: هذا كلام الزنادقة أعزب عني وإلا قتلتك!!.

فولى الخبر متعجباً يستهزئ بالإسلام. فاستقبله أمير المؤمنين عليه السلام، فقال له: «يا يهودي، قد عرفت ما سألت عنه وما أجبت به، وإنا نقول: إن الله جل وعز أين الأين فلا أين له، وجل عن أن يحويه مكان، وهو في كل مكان بغير مماسة ولا مجاورة، يحيط علماً بما فيها ولا يخلو شيء منها من تدبيره، وإني مخبرك بما جاء في كتاب من كتبكم يصدق ما ذكرته لك، فإن عرفته أتؤمن به؟». قال اليهودي: نعم.

قال: «ألستم تجدون في بعض كتبكم أن موسى بن عمران عليه السلام كان ذات يوم جالساً إذ جاءه ملك من المشرق، فقال له موسى: من أين أقبلت؟. قال: من عند الله عز وجل. ثم جاءه ملك من المغرب، فقال له: من أين جئت؟. قال: من عند الله. وجاءه ملك آخر، فقال: قد جئتك من السماء السابعة من عند الله تعالى. وجاءه ملك

آخر، فقال: قد جئتكم من الأرض السابعة السفلى من عند الله عز اسمه.
فقال موسى عليه السلام: سبحان من لا يخلو منه مكان، ولا يكون إلى مكان أقرب من مكان». فقال اليهودي: أشهد أن هذا هو الحق، وأنت أحق بمقام نبيك ممن استولى عليه^(١).

صف لي محمداً ﷺ

جاء يهودي إلى أمير المؤمنين عليه السلام بعد وفاة رسول الله ﷺ وطلب منه أن يصف له النبي ﷺ في خلقه وصفات جسمه، وذلك ليطابقه مع الأوصاف التي وردت في التوراة وما وصله من أخبارهم.

فقال اليهودي: صف لي محمداً ﷺ كأنني أنظر إليه حتى أؤمن به الساعة؟
فبكى أمير المؤمنين عليه السلام ثم قال:

«يا يهودي، هيّجت أحزاني. كان حبيبي رسول الله ﷺ صلت^(٢) الجبين، مقرون الحاجبين، أدعج^(٣) العينين، سهل^(٤) الخدين، أقتنى الأنف^(٥)، دقيق المسربة^(٦)، كث^(٧) اللحية، براق^(٨) الثنايا، كأن عنقه إبريق فضة، كان له شعيرات من لبتة إلى سرتة ملفوفة كأنها قضيب كافور، لم يكن في بدنه شعيرات غيرها، لم يكن بالطويل الذاهب ولا بالقصير النزر، كان إذا مشى مع الناس غمرهم نوره، وكان إذا

(١) الإرشاد: ج ١ ص ٢٠١ - ٢٠٢ فصل في ذكر مختصر من قضائه عليه السلام في إمارة أبي بكر بن أبي قحافة.

(٢) صلت: يبرق - لسان العرب: ج ٢ ص ٥٣ مادة (صلت).

(٣) دعج: الدعج شدة سواد العين وشدة بياضه - كتاب العين: ج ١ ص ٢١٩ مادة (دعج).

(٤) سهل: خلاف الصعب - مجمع البحرين: ج ٥ ص ٣٩٩ مادة (سهل).

(٥) القنا، بالكسر: احديداب في وسط الأنف. وقيل: القنا في الأنف طوله ورقة أرنبته مع حذب في وسطه، ومنه رجل أقتنى الأنف - مجمع البحرين: ج ١ ص ٣٥١ مادة (قنو).

(٦) المسربة: شعرات تنبت في وسط الصدر إلى أصل السرة كقضيب - كتاب العين: ج ٧ ص ٢٤٩ مادة (سرب).

(٧) كث: كثف - لسان العرب: ج ٢ ص ١٧٩ مادة (كثث).

(٨) براق: ذو بريق - لسان العرب: ج ١٠ ص ١٥ مادة (برق).

مشى كأنه يتقلع من صخرة أو ينحدر من صيب، كان مدور الكعبين، لطيف القدمين، دقيق الخصر، عمامته السحاب، وسيفه ذو الفقار، وبغلته دلدل، حمارة اليعفور، وناقته العضباء، وفرسه لزاز، وقضييه المشوق، وكان عليه السلام أشفق الناس على الناس، وأرأف الناس بالناس، كان بين كتفيه خاتم النبوة مكتوب على الخاتم سطران، أما أول سطر: فلا إله إلا الله. وأما الثاني: فمحمد رسول الله ﷺ، هذه صفته يا يهودي»^(١).

إيمان رأس اليهود

عُرف كثير من اليهود بشدة عدائهم للمسلمين والبغض الشديد لهم حتى وصفهم القرآن الكريم، فقال عز وجل: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾^(٢). وبالرغم أن هؤلاء كانوا يماطلون في إتباع الحق ويزيفون الحقائق، إلا أن ثلة كبيرة من علمائهم كانوا يبحثون عن الحق ويسألون عنه ليتبعوه، ويأتباع هؤلاء العلماء للإسلام كان يتبعهم كثير من عامة اليهود أيضاً ويسلمون.

فمن علمائهم الذين عرفوا الحق فاتبعوه واهتدوا ببركة أمير المؤمنين عليه السلام هو رأس اليهود الذي قصد أمير المؤمنين عليه السلام في طريقه إلى النهروان وسأله عن الأمور التي أمتحن بها، فعدد أمير المؤمنين عليه السلام سبعة موارد ابتلي بها في حياة رسول الله ﷺ وسبعة بعد وفاته.

ثم قال عليه السلام في آخر الحديث: «قد وفيت سبعا وسبعاً يا أخا اليهود، وبقيت الأخرى وأوشك بها فكأن قد قربت».

قال: فبكى أصحاب علي عليه السلام وبكى رأس اليهود وقالوا يا أمير المؤمنين: أخبرنا بالأخرى.

فقال: «الأخرى أن تخضب هذه - وأوماً بيده إلى لحيته - من هذه، وأوماً بيده إلى

(١) الخصال: ج ٢ ص ٥٩٨ - ٥٩٩ باب الواحد إلى المائة ح ١.

(٢) سورة المائدة: ٨٢.

هامته».

قال: وارتفعت أصوات الناس في المسجد الجامع بالضجة والبكاء حتى لم يبق بالكوفة دار إلا خرج أهلها فرعاً، وأسلم رأس اليهود على يدي علي عليه السلام من ساعته، ولم يزل مقيماً حتى قُتل أمير المؤمنين عليه السلام وأخذ ابن ملجم (لعنه الله).

فأقبل رأس اليهود حتى وقف على الحسن عليه السلام والناس حوله وابن ملجم (لعنه الله) بين يديه، فقال له: يا أبا محمد، اقتله قتله الله؛ فإني رأيت في الكتب التي أنزلت على موسى عليه السلام أن هذا أعظم عند الله عز وجل جرمًا من ابن آدم قاتل أخيه، ومن القدار عاقر ناقة ثمود^(١).

أقول: مما يلاحظ في كلام أمير المؤمنين عليه السلام هو خطابه لليهودي: «يا أخا اليهود» وهو يدل على النظرة الإنسانية لجميع البشر، وقد سبقه رسول الله ﷺ بهذا الخطاب كما مر سابقاً في هذا الكتاب.

وفي حرب خيبر

إحدى المعارك المهمة في تاريخ المسلمين هي معركة خيبر التي وقعت في السنة السابعة للهجرة، وقد بشر رسول الله ﷺ أبان رجوعه من الحديبية بفتح حصون اليهود، بعد ما قام اليهود بنقض العهد والتخطيط والمبادرة لقتل المسلمين، قال تعالى في سورة الفتح: ﴿وَأَنَابَهُمْ فَتَحًا قَرِيبًا﴾^(٢).

فبعد رجوع رسول الله ﷺ من الحديبية بقي ﷺ عشرين يوماً في المدينة ثم أمر المسلمين بالتهيؤ للقتال الدفاعي، فخرج في ألف وأربعمائة رجل إلى خيبر، وحينما عرف اليهود بالأمر تحصنوا في قلاعهم.

وقد أعطى رسول الله ﷺ الراية لأبي بكر وعمر ومن أشبهه، ولما حملت عليهم

(١) راجع الخصال: ج ٢ ص ٣٨٢ - ٣٦٤ امتحان الله عز وجل أوصياء الأنبياء في حياة الأنبياء في سبعة

مواطن وبعد وفاتهم في سبعة مواطن ح ٥٨.

(٢) سورة الفتح: ١٨.

اليهود رجعوا منهزمين يجنبون الناس ، فغضب رسول الله ﷺ وقال : « ما بال أقوام يرجعون منهزمين يجنبون أصحابهم ، أما لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله ، كراراً غير فرار لا يرجع حتى يفتح الله على يده ».

وكان علي عليه السلام أرمدا العين ، فتناول جميع المهاجرين والأنصار ، فقالوا : أما علي فإنه لا يبصر شيئاً لا سهلاً ولا جبلاً . فلما كان من الغد خرج رسول الله ﷺ من الخيمة والراية في يده فركزها وقال : « أين علي ؟ » . فقيل : يا رسول الله ، هو رمد معصوب العينين . قال : « هاتوه إلي » . فأُتي به يقاد ففتح رسول الله ﷺ عينيه ثم تفل فيهما فكان علياً لم ترمد عيناه قط ، ثم قال : « اللهم أذهب عنه الحر والبرد » . فكان علي عليه السلام يقول : « ما وجدت بعد ذلك حرّاً ولا برداً في صيف ولا شتاء » .

ثم دفع رسول الله ﷺ إليه الراية وقال له : « سر في المسلمين إلى باب الحصن وادعهم إلى إحدى ثلاث خصال : أما أن يدخلوا في الإسلام ولهم ما للمسلمين وعليهم ما عليهم وأموالهم لهم ، وأما أن يذعنوا للجزية والصلح ولهم الذمة وأموالهم لهم ، وأما الحرب ؛ فإن اختاروا الحرب فحاربهم » .

فأخذها وسار بها والمسلمون خلفه حتى وافى باب الحصن ، فاستقبله حماة اليهود وفي أولهم مرحب يهدر كما يهدر البعير ، فدعاهم إلى الإسلام فأبوا ، ثم دعاهم إلى الذمة فأبوا ، فحمل عليهم أمير المؤمنين عليه السلام فانهزموا بين يديه ودخلوا الحصن وردوا بابه . وكان الباب حجراً منقوراً في صخر ، والباب من الحجر في ذلك الصخر المنقور كأنه حجر رحى وفي وسطه ثقب لطيف ، فرمى أمير المؤمنين عليه السلام بقوسه من يده اليسرى ، وجعل يده اليسرى في ذلك الثقب الذي في وسط الحجر دون اليمنى ؛ لأن السيف كان في يده اليمنى ثم جذب به إليه فانهار الصخر المنقور وصار الباب في يده اليسرى ، فحملت عليه اليهود فجعل ذلك ترساً له ، وحمل عليهم فضرب مرحباً فقتله وانهزم اليهود من بين يديه ، فرمى عند ذلك الحجر بيده اليسرى إلى خلفه ، فمر الحجر الذي هو الباب على رؤوس الناس من المسلمين إلى أن وقع في آخر العسكر . قال المسلمون : فذرنا المسافة التي مضى فيها الباب فكانت أربعين ذراعاً ،

ثم اجتمعنا على الباب لنرفعه من الأرض وكنا أربعين رجلاً حتى تهيأ لنا أن نرفعه قليلاً من الأرض^(١). أقول: ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام فيما كتبه إلى سهل بن حنيف: «والله ما قلعت باب خيبر ورميت بها خلف ظهري أربعين ذراعاً بقوة جسدية، ولا حركة غذائية، لكنني أيدت بقوة ملكوتية، ونفس بنور ربها مضيئة»^(٢).

قتل مرحب اليهودي

من أهم أحداث معركة خيبر هو قتل أمير المؤمنين عليه السلام لمرحب اليهود الذي أربع المسلمين، فما برز إليه أحد منهم وعرفه إلا وولى هارباً.

يقول المؤرخون في وصف مرحب: إنه كان طويل القامة عظيم الهامة، وكانت اليهود تقدمه لشجاعته ويساره، وذات يوم خرج إلى أصحاب رسول الله ﷺ فما واقفه قرن إلا قال: أنا مرحب ثم حمل عليه، فلم يثبت له وكانت له ظئر^(٣) كاهنة، وكانت تعجب بشبابه وعظم خلقته، وكانت تقول له: قاتل كل من قاتلك، وغالب كل من غالبك، إلا من تسمى عليك بحيدرة؛ فإنك إن وقفت له هلكت.

قال: فلما كثر مناوشته، وبعل^(٤) الناس بمقامه شكوا ذلك إلى النبي ﷺ وسألوه أن يخرج إليه علياً عليه السلام، فدعا النبي ﷺ علياً عليه السلام وقال له: «يا علي، اكفني مرحباً».

فخرج إليه أمير المؤمنين عليه السلام فلما بصر به مرحب أسرع إليه فلم يره يعبأ به، فأنكر ذلك وأحجم عنه، ثم أقدم وهو يقول: أنا الذي سمعتني أُمي مرحباً. فأقبل علي عليه السلام بالسيف، وهو يقول: أنا الذي سمعتني أُمي حيدرة. فلما سمعها منه مرحب هرب ولم يقف خوفاً مما حذرته منه ظئره، فتمثل له

(١) راجع الخرائج والجرائح: ج ١ ص ١٥٩-١٦٠ ب ١ فذك.

(٢) الخرائج والجرائح: ج ٢ ص ٥٤٢ ب ١٤ فصل في أعلام أمير المؤمنين عليه السلام.

(٣) الظئر: المرضة غير ولدها. لساب العرب: ج ٤ ص ٥١٥ مادة (ظار).

(٤) بعل: إذا كان يصير عند الحرب كالجهوت من الفرق والدهش. كتاب العين: ج ٢ ص ١٥٠ مادة (بعل).

إبليس في صورة حبر من أحبار اليهود، فقال: إلى أين يا مرحب؟
 فقال: قد تسمى عليّ هذا القرن بحيدرة.
 فقال له إبليس: فما حيدرة؟.

فقال: إن فلانة ظئري كانت تحذرني من مبارزة رجل اسمه حيدرة، وتقول: إنه قاتلك. فقال له إبليس: شوهاً لك، لو لم يكن حيدرة إلا هذا وحده لما كان مثلك يرجع عن مثله، تأخذ بقول النساء وهن يخطنن أكثر مما يصبن، وحيدرة في الدنيا كثير، فارجع فلعلك تقتله، فإن قتلتَه سدت قومك وأنا في ظهرك أستصرخ اليهود لك. فردّه، فوالله ما كان إلا كفواً^(١) ناقة حتى ضربه عليّ عليه السلام ضربة سقط منها لوجهه وانهزم اليهود وهم يقولون: قُتل مرحب، قُتل مرحب^(٢).

أقول: في كل شدة كان رسول الله ﷺ يدعو أمير المؤمنين عليه السلام لدفعها، وإلى ذلك تشير الصديقة الزهراء عليها السلام في خطبتها المشهورة حيث قالت عليها السلام: «كلما أوقدوا ناراً للحرب أطفاها الله، وكلما نجم قرن الضلالة أو فغرت فاغرة للمشركين قذف أخاه في لهواتها، فلا ينكفى حتى يطأ صماخها بأخمصها، ويخمد لهبها بحده، مكدوداً في ذات الله، قريباً من رسول الله، سيداً في أولياء الله»^(٣).

(١) فوق، بالضم: ما بين الحلبتين، يريد ما لها من انتظار - لسان العرب: ج ١٠ ص ٣١٨ مادة (فوق).

(٢) الأماشي للطوسي: ص ٣ المجلس الأول ح ٢.

(٣) دلائل الإمامة: ص ٣٤ حديث فدك.

يهودي يخاصم الإمام علياً عليه السلام على درعه

نقل المؤرخون ورواة الحديث: أن أمير المؤمنين عليه السلام في عهد عمر ضاعت له درع، فوجدها بيد أحد اليهود، ولما طلبها منه أبى اليهودي أن يرجعها وترافعا إلى شريح القاضي^(١) ليحكم بينهما. قال شريح: ما تطلب يا أمير المؤمنين؟.

قال عليه السلام: «درعي سقطت عن جمل لي فالتقطها هذا اليهودي».

فقال شريح: ما تقول يا يهودي؟ قال: درعي وفي يدي.

فقال شريح: صدقت والله يا أمير المؤمنين إنها لدرعك، ولكن لا بد من شاهدين. فدعا قنبراً مولاه والحسن بن علي عليه السلام فشهدا إنها لدرعه.

فقال شريح: أما شهادة مولاك فقد أجزناها، وأما شهادة ابنك لك فلا نجزها.

فقال علي: «ثكلتك أمك، أما سمعت عمر يقول: قال رسول الله ﷺ:

الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة». قال: اللهم نعم.

قال: «أفلا تجيز شهادة سيدي شباب أهل الجنة؟ ثم قال لليهودي: خذ الدرع».

فقال اليهودي: أمير المؤمنين جاء معي إلى قاضي المسلمين فقضى على علي ورضي، صدقت والله يا أمير المؤمنين إنها لدرعك سقطت عن جمل لك التقطتها، أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله. فوهبها له علي عليه السلام وأجازه بسبعمائة ولم يزل معه حتى قُتل يوم صفين^(٢).

(١) قال ابن أبي الحديد: هو شريح بن الحارث الكندي. وقيل: اسم أبيه معاوية وقيل غيره. استعمله عمر بن الخطاب على القضاء بالكوفة فلم يزل قاضياً ستين سنة (وقيل: خمس وسبعون سنة) لم يتعطل فيها إلا ثلاث سنين في فتنة ابن الزبير امتنع عن القضاء. ثم استعفى الحاجج من العمل فأعفاء فلزم منزله إلى أن مات وله ١٠٨ سنة. وقيل: مائة. ومات سنة ٨٧ هـ. وأقر أمير المؤمنين عليه السلام شريحاً على القضاء مع مخالفته له مسائل كثيرة من الفقه. وسخط علي عليه السلام مرة عليه فطرده عن الكوفة وأمره بالمقام ببانقيا، وكانت قريبة من الكوفة أكثر ساكنيها اليهود. فأقام بها مدة حتى رضي عنه وأعادته إلى الكوفة - شرح نهج البلاغة: ج ١٤ ص ٢٨ - ٢٩ نسب شريح وذكر بعض أخباره.

(٢) راجع بحار الأنوار: ج ٤١ ص ٥٦ - ٥٧ ب ١٠٥ ح ٦.

أقول: مثل هذه الأخلاق العظيمة هي التي جعلت كثيراً من الناس يقبلون على الإسلام ويتخذونه ديناً لهم، ولما غابت هذه الأخلاق من بين المسلمين ابتعد العالم عن الإسلام وفقد المسلمون العزة وتأخروا عن سائر الأمم، ولا يكون الحل إلا بالرجوع إلى القرآن والعرة الطاهرة عليه السلام كما فصلناه في بعض كتبنا.

يهودي يسأل عن كنوز أبيه

نقل العلامة السيد هاشم البحراني ^(١) مُنْتَرَك في كتابه (مدينة المعاجز): إن يهودياً جاء إلى أبي بكر في ولايته وقال له: إن أبي قد مات وقد خلف كنوزاً، ولم يذكر أين هي؛ فإن أظهرتها كان لك ثلثها، وللمسلمين ثلث آخر، ولي ثلث، وأدخل في دينك.

فقال أبو بكر: لا يعلم الغيب إلا الله.

فجاء إلى عمر، فقال له مقالة أبي بكر.

ثم دله على علي عليه السلام فجاء فسأله.

فقال له: رح إلى بلد اليمن واسأل عن وادي برهوت ^(٢) بحضرموت، فإذا حضرت الوادي فاجلس هناك إلى غروب الشمس، فسيأتيك غرابان سود فاهتف باسم أبيك وقل له: يا فلان، أنا رسول وصي رسول الله إليك كلمني فإنه يكلمك، فأسأله عن الكنوز فإنه يدلك على أماكنها.

فمضى اليهودي إلى اليمن واستدل على الوادي وقعد هناك، وإذا بالغرابين قد

(١) هو السيد هاشم المعروف بالعلامة ابن السيد إسماعيل ابن السيد عبد الجواد البحراني، كان فاضلاً محدثاً متبّعاً في الأخبار بحيث لم يسبقه بها أحد غير العلامة المجلسي رحمته الله، وله مؤلفات عديدة، منها: البرهان في تفسير القرآن، مدينة المعاجز، الهادي وضياء النادي في تفسير القرآن، معالم الزلفى. الدر النقيذ في فضائل الحسين الشهيد عليه السلام، وفاة الزهراء عليها السلام، سلاسل الحديد، وغيرها. توفي رحمته الله سنة ١١٠٧ أو ١١٠٩ هجرية، وقبره في قرية توبلي بمقبرة ماشني.

(٢) برهوت. بضم الهاء وسكون الواو وتاء فوقها نقطتان. : واد باليمن يوضع فيه أرواح الكفار. وقيل: برهوت بحضرموت. معجم البلدان: ج ١ ص ٤٠٥ (برهوت).

أقبلا فنادى أباه، فأجابه وقال: ويحك ما أقدمك على هذا الوطن! وهو من مواطن أهل النار!

فقال: جئت أسألك عن الكنوز أين هي؟.

فقال: في موضع كذا، في حائط كذا - وقال له - ويليكَ اتبع دين محمد تسلم فهو النجاة.

ثم انصرف الغرابان ورجع اليهودي فوجد كنزاً من ذهب، وكنزاً من فضة. فأوقر بغيراً وجاء به إلى أمير المؤمنين عليه السلام وهو يقول: أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، وأنت وصي رسول الله وأخوه، وأمير المؤمنين حقاً كما سميت، وهذه الهدية فاصرفها حيث شئت فأنت وليه في العالمين^(١).

أقول: وهكذا كان اليهود يسلمون واحداً بعد واحد عندما يرون المعاجز ويتعرفون على الإسلام وعلى النبي والوصي، حتى قل عددهم في بلاد المسلمين. هذا وقد ثبت أن النبي ﷺ والأئمة المعصومين عليهم السلام يعلمون الغيب بإذن الله، كما قال تعالى: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا ۖ إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِنْ رَسُولٍ﴾^(٢).

(١) مدينة المعاجز، للسيد هاشم البحراني: ج ٢ ص ٤٦ - ٤٧ ب ١ إحياء أبي اليهودي وإخباره بماله ح ٩٣.

(٢) سورة الجن: ٢٦ - ٢٧.

الفصل الرابع

اليهود في عهد أهل البيت عليهم السلام

من بركات الصديقة الطاهرة عليها السلام

كان أهل البيت عليهم السلام ملاذاً للفقراء ومأوى للمحتاجين في كل الظروف، وربما لشدة جودهم وكرمهم اضطروا في بعض الأحيان إلى الاقتراض من الآخرين.

وقد ورد أن أمير المؤمنين عليه السلام استقرض شعيراً من يهودي فاسترهته شيئاً، فدفع إليه ملاءة فاطمة عليها السلام رهناً وكانت من الصوف. فأدخلها اليهودي إلى داره ووضعها في بيت، فلما كانت الليلة دخلت زوجته البيت الذي فيه الملاءة لشغل فرأت نوراً ساطعاً أضاء به البيت. فانصرفت إلى زوجها وأخبرته بأنها رأت في ذلك البيت ضوءاً عظيماً، فتعجب زوجها اليهودي من ذلك وقد نسي إن في بيتهم ملاءة فاطمة عليها السلام.

فنهض مسرعاً ودخل البيت فإذا ضياء الملاءة ينتشر شعاعها كأنه يشتعل من بدر منير يلمع من قريب، فتعجب من ذلك فأنعم النظر في موضع الملاءة فعلم أن ذلك النور من ملاءة فاطمة عليها السلام. فخرج اليهودي يعدو إلى أقربائه وزوجته تعدو إلى أقربائها واستحضرهم دارهما فاستجمع نيف وثمانون نفرأ من اليهود فرأوا ذلك وأسلموا كلهم^(١).

سورة هل أتى

روي: إن الإمامين الحسنين عليهما السلام مرضا، فنذر علي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام صيام ثلاثة أيام، فلما عافاهما الله وكان الزمان قحطاً، أخذ علي بن أبي طالب عليه السلام من يهودي ثلاث جزات^(٢) صوفاً لتغزلها فاطمة عليها السلام بثلاثة أصواع شعيراً.

فصاموا وغزلت فاطمة عليها السلام جزءة ثم طحنت صاعاً من شعير وخبزته. فلما كان عند الإفطار أتى مسكين، فأعطوه طعامهم ولم يذوقوا إلا الماء.

(١) الخرائج والجرائح: ج ٢ ص ٥٣٧ - ٥٣٨ ب ١٤ فصل في ذكر أعلام فاطمة البتول عليها السلام.

(٢) يقال: جزأت المال بينهم وجزأته أي قسّمته. لسان العرب: ج ١ ص ٤٥ مادة (جزأ).

ثم غزلت عليها السلام جزءة أخرى من الغد ثم طحنت صاعاً وخبزته ، فلما كان عند الإفطار أتى يتيم ، فأعطوه طعامهم ولم يذوقوا إلا الماء .

وغزلت عليها السلام اليوم الثالث الجزء الباقية ثم طحنت الصاع وخبزته ، وأتى أسير عند الإفطار ، فأعطوه طعامهم .

وكان مضى على رسول الله ﷺ أربعة أيام والحجر على بطنه وقد علم بحالهم ، فخرج ودخل حديقة المقداد ولم يبق على نخلاتها ثمرة ومعه علي أمير المؤمنين عليه السلام . فقال : «يا أبا الحسن ، خذ السلة وانطلق إلى تلك النخلة . وأشار إلى واحدة . فقل لها : قال رسول الله ﷺ : سألتك بحق الله لما أطعمتينا من ثمرك» .

قال علي أمير المؤمنين عليه السلام : «فلقد تطأطأت بحمل ما نظر الناظرون إلى مثلها ، والتقطت من أطائبها وحملت بها إلى رسول الله ﷺ ، فأكل وأكلت وأطعم المقداد وجميع عياله ، وحمل إلى فاطمة والحسن والحسين عليهم السلام ما كفاهم ، فلما بلغ المنزل إذا فاطمة عليها السلام يأخذها الصداق» .

فقال عليه السلام : «أبشري واصبري فلن تنالي ما عند الله إلا بالصبر» . فنزل جبرئيل بسورة هل أتى ^(١) .

أقول : إن جميع الخلق عيال على أهل البيت عليهم السلام وهم عيال الله ، بل إنهم عليهم السلام بمثابة آباء الناس ويدل على ذلك قول النبي ﷺ : «يا علي ، أنا وأنت أبوا هذه الأمة» ^(٢) .

ولذا كان أهل البيت عليهم السلام يتكفلون بمعيشة الناس ولو ساقهم ذلك إلى الاقتراض وتحمل الجوع والعطش .

(١) الخرائج والجرائح ج ٢ ص ٥٣٩ - ٥٤٠ ب ١٤ فصل في ذكر أعلام فاطمة البتول عليها السلام .

(٢) المناقب : ج ٣ ص ١٠٥ فصل في أنه المعني بالإنسان والرجل والرجال والعبد والعباد والوالد .

يهودي يسلم على رأس الحسين عليه السلام

بعد أن استشهد الإمام الحسين عليه السلام حمل القوم رأسه الشريف مع أهل بيته أسارى وطافوا بهم البلاد المختلفة من كربلاء إلى الكوفة، ومنها إلى الشام، ينظر إليهم القاصي والداني وكأنهم عبيد من الزنج قد غاب عنهم سادتهم.

وفي إحدى الليالي ولما جن عليهم الليل نزلوا عند رجل من اليهود، فشرّب العسكر وسكروا وقالوا لليهودي: عندنا رأس الحسين عليه السلام. فقال: أروه لي. فأروه وهو في الصندوق يسطع منه النور نحو السماء، فتعجب منه اليهودي فاستودعه منهم وقال للرأس: اشفع لي عند جدك. فأنطق الله الرأس، فقال: إنما شفّاعتي للمحمّدين ولست بمحمّدي.

فجمع اليهودي أقرباءه ثم أخذ الرأس ووضع في طست وصب عليه ماء الورد وطرح فيه الكافور والمسك والعنبر، ثم قال لأولاده وأقربائه: هذا رأس ابن بنت محمد عليه السلام. ثم قال - يا لهفاه حيث لم أجد جدك محمدًا عليه السلام فأسلم على يديه، يا لهفاه حيث لم أجدك حياً فأسلم على يديك وأقاتل بين يديك، فلو أسلمت الآن أتشفع لي يوم القيامة؟. فأنطق الله الرأس فقال بلسان فصيح: إن أسلمت فأنا لك شفيع، قاله ثلاث مرات وسكت^(١).

فأسلم اليهودي وأسلم قومه.

أقول: كتب بعض الكتاب حول مصائب رأس سيد الشهداء عليه السلام وما جرى عليه بعد شهادته وأشاروا إلى هذه القضية، وكيف صار الرأس الشريف سبباً لإسلام اليهودي وأقربائه، وكذلك إسلام بعض النصارى وهداية كثير من الناس.

لو ترك فينا موسى سبطاً

عندما أدخل أهل البيت عليهم السلام أسارى في قصر يزيد بن معاوية كان أحد أجبـار اليهود حاضراً في القصر ينظر إليهم دون أن يعرفهم، ولما رأى الإمام زين العابدين عليه السلام تساءل من يزيد قائلاً: من هذا الغلام؟ قال: هو علي بن الحسين.

قال: فمن الحسين؟ قال: ابن علي بن أبي طالب.

قال: فمن أمه؟ قال: أمه فاطمة بنت محمد.

فقال الخبر: يا سبحان الله، فهذا ابن بنت نبيكم قتلتموه في هذه السرعة، بثـمـا خلقتـمـوه في ذريته، والله لو ترك فينا موسى بن عمران سبطاً من صلبه لظننا إنا كنا نعبده من دون ربنا، وأنتم إنما فارقكم نبيكم بالأمس فوثبتم على ابنه قتلتموه، سوءاً لكم من أمة.

قال: فأمر به يزيد لعنه الله فوجئ^(١) في حلقه ثلاثاً. فقام الخبر وهو يقول: إن شتـم فاضـربوني، وإن شتـم فاقـتلوني أو فذروني؛ فإني أجد في التوراة إن من قتل ذرية نبي لا يزال ملعوناً أبداً ما بقي فإذا مات يصلية الله نار جهنم^(٢).

أقول: وفي بعض التواريخ أنه أسلم اليهودي وقام يزيد بقتله.

يقول الإمام زين العابدين عليه السلام: «أيها الناس، أصبحنا مطرودين مشردين مذودين، وشاسعين عن الأمصار؛ كأننا أولاد ترك وكابل من غير جرم اجترمناه، ولا مكروه ارتكبناه، ولا ثلـمة في الإسلام ثلـمناها، ما سمعنا بهذا في آبائنا الأولين إن هذا إلا اختلاق، والله لو أن النبي تقدم إليهم في قتالنا كما تقدم إليهم في الوصاية بنا لما زادوا على ما فعلوا بنا، فإننا لله وإنا إليه راجعون»^(٣).

(١) وجئ: اللـكـز. راجع لسان العرب: ج ١ ص ١٩٠ مادة (وجأ).

(٢) بحار الأنوار: ج ٤٥ ص ١٣٩-١٤٠ ب ٣٩.

(٣) اللـهـوف: ص ٢٠١-٢٠٢ المسلك الثالث في الأمور المتأخرة عن قتله.

طفل لقن من غير تعليم

كانت لليهود مناظرات عديدة مع أئمة أهل البيت عليهم السلام وفي كثير منها أسلموا وحسن إسلامهم.

ورد في إحدى مناظرات الإمام الصادق عليه السلام مع اليهود أنهم سألوه: أي معجز يدل على نبوة محمد؟.

فقال عليه السلام: «كتاب المهيمن الباهر لعقول الناظرين مع ما أُعطي من الحلال والحرام وغيرهما مما لو ذكرناه لطالت».

فقال اليهود: وكيف لنا بأن نعلم إن هذا كما وصفت؟.

فقال لهم موسى بن جعفر عليه السلام - وهو صبي وكان حاضراً -: «وكيف لنا بأن نعلم ما تذكرون من آيات موسى إنها على ما تصفون؟».

قالوا: علمنا ذلك بنقل الصادقين.

قال لهم موسى بن جعفر عليه السلام: «فاعلموا صدق ما أنبأكم به بخبر طفل لقنه الله من غير تعليم ولا معرفة عن الناقلين».

فقالوا: نشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وأنكم الأئمة الهادية والحجج من عند الله على خلقه».

فوثب أبو عبد الله عليه السلام فقبل بين عيني موسى بن جعفر عليه السلام، ثم قال: «أنت القائم من بعدي».

ثم كساهم أبو عبد الله عليه السلام ووهب لهم وانصرفوا مسلمين^(١).

أقول: قوله عليه السلام: «القائم من بعدي». أي: القائم بأمر الإمامة بعدي، لا كما زعمت الواقفية بأن موسى بن جعفر عليه السلام حي وأنه القائم؛ فإن الإمام المهدي عليه السلام هو القائم الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً بعد ما ملئت ظلماً وجوراً.

(١) الخرائج والجرائح: ج ١ ص ١١١ - ١١٢ ب ١ فصل من روايات الخاصة.

عوام اليهود

التقليد من أهم المسائل التي تبتني عليها أعمال الناس، فعوام الناس يقلدون علماءهم، ولكن لا يجوز التقليد في أصول الدين بل في فروعه، كما يلزم مراعاة كافة الشرائط المقررة في الفقيه ليكون الجامع لشرائط التقليد.

وعوام اليهود أخذوا يقلدون أحبارهم حتى في أصول الدين، ومن دون رعاية شروط التقليد، فهم يعرفون أن علماءهم على ضلالة ومع ذلك يصرون على تقليدهم، ولذلك ورد ذمهم في الآيات والروايات.

ففي الخبر أن رجلاً قال للإمام الصادق عليه السلام: فإذا كان هؤلاء العوام من اليهود لا يعرفون الكتاب إلّا بما يسمعون من علمائهم لا سبيل لهم إلى غيره، فكيف ذمهم بتقليدهم والقبول من علمائهم، وهل عوام اليهود إلّا كعوامنا يقلدون علماءهم؟.

إلى أن قال: فقال الإمام عليه السلام: «بين عوامنا وعلمائنا وبين عوام اليهود وعلمائهم فرق من جهة وتسوية من جهة. أما من حيث إنهم استووا فإن الله ذم عوامنا بتقليدهم علماءهم كما قد ذم عوامهم، وأما من حيث إنهم افترقوا فلا».

قال: بين لي ذلك يا ابن رسول الله ﷺ.

قال عليه السلام: «إن عوام اليهود كانوا قد عرفوا علماءهم بالكذب الصراح وبأكل الحرام وبالرشى وبتغيير الأحكام عن واجبها بالشفاعات والعنايات والمصانعات، وعرفوهم بالتعصب الشديد الذي يفارقون به أديانهم، إذا تعصبوا أزالوا حقوق من تعصبوا عليه، وأعطوا ما لا يستحقه من تعصبوا له من أموال غيرهم، وظلموهم من أجلهم، وعرفوهم بأنهم يقارفون المحرمات، واضطروا بمعارف قلوبهم إلى أن من فعل ما يفعلونه فهو فاسق لا يجوز أن يصدق على الله ولا على الوسائط بين الخلق وبين الله، فلذلك ذمهم الله لما قلدوا من قد عرفوا، ومن قد علموا إنه لا يجوز قبول خبره، ولا تصديقه في حكايته، ولا العمل بما يؤديه إليهم عن لم يشاهدوه، ووجب عليهم

النظر بأنفسهم في أمر رسول الله ﷺ إذ كانت دلائله أوضح من أن تخفى وأشهر من أن لا تظهر لهم.

وكذلك عوام أمتنا إذا عرفوا من فقهاءهم الفسق الظاهر والعصبية الشديدة والتكالب على حطام الدنيا وحرامها، وإهلاك من يتعصبون عليه وإن كان لإصلاح أمره مستحقاً وبالترفق بالبر والإحسان على من تعصبوا له وإن كان للإذلال والإهانة مستحقاً، فمن قلد من عوامنا من مثل هؤلاء الفقهاء فهم مثل اليهود الذين ذمهم الله تعالى بالتقليد لفسقة فقهاءهم. فأما من كان من الفقهاء صائناً لنفسه، حافظاً لدينه، مخالفاً لهواه، مطيعاً لأمر مولاه، فللعوام أن يقلدوه، وذلك لا يكون إلا في بعض فقهاء الشيعة لا جميعهم، فإن من ركب من القبائح والفواحش مراكب فسقة فقهاء العامة، فلا تقبلوا منهم عنا شيئاً ولا كرامة لهم، وإنما كثر التخليط فيما يتحمل عنا أهل البيت لذلك؛ لأن الفسقة يتحملون عنا فهم يحرفونه بأسره لجهلهم، ويضعون الأشياء على غير وجوهها لقلّة معرفتهم، وآخرين يتعمدون الكذب علينا»، الحديث^(١).

أقول: لقد عمل علماؤنا الأبرار والشيعة الكرام بما أوصاهم به الإمام الصادق عليه السلام من الاحتياط في أمر التقليد، وقد رأيت في أكثر من موقف كيف يحتاط الشيعة في مسألة التقليد ويدققون فيها، وكيف كان العلماء الأعلام يحتاطون في التصدي لأمر المرجعية وزعامة الناس، ومن ذلك إنني كنت بصحبة والذي ﷺ^(٢) وابن عمي المرحوم السيد أبو القاسم الشيرازي ثنّته في مجلس كان يضم المرحوم السيد عبد الهادي الشيرازي ثنّته^(٣) أيضاً، وفي الأثناء جاءنا خبر وفاة المرجع الديني الكبير السيد

(١) بحار الأنوار: ج ٢ ص ٨٧ - ٨٨ ب ١٤ ح ١٢.

(٢) هو المرجع الديني الكبير السيد الميرزا مهدي الحسيني الشيرازي ثنّته. ولد في كربلاء المقدسة عام ١٣٠٤ هـ، كان عالماً تقيّاً ورعاً عابداً زاهداً، كثير الحفظ، جيد الخط. وكان صاحب كرامات، وهو من خيرة تلاميذ المرجع الأعلى الشيخ محمد تقي الشيرازي ﷺ قائد ثورة العشرين في العراق، توفي في ٢٨ شعبان عام ١٣٨٠ هـ ودفن في الصحن الحسيني الشريف في المقبرة المعروفة بمقبرة الشيرازية.

(٣) هو المرجع الديني الأعلى السيد عبد الهادي بن السيد ميرزا إسماعيل بن السيد رضي الدين ◀

أبو الحسن الأصفهاني رحمته الله ^(١) فتأسفنا جميعاً وتأثرنا بالخبر المفجع ، غير أن الذي تغير لونه واضطربت أحواله أكثر من كل الحاضرين هو سماحة السيد الميرزا عبد الهادي الشيرازي رحمته الله ، إذ أنه كان مرشحاً من قبل بعض خواص العلماء وأهل الرأي والنظر للزعامة العامة والمرجعية الدينية ، وخوفاً من تلك المسؤولية الجسيمة بدا الاضطراب واضحاً عليه وهو يقول مردداً: أستجير بالله تعالى مما أخاف وأحذر، إني يا رب أخاف أن تصلني مسؤولية الزعامة والمرجعية ، وأحذر من عبثها الثقيل ومسؤوليتها الكبرى. وهكذا بقي مضطرباً من ألم المصاب وخوف المسؤولية.

► الشيرازي. وُلد في سرمن رأى عام ١٣٠٥هـ في السنة التي توفي بها والده الحجة ، هاجر إلى كربلاء المقدسة وحضر على بعض علمائها ، تخرج على يد الشيخ ملا محمد كاظم الآخوند الخراساني ، والميرزا محمد تقي الشيرازي ، وشيخ الشريعة الأصفهاني. وكان عالماً محققاً منقّباً ، ذا رأي صائب ، قوي الحافظة ، أديباً شاعراً ، آلت إليه المرجعية الدينية العليا بعد وفاة السيد أبو الحسن الأصفهاني رحمته الله. له مواقف مشرفة ضد الاستعمار البريطاني ، فقد اشترك مع الشيخ الشيرازي في ثورة العشرين ، ووقف بوجه المد الشيوعي وأصدر فتواه الشهيرة بضاللتهم. أعماه الإنجليز عام ١٣٦٩هـ وتوفي عام ١٣٨٢هـ.

(١) هو المرجع الديني الأعلى السيد أبو الحسن بن السيد محمد بن السيد عبد الحميد الموسوي الأصفهاني. ولد سنة ١٢٨٤هـ في أصفهان ، ورد إلى النجف الأشرف أواخر القرن الثالث عشر وأقام في كربلاء المقدسة مدة ، وبعد وفاة السيد محمد كاظم اليزدي صاحب العروة رشح للزعامة الدينية ، وبعد وفاة الشيخ أحمد كاشف الغطاء والشيخ الميرزا حسين النائيني تهيأ له الظهور بالمرجعية العامة. توفي رحمته الله في ذي الحجة عام ١٣٦٥هـ في الكاظمية ، ونقل جثمانه إلى النجف الأشرف ودفن في الصحن الغروي الشريف.

الفصل الخامس

اليهود في العصور المتأخرة

مع السيد الأصفهاني رحمته الله

سار علماؤنا وفقهاؤنا الأعلام على نفس السيرة التي رسمها النبي ﷺ وأئمة أهل البيت عليهم السلام في التعامل مع غير المسلمين ومنهم اليهود، فكانوا يسعون دائماً لهدايتهم إلى نور الإسلام ونور القرآن ونور أهل البيت عليهم السلام بالحكمة والموعظة الحسنة، وكم من اليهود أسلموا على يد علمائنا وحسن إسلامهم.

نقل لي أحد تجار بغداد، فقال: كنت أتعامل مع يهودي فخر جميع أمواله، وكان لي عليه مال كثير، فبقيت فترة أتردد عليه ليرجع أموالي ولكن دون جدوى.

وفي يوم الغدير ذهبت إلى النجف الأشرف وزرت الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، ثم ذهبت إلى المرجع الديني السيد أبي الحسن الأصفهاني رحمته الله وقدمت له مائتي دينار من الحقوق الشرعية، وقلت له: إن حقوقي تعادل ألف دينار إلا إنني لا أتمكن من تسديدها الآن؛ لأن قسماً من أموالي كانت عند أحد تجار اليهود وقد خسر في تجارة جميع أمواله، وهو الآن جليس الدار وريثنا يرجع أموالي أعطيكم البقية.

فقال السيد الأصفهاني: هل إنك تقلدني؟

قلت: نعم، ولذا قدمت إليكم هذه الحقوق.

قال: وهل تنفذ ما أقول لك؟ قلت: نعم، ولم لا أنفذ؟!

وبعد مدة من تأكيد السيد على أن أنفذ أوامره قال لي: بقي من حقوقك ثمانمائة

دينار صحيح؟ قلت: نعم.

قال: خذ المائتين واذهب إلى ذلك اليهودي في بغداد وقل له: إن السيد أبا الحسن

الأصفهاني أرسل لك هذا المبلغ وأعفاك عن الباقي؛ فإنه قبلها كحقوق شرعية مني، فأنت معفو من تسديد الديون، ولن أطلبك بها بعد اليوم أبداً.

يقول التاجر: فتعجبت من كلام السيد وقلت: سيدنا، هذه حقوق الإمام عليه السلام

والسادة، فكيف تهبها لليهودي؟!

قال: ألم تتعهد أنك تسمع كلامي وتنفذ أوامري؟! فغلبتني الحيرة وذهبت إلى بغداد وطرقت باب اليهودي، فخرجت ابنته وقالت: إن أبي مريض وهو طريح الفراش ولا يتمكن من الالتقاء بأحد. فقلت لها: أخبره إنني لم آت للمطالبة بأموالي، وجئت لأمر آخر فليأذن لي بزيارته. فأذن لي ودخلت داره فوجدته كما قالت ابنته طريح الفراش، فأهديت له المبلغ ونقلت له القضية فبكى بشدة وقال: كنت قبل قليل أفكر لو كان نبي الله موسى ﷺ أو وصيه حياً لما تركني وأنا في هذه الشدة. وبينما أنا غارق في التفكير إذ طرقت الباب وجئت بهذا المبلغ وهو يساعطني على أن أبدء من جديد وأخبرتني بما قاله السيد أبو الحسن. وقد تيقنت الآن إن السيد أبا الحسن يسير على نهج الأنبياء، وأن نبيكم نبي الإسلام امتداد لنبوته نبينا موسى ﷺ.

ثم إن اليهودي طلب من هذا التاجر المسلم أن يعرض عليه الإسلام، يقول: فعرضته عليه فأسلم وتشهد بالشهادات الثلاث وأمر جميع أسرته أن يسلموا فأسلموا. ففرحت فرحاً شديداً ورجعت إلى النجف الأشرف وبشرت السيد بذلك، فقال لي: ألم أقل لك اسمع كلامي؟!

مسؤوليتنا تجاه اليهود

إن اليهود الذين أسلموا في التاريخ كثيرون جداً، ولم ينقطع إسلام اليهود منذ عهد النبي ﷺ وإلى يومنا هذا، وإن قل ذلك أو كثر في بعض الأزمان. وإذا ما تصدى أحد لجمع أحوال هؤلاء اليهود الذي أسلموا طول التاريخ في كتاب مستقل لكان مجلداً ضخماً. وقد نقلت بعض المجالات^(١): إن جماعة من نساء إسرائيل اليهوديات أسلمن، مما أدى ذلك إلى اضطراب في الحكومة الإسرائيلية. فقاموا بالبحث والتحقيق عن سبب إسلامهن، فقلن: إن الإسلام يحترم المرأة أكثر من اليهود.

(١) انظر مجلة الرأي الجديد الأردنية.

وذكرت في كتاب (هؤلاء اليهود)^(١) قبل أربعين سنة تقريباً: إن من اللازم على المسلمين أن يهتموا بهداية اليهود إلى الإسلام عبر بيان الأدلة والبراهين؛ فإن اليهود مهما كانوا فهم بشر لهم عواطفهم وعقولهم، وإن كان فيهم بعض المتعصبين والمعاندين إلا أن كثيراً منهم إذا عرفوا الحق اتبعوه، والتاريخ خير شاهد على ذلك. ولكن المسلمين تركوا هذه المهمة الدينية في العصور الأخيرة.

لا تمسه بسوء

من قصص اليهود الذين أسلموا في العصور الأخيرة ما نقله لي الحاج عبد الأمير أحد تجار النجف الأشرف، وكان من وكلاء التاجر الشهير الحاج محسن شلاش، فقال: كانت لنا دكاكين وأردنا إصلاحها، ولذا فقد أُنذرت المستأجرين بإفراغ دكاكينهم لترميمها، فقبل الجميع ما عدا يهودي كان من المستأجرين فإنه لم يقبل كلامي، وكلما ألححت عليه لم يقبل، فقلت له: غداً آتي بعمال البلدية ليفرغوا الدكان من أثاثك ونهدمه شئت أم أبيت.

وفي الليلة نفسها رأيت الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في المنام وهو يقول لي: أترك هذا الشخص ولا تمسه بأذى، ثم علل الإمام عليه السلام ذلك بقوله: إنه أسلم خفية وهو محسوب علينا، ولذا ينبغي أن لا يؤذى.

فقلت: نعم سيدي، وذهبت غداً إلى دكانه وقلت له: ابق في الدكان فإني لا أمسك بسوء. فقال اليهودي: ولماذا؟.

قلت: لأنني رأيت البارحة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام وأوصاني بذلك.

قال اليهودي: وكيف؟. فنقلت له القضية بتفاصيلها.

فقال: الله أكبر، هذا دليل آخر على صدق الإسلام؛ فإني لما رأيت المسلمين

(١) من تأليفات الإمام الشيرازي رحمته الله في كربلاء المقدسة، ومن عناوين الكتاب: (فلسطين، التوراة والعهد القديم، التلمود، الماسونية، بروتوكولات الصهاينة، سيطرة اليهود، المؤمرات، فجائع اليهود اليوم، خاتمة). ترجم الكتاب إلى اللغة الفارسية وطبع مكرراً.

وحسن معاشرتهم وتعرفت على نبي الإسلام ﷺ وأئمة أهل البيت عليه السلام علمت بأن الإسلام هو الحق، فأسلمت خفية ولم يطلع على ذلك سوى ربي، ومعرفة أمير المؤمنين عليه السلام بإسلامي دليل على صدق الإسلام، وإن الإمام هو الإمام الحق وهو خليفة رسول الله ﷺ - ثم قال لي - أوصيك يا هذا إذا مت أن تأخذ جنازتي إلى وادي السلام وادفني هناك حسب ما يأمر به الدين الإسلامي، ولا تترك أهلي يتولون تجهيزي ولا تخبرهم بالأمر؛ لأنهم يريدون دفن جنازتي عند ذي الكفل أو في بغداد في بعض مقابر اليهود. فقبل الحاج عبد الأمير الوصية، وبعد فترة مرض هذا الرجل وتوفي فقام الحاج بدفنه في النجف الأشرف في وادي السلام كما أوصاه.

يهودي يسلم ببركة السيدة رقية عليها السلام

من قصص اليهود الذين أسلموا في زماننا قصة اليهودي الأصفهاني الذي كانت له طفلة مريضة ويأس الأطباء عن شفائها. وفي أحد الأيام حضر مجلس العزاء في بيت جار مسلم له، فذكر القارئ مصيبة السيدة رقية عليها السلام المدفونة بالشام وما جرى عليها وأنها ماتت على رأس أبيها الإمام الحسين عليه السلام، فبكى اليهودي بكاءً كثيراً، ونذر أن السيدة رقية عليها السلام إذا تشفعت في شفاء طفله وشوفيت أسلم.

وبالفعل شوفيت الطفلة وأسلم اليهودي، فقليل له: لماذا أسلمت؟.

فنقل لهم قصته قائلاً: رأيت السيدة رقية عليها السلام بنفسي وكانت تلعب مع الأطفال وكانت طفلي معهم تلعب، وبعد هذه القصة شوفيت الطفلة وارتفع عنها آثار المرض تماماً.

والظاهر أنه رأى السيدة (صلوات الله عليها) في عالم المكاشفة.

نعم، اليهود كالمسيحيين وكسائر غير المسلمين، بشر فيهم طيب النفس وفيهم السيئ، فيهم المعاند وفيهم من يخضع للحق إذا عرفه. ومن هنا يتحتم على المسلمين أن يسعوا دائماً في هداية اليهود إلى الإسلام بالحكمة والموعظة الحسنة.

الفصل السادس

من قصص بني إسرائيل

امرأة من أولياء الله

في الكافي عن أبي عبد الله عليه السلام قال :

كان ملك في بني إسرائيل وكان له قاض ، وللقاضي أخ وكان رجل صدق وله امرأة قد ولدتها الأنبياء ، فأراد الملك أن يبعث رجلاً في حاجة ، فقال للقاضي ابغني رجلاً ثقة ، فقال ما أعلم أحداً أوثق من أخي فدعاه لبيعه فكره ذلك الرجل وقال لأخيه إني أكره أن أضيع امرأتي ، فعزم عليه ، فلم يجد بداً من الخروج ، فقال لأخيه : يا أخي إني لست أخلف شيئاً أهم عليّ من امرأتي فاخلفني فيها وتول قضاء حاجتها. قال : نعم.

فخرج الرجل ، وقد كانت المرأة كارهة لخروجه ، فكان القاضي يأتيها ويسألها عن حوائجها ويقوم لها ، فأعجبه فدعاها إلى نفسه فأبت عليه ، فحلف عليها لئن لم تفعل ليخبرن الملك أنها قد فجرت ، فقالت : اصنع ما بدا لك لست أجيبك إلى شيء مما طلبت.

فأتى الملك فقال : إن امرأة أخي قد فجرت وقد حق ذلك عندي !.

فقال له الملك : طهرها.

فجاء إليها فقال : إن الملك قد أمرني برجمك فما تقولين؟ تجيبني وإلاّ رجمتك.

فقالت : لست أجيبك فاصنع ما بدا لك.

فأخرجها فحفر لها فرجها ومعه الناس ، فلما ظن أنها قد ماتت تركها وانصرف ، وجنّ بها الليل وكان بها رمق فتحرّكت وخرجت من الحفيرة ثم مشت على وجهها حتى خرجت من المدينة ، فانتهدت إلى دير فيه ديرانى فباتت على باب الدير.

فلما أصبح الديرانى فتح الباب فرآها ، فسألها عن قصتها فخبّرتة فرحمها وأدخلها الدير ، وكان له ابن صغير لم يكن له ابن غيره ، وكان حسن الحال فداواها

حتى برئت من علتها واندملت، ثم دفع إليها ابنه فكانت تربيته، وكان للديراني قهرمان^(١) يقوم بأمره فأعجبته فدعاها إلى نفسه فأبت، فجهد بها فأبت، فقال: لئن لم تفعلني لأجهدن في قتلك! فقالت: اصنع ما بدا لك، فعمد إلى الصبي فدق عنقه وأتى الديراني، فقال له: عمدت إلى فاجرة قد فجرت فدعت إليها ابنك فقتلته، فجاء الديراني فلما رآه قال لها: ما هذا فقد تعلمين صنيعي بك، فأخبرته بالقصة، فقال لها: ليس تطيب نفسي أن تكوني عندي، فاخرجني فأخرجها ليلاً ودفع إليها عشرين درهماً وقال لها: تزودي هذه.. الله حسبك.

فخرجت ليلاً فأصبحت في قرية فإذا فيها مصلوب على خشبة وهو حي فسألت عن قصته؟ فقالوا: عليه دين عشرون درهماً، ومن كان عليه دين عندنا لصاحبه صُلب حتى يؤدي إلى صاحبه، فأخرجت العشرين درهماً ودفعته إلى غريمه وقالت: لا تقتلوه، فأنزلوه عن الخشبة.

فقال لها: ما أحد أعظم عليّ منة منك، نجيتني من الصلب ومن الموت، فأنا معك حيثما ذهبت، فمضى معها ومضت حتى انتهت إلى ساحل البحر فرأى جماعة وسفناً فقال لها: اجلسي حتى أذهب أنا أعمل لهم وأستطعم وآتيك به، فأتاهم فقال لهم: ما في سفينتكم هذه؟ قالوا: في هذه تجارات وجوهر وعنبر وأشياء من التجارة، وأما هذه فنحن فيها، قال: وكم يبلغ ما في سفينتكم؟ قالوا: كثيراً لا نحصىه. قال: فإن معي شيئاً هو خير مما في سفينتكم. قالوا: وما معك؟ قال: جارية لم تروا مثلها قط، قالوا: فبعناها، قال: نعم على شرط أن يذهب بعضكم فينظر إليها ثم يبيئني فيشتريها ولا يعلمها ويدفع إليّ الثمن ولا يعلمها حتى أمضي أنا.

فقالوا: ذلك لك، فبعثوا من نظر إليها، فقال: ما رأيت مثلها قط، فاشتروها منه بعشرة آلاف درهم، ودفعوا إليه الدراهم، فمضى بها، فلما أمعن أتوها فقالوا لها: قومي وادخلي السفينة، قالت: ولم؟ قالوا: قد اشتريناك من مولاك، قالت: ما هو

(١) القهرمان هو القائم بشراء حاجات الشخص ومنه ماجاء في الحديث عن أمير المؤمنين (عليه السلام): «

فإن المرأة ريحانة وليست بقهرمانة».

بمولاي، قالوا: لتقومين أو لنحملنك، فقامت ومضت معهم، فلما انتهوا إلى الساحل لم يأمن بعضهم بعضاً عليها فجعلوها في السفينة التي فيها الجواهر والتجارة، وركبوا هم في السفينة الأخرى فدفعوها.

فبعث الله عز وجل عليهم رياحاً فغرقتهم وسفينتهم ونجت السفينة التي كانت فيها حتى انتهت إلى جزيرة من جزائر البحر، وربطت السفينة، ثم دارت في الجزيرة فإذا فيها ماء وشجر فيه ثمر فقالت: هذا ماء أشرب منه، وثمر آكل منه، أعبد الله في هذا الموضع، فأوحى الله عز وجل إلى نبي من أنبياء بني إسرائيل أن يأتي ذلك الملك فيقول: إن في جزيرة من جزائر البحر خلقاً من خلقي فاخرج أنت ومن في مملكتك حتى تأتوا خلقي هذا وتقرؤا له بذنوبكم، ثم تسألوا ذلك الخلق أن يغفر لكم، فإن يغفر لكم غفرت لكم، فخرج الملك بأهل مملكته إلى تلك الجزيرة، فرأوا امرأة، فتقدم إليها الملك فقال لها: إن قاضي هذا أتانني فخيرني أن امرأة أخيه فجرت فأمرته برجمها ولم يقم عندي البينة فأخاف أن أكون قد تقدمت على ما لا يحل لي فأحب أن تستغفري لي، فقالت: غفر الله لك اجلس، ثم أتى زوجها ولا يعرفها فقال: إنه كان لي امرأة وكان من فضلها وصلاحها، وإنني خرجت عنها وهي كارهة لذلك فاستخلفت أخي عليها فلما رجعت سألت عنها فأخبرني أخي أنها فجرت فرجمها وأنا أخاف أن أكون قد ضيعتها فاستغفري لي، فقالت: غفر الله لك اجلس، فأجلسته إلى جنب الملك.

ثم أتى القاضي، فقال: إنه كان لأخي امرأة وإنما أعجبني فدعوته إلى الفجور فأبت فأعلمت الملك أنها قد فجرت وأمرني برجمها فرجمتها وأنا كاذب عليها فاستغفري لي، قالت: غفر الله لك، ثم أقبلت على زوجها فقالت: اسمع، ثم تقدم الديراني فقص قصته وقال: أخرجتها بالليل وأنا أخاف أن يكون قد لقيها سبع فقتلها، فقالت: غفر الله لك اجلس، ثم تقدم القهرمان فقص قصته، فقالت للديراني: اسمع غفر الله لك، ثم تقدم المصلوب فقص قصته، فقالت: لا غفر الله لك، قال: ثم أقبلت على زوجها فقالت: أنا امرأتك وكل ما سمعت فإنما هو قصتي

وليست لي حاجة في الرجال فأنا أحب أن تأخذ هذه السفينة وما فيها وتخلي سبيلي، فأعبد الله عز وجل في هذه الجزيرة فقد ترى ما لقيت من الرجال، ففعل وأخذ السفينة وما فيها وخلى سبيلها وانصرف الملك وأهل مملكته»^(١).

خمسون كذاباً

عن أبي جعفر عليه السلام أنه قال: «ما خرج موسى عليه السلام حتى خرج قبله خمسون كذاباً من بني إسرائيل كلهم يدعي أنه موسى بن عمران»^(٢).
وهكذا كان دأب بعض بني إسرائيل على الكذب والخداع.

مع سليمان النبي عليه السلام

قال الإمام الصادق عليه السلام: «إن داود عليه السلام أراد أن يستخلف سليمان عليه السلام لأن الله عز وجل أوحى إليه يأمره بذلك، فلما أخبر بني إسرائيل ضجوا من ذلك، وقالوا: يستخلف علينا حدثاً! وفينا من هو أكبر منه.

فدعا أسباط بني إسرائيل فقال لهم: قد بلغتني مقاتلتكم، فأروني عصيكم، فأني عصا أثمرت فصاحبها ولي الأمر بعدي.

فقالوا: رضينا، وقال: ليكتب كل واحد منكم اسمه على عصاه، فكتبوا ثم جاء سليمان بعصاه فكتب عليها اسمه ثم أدخلت بيتاً وأغلق الباب وحرسه رؤوس أسباط بني إسرائيل، فلما أصبح صلى بهم الغداة ثم أقبل ففتح الباب فأخرج عصيهم وقد أورقت عصا سليمان وقد أثمرت، فسلموا ذلك لداود، فاختره بحضرة بني إسرائيل فقال له: يا بني أي شيء أبرد؟

قال: عفو الله عن الناس، وعفو الناس بعضهم عن بعض.

(١) الكافي: ج ٥ ص ٥٥٦ - ٥٥٩ باب النوادر من كتاب النكاح ح ١٠.

(٢) كمال الدين وتام النعمة: ص ١٤٧.

قال: يا بني فأني شيء أحلى؟

قال: المحبة وهي روح الله في عباده.

فافتخر داود عليه السلام ضاحكاً فسار به في بني إسرائيل فقال: هذا خليفتي فيكم من بعدي. ثم أخفى سليمان بعد ذلك أمره وتزوج بامرأة واستتر من شيعته ما شاء الله أن يستتر، ثم إن امرأته قالت له ذات يوم: بأبي أنت وأمي ما أكمل خصالك وأطيب ريحك ولا أعلم لك خصلة أكرهها إلا أنك في مثونة أبي، فلو دخلت السوق فتعرضت لرزق الله رجوت أن لا يخييك.

فقال لها سليمان: إني والله ما عملت عملاً قط ولا أحسنه، فدخل السوق فجال يومه ذلك ثم رجع فلم يصب شيئاً، فقال لها: ما أصبت شيئاً. قالت: لا عليك إن لم يكن اليوم كان غداً.

فلما كان من الغد خرج إلى السوق فجال فيه فلم يقدر على شيء ورجع، فأخبرها فقالت: يكون غداً إن شاء الله، فلما كان في اليوم الثالث مضى حتى انتهى إلى ساحل البحر فإذا هو بصياد فقال له: هل لك أن أعينك وتعطينا شيئاً، قال: نعم، فأعانه فلما فرغ أعطاه الصياد سمكتين فأخذهما وحمد الله عز وجل، ثم إنه شق بطن إحداهما فإذا هو بخاتم في بطنها، فأخذه فصيره في ثوبه وحمد الله، وأصلح السمكتين وجاء بهما إلى منزله، وفرحت امرأته بذلك وقالت له: إني أريد أن تدعو أبوي حتى يعلما أنك قد كسبت، فدعاهما فأكلتا معه، فلما فرغا قال لهما: هل تعرفوني؟ قالوا: لا والله إلا أنا لم نر خيراً منك، فأخرج خاتمه فلبسه، فخر عليه الطير والريح وغشيه الملك وحمل الجارية وأبويها إلى بلاد إصطخر، واجتمعت إليه الشيعة واستبشروا به ففرج الله عنهم مما كانوا فيه من حيرة غيبته، فلما حضرته الوفاة أوصى إلى آصف بن برخيا بإذن الله تعالى ذكره، فلم يزل بينهم تختلف إليه الشيعة ويأخذون عنه معالم دينهم، ثم غيب الله عز وجل آصف غيبة طال أمدها، ثم ظهر لهم فبقي بين قومه ما شاء الله ثم إنه ودعهم، فقالوا له: أين الملتقى؟ قال: على الصراط، وغاب عنهم ما شاء الله، واشتدت البلوى على بني إسرائيل بغيبته وتسلبت عليهم

بخت نصر ... إلى تمام الخير^(١).

بنو إسرائيل وبخت نصر

كان بخت نصر منذ ملك يتوقع فساد بني إسرائيل، ويعلم أنه لا يطيقهم إلا بمعصيتهم، فلم يزل يأتيه العيون بأخبارهم، حتى تغيرت حالهم وفشت فيهم المعاصي، وقتلوا أنبياءهم، وذلك قوله تعالى جل ذكره: ﴿وَقَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لُتْفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ﴾ إلى قوله ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا﴾ يعني بخت نصر وجنوده أقبلوا فنزلوا بساحتهم، فلما رأوا ذلك فزعوا إلى ربهم وتابوا وثابروا على الخير، وأخذوا على أيدي سفهائهم وأنكروا المنكر وأظهروا المعروف فرد الله لهم الكره على بخت نصر وانصرف بعد ما فتحوا المدينة، وكان سبب انصرافهم أن سهماً وقع في جبين فرس بخت نصر، فجمع به حتى أخرجه من باب المدينة..

ثم إن بني إسرائيل تغيروا فما برحوا حتى كرّ عليهم، وذلك قوله تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ﴾ فأخبرهم إرميا عليه السلام أن بخت نصر يتهياً للمسير إليكم وقد غضب الله عليكم، وأن الله تعالى جلت عظمتة يستيبيكم لصلاح آبائكم، ويقول: هل وجدتم أحدا عصاني فسعد بمعصيتي، أم هل علمتم أحدا أطاعني فشقي بطاعتي، وأما أحباركم ورهبانكم فاتخذوا عبادي خولاً يحكمون فيهم بغير كتابي حتى أنسوهم ذكري، وأما ملوككم وأمراؤكم فبطروا نعمتي وغرثهم الدنيا، وأما قراؤكم وفقهاؤكم فهم منقادون للملوك يبايعونهم على البدع ويطيعونهم في معصيتي، وأما الأولاد فيخوضون مع الخائضين، وفي كل ذلك ألبسهم العافية فلا بدلهم بالعز ذلاً وبالأمن خوفاً، إن دعوني لم أجبهم، وإن بكوا لم أرحمهم.

فلما بلغهم ذلك نبههم فكذبوه وقالوا: لقد أعظمت الفرية على الله، تزعم أن الله معطل مساجده من عبادته فقيدوه وسجنوه، فأقبل بخت نصر وحاصرهم سبعة

(١) بحار الأنوار: ج ١٣ ص ٤٤٦ - ٤٤٨ باب ١٩ ح ١٠.

أشهر حتى أكلوا خلاهم وشربوا أبوالمهم، ثم بطش بهم بطش الجبارين بالقتل والصلب والإحراق وجذع الأنوف ونزع الألسن والأنياب ووقف النساء، فقيل له: إن لهم صاحباً كان يخدمهم بما أصابهم فاتهموه وسجنوه، فأمر بخت نصر فأخرج من السجن فقال له: أكنت تحذر هؤلاء؟ قال: نعم، قال: وأنى علمت ذلك؟ قال: أرسلني الله به إليهم، قال: فكذبوك وضربوك؟ قال: نعم، قال: لبس القوم قوم ضربوا نبهم وكذبوا رسالة ربهم، فهل لك أن تلحق بي فأكرمك، وإن أحببت أن تقيم في بلادك آمنتك؟

قال إرميا عليه السلام: إني لم أزل في أمان الله منذ كنت لم أخرج منه ولو أن بني إسرائيل لم يخرجوا من أمانه لم يخافوك، فأقام إرميا عليه السلام مكانه بأرض إيليا وهي حينئذ خراب قد هدم بعضها، فلما سمع به من بقي من بني إسرائيل اجتمعوا إليه فقالوا: عرفنا أنك نبينا فانصح لنا، فأمرهم أن يقيموا معه، فقالوا: نطلق إلى ملك مصر نستجير، فقال إرميا عليه السلام: إن ذمة الله أوفى الذمم، فانطلقوا إلى مصر وتركوا إرميا، فقال لهم الملك: أنتم في ذمتي.

فسمع ذلك بخت نصر فأرسل إلى ملك مصر: ابعث بهم إليّ مصفدين وإلاّ أذنك بالحرب. فلما سمع إرميا عليه السلام بذلك أدركته الرحمة لهم فبادر إليهم لينقذهم فورد عليهم وقال: إن الله تعالى أوحى إليّ إني مظهر بخت نصر على هذا الملك، وآية ذلك أنه تعالى أراني موضع سرير بخت نصر الذي يجلس عليه بعد ما يظفر بمصر.

ثم عمد فدفن أربعة أحجار في ناحية من الأرض فصار إليهم بخت نصر فظفر بهم وأسره، فلما أراد أن يقسم الفبي ويقتل الأسارى ويعتق منهم كان منهم إرميا، فقال له بخت نصر: أراك مع أعدائي بعد ما عرضتك له من الكرامة؟ فقال له إرميا عليه السلام: جئتهم مخوفاً أخبرهم خبرك وقد وضعت لهم علامة تحت سريرك هذا وأنت بأرض بابل، ارفع سريرك فإن تحت كل قائمة من قوائمه حجراً دفنته بيدي وهم ينظرون.

فلما رفع بخت نصر سريريه وجد مصداق ما قال، فقال لإرميا عليه السلام: إني لأقتلهم إذ كذبوك ولم يصدقوك فقتلهم، ولحق بأرض بابل، فأقام إرميا عليه السلام بمصر

مدة فأوحى الله تعالى إليه: الحق بإيليا، فانطلق حتى إذا رفع له شخص بيت المقدس ورأى خراباً عظيماً. فنزل في ناحية واتخذ مضجعاً ثم نزع الله روحه وأخفى مكانه على جميع الخلائق مائة عام، وكان قد وعده الله أن سيعيد فيها الملك والعمران، فلما مضى سبعون عاماً أذن الله في عمارة إيليا، فأرسل الله ملكاً إلى ملك من ملوك فارس يقال له: كوشك فقال: إن الله يأمرك أن تنفر بقوتك ورجالك حتى تنزل إيليا فتعمرها، فندب الفارسي لذلك ثلاثين ألف قهرمان، ودفع إلى كل قهرمان ألف عامل بما يصلح لذلك من الآلة والنفقة فسار بهم، فلما تمت عمارتها بعد ثلاثين سنة أمر عظام إرميا أن تحيي، فقام حياً كما ذكره الله في كتابه^(١)،^(٢).

جريح العابد

عن أبي جعفر عليه السلام قال: كان في بني إسرائيل عابد يقال له: جريح، وكان يتعبد في صومعة، فجاءته أمه وهو يصلي، فدعته فلم يجبها، فانصرفت ثم أتته ودعته فلم يلتفت إليها فانصرفت، ثم أتته ودعته فلم يجبها ولم يكلمها، فانصرفت وهي تقول: أسأل إله بني إسرائيل أن يخذلك!

فلما كان من الغد جاءت فاجرة وقعدت عند صومعته قد أخذها الطلق، فادعت أن الولد من جريح، ففسحا في بني إسرائيل أن من كان يلوم الناس على الزنا قد زنى، وأمر الملك بصلبه، فأقبلت أمه إليه تلطم وجهها، فقال لها: اسكتي إنما هذا لدعوتك.

فقال الناس لما سمعوا ذلك منه: وكيف لنا بذلك؟

(١) قال عز وجل: ﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضُ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِثْتُ مِئَةَ عَامٍ، فَانْظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانْظُرْ إِلَى جِمَاركَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَانْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوها لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ سورة البقرة: ٢٥٩.

(٢) قصص الأنبياء، للراوندي: ص ٢٢٣ - ٢٢٦ ح ٢٩٦.

فقال: هاتوا الصبي، فجاءوا به، فأخذه فقال: من أبوك؟
فقال: فلان الراعي لبني فلان، فأكذب الله الذين قالوا ما قالوا في جريح،
فحلف جريح أن لا يفارق أمه يخدمها^(١).

والعاقبة للمتقين

عن أبي عبد الله عليه السلام قال: كان في بني إسرائيل رجل يكثر أن يقول: «الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين» فغاظ إبليس ذلك، فبعث إليه شيطاناً، فقال: قل: العاقبة للأغنياء، فجاءه فقال ذلك، فتحاكما إلى أول من يطلع عليهما على قطع يد الذي يحكم عليه، فلقيا شخصاً فأخبراه بحالهما، فقال: العاقبة للأغنياء، فرجع وهو يحمد الله ويقول العاقبة للمتقين، فقال له: تعود أيضاً؟ فقال: نعم على يدي الأخرى.

فخرجاً فطلع الآخر فحكم عليه أيضاً فقطعت يده الأخرى، وعاد أيضاً يحمد الله ويقول: العاقبة للمتقين، فقال له: تحاكمني على ضرب العنق، فقال: نعم، فخرجاً فرأياً مثلاً فوقفاً عليه فقال: إني كنت حاکمت هذا وقصا عليه قصتهما، قال: فمسح يديه فعادتا، ثم ضرب عنق ذلك الخبيث، وقال: هكذا العاقبة للمتقين^(٢).

المطر متى شئنا

عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إن قوماً من بني إسرائيل قالوا لنبي لهم: ادع لنا ربك يمطر علينا السماء إذا أردنا، فسأل ربه ذلك فوعده أن يفعل، فأمطر السماء عليهم كلما أرادوا، فزرعوا فثمرت زروعهم وحسنت.
فلما حصدوا لم يجدوا شيئاً، فقالوا: إنما سألنا المطر للمنفعة فأوحى الله تعالى أنهم لم يرضوا بتدبيره لهم^(٣).

(١) مستدرک الوسائل: ج ١٥ ص ٢١٤ باب ٧٩ من أبواب أحكام الأولاد ح ١٠.

(٢) بحار الأنوار: ج ١٤ ص ٤٨٨ - ٤٨٩ باب ٣٢ نوادر أخبار بني إسرائيل ح ٤.

(٣) قصص الأنبياء، للجزائري: ص ٥١٨.

مع نباش القبور

عن الإمام علي بن الحسين عليه السلام قال: كان في بني إسرائيل رجل ينبش القبور، فاعتل جاره فخاف الموت فبعث إلى النباش فقال له: كيف كان جوارى لك؟ قال: أحسن جوار، قال: فإن لي إليك حاجة، قال: قضيت حاجتك، قال: فأخرج إليه كفين فقال: أحب أن تأخذ أحبهما إليك وإذا دفنت فلا تنبشني.

فامتنع النباش من ذلك وأبى أن يأخذه، فقال له الرجل: أحب أن تأخذه، فلم يزل به حتى أخذ أحبهما إليه، ومات الرجل فلما دفن قال النباش: هذا قد دفن فما علمه بأني تركت كفه أو أخذته، لآخذه، فأتى قبره فنبشه، فسمع صائحاً يقول ويصيح به: لا تفعل، ففزع النباش من ذلك فتركه وترك ما كان عليه.

وقال لولده: أي أب كنت لكم؟ قالوا: نعم الأب كنت لنا.

قال: فإن لي إليكم حاجة، قالوا: قل ما شئت فإننا سنصير إليه إن شاء الله.

قال: فأحب إذا أنا مت أن تأخذوني فتحرقوني بالنار، فإذا صرت رمادا فدقوني

ثم تعمدوا بي ريحاً عاصفاً فذروا نصفني في البر ونصفني في البحر.

قالوا: نفعل، فلما مات فعل بعض ولده ما أوصاهم به، فلما ذروه قال الله جل

جلاله للبر: اجمع ما فيك وقال للبحر: اجمع ما فيك. فإذا الرجل قائم بين يدي الله

جل جلاله، فقال الله عز وجل: ما حملك على ما أوصيت ولدك أن يفعلوه بك؟

قال: حملني على ذلك وعزتك خوفك، فقال الله جل جلاله: فإني سأرضي

خصومك وقد آمنت خوفك، وغفرت لك^(١).

(١) الأماي، للصدوق: ص ٤٠٦ - ٤٠٧ المجلس ٥٣ ح ٣.

مدينة لا عيب فيها

عن أبي جعفر عليه السلام قال: إن ملكاً من بني إسرائيل قال: لأبنين مدينة لا يعيبها أحد، فلما فرغ من بنائها اجتمع رأيهم على أنهم لم يروا مثلها قط، فقال له رجل: لو أمنتني على نفسي أخبرتك بعيها. فقال: لك الأمان.

فقال: لها عيبان، أحدهما أنك تهلك عنها، والثاني أنها تخرب من بعدك. فقال الملك: وأي عيب أعيب من هذا، ثم قال: فما نصنع؟ قال: تبني ما يبقى ولا يفنى، وتكون شاباً لا تهرم أبداً. فقال الملك لابنته ذلك، فقالت: ما صدقك أحد غيره من أهل مملكتك^(١).

موانع إجابة الدعاء

عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إن رجلاً كان في بني إسرائيل، قد دعا الله أن يرزقه غلاماً، يدعو ثلاثاً وثلاثين سنة، فلما رأى أن الله تعالى لا يجيبه قال: يا رب أبعد أنا منك فلا تسمع مني؟ أم قريب أنت فلا تجيبني؟ فأتاه آت في منامه فقال له: إنك تدعو الله بلسان بذي، وقلب غلق غير نقى، وبنية غير صادقة، فاقلع من بذائك، فليثق الله قلبك، ولتحسن نيتك. قال: ففعل الرجل ذلك، فدعا الله عز وجل فولد له غلام^(٢).

(١) قصص الأنبياء، للراوندي: ص ١٨١ ح ٢١٠.

(٢) مستدرک الوسائل: ج ٥ ص ١٨٩ باب ١٤ من أبواب الدعاء ح ١.

دودة على وجه القاضي

عن أبي جعفر عليه السلام قال: كان قاض في بني إسرائيل وكان يقضي بالحق فيهم، فلما حضرته الوفاة قال لامرأته: إذ مت فاغسليني وكفيني وغطي وجهي وضعيني على سريري فإنك لا ترين سوءاً إن شاء الله تعالى.

فلما مات فعلت ما كان أمرها به، ثم مكثت بعد ذلك حيناً، ثم إنها كشفت عن وجهه فإذا دودة تقرض من منخره، ففزعت من ذلك، فلما كان بالليل أتتها في منامها، يعني رأته في النوم فقال لها: فزعت مما رأيت؟ قالت: أجل.

قال: والله ما هو إلا في أخيك، وذلك أنه أتاني ومعه خصم له فلما جلسا قلت: اللهم اجعل الحق له، فلما اختصما كان الحق له، ففرحت فأصابني ما رأيت لموضع هواي مع موافقة الحق له^(١).

الصدقة تدفع البلاء

قال أبو عبد الله عليه السلام: كان ورشان^(٢) يفرخ في شجرة، وكان رجل يأتيه إذا أدرك الفرخان فيأخذ الفرخين، فشكا ذلك الورشان إلى الله تعالى، فقال: إني سأكفيكه، قال: فأفرخ الورشان وجاء الرجل ومعه رغيفان فصعد الشجرة وعرض له سائل فأعطاه أحد الرغيفين ثم صعد فأخذ الفرخين ونزل بهما، فسلمه الله لما تصدق به^(٣).

(١) بحار الأنوار: ج ١٤ ص ٤٨٩ باب ٣٢ نوادر أخبار بني إسرائيل ح ٥.

(٢) الورشان: (ذكر القمارى وقيل: طائر يتولد من الفاختة والحمامة، وقال البعض: الحمام الأبيض)

انظر (مجمع البحرين): ج ٤ ص ٤٨٩.

(٣) قصص الأنبياء، للراوندي: ص ١٨٤ ح ٢١٨.

اختر لنفسك

عن أبي الحسن موسى عليه السلام قال: كان في بني إسرائيل رجل صالح، وكانت له امرأة سالحة فرأى في النوم أن الله تعالى قد وقّت لك من العمر كذا وكذا سنة، وجعل نصف عمرك في سعة، وجعل النصف الآخر في ضيق، فاختر لنفسك إما النصف الأول وإما النصف الآخر.

فقال الرجل: إن لي زوجة سالحة وهي شريكتي في المعاش فأشاورها في ذلك فتعود إلي فأخبرك، فلما أصبح الرجل قال لزوجته: رأيت في النوم كذا وكذا، فقالت: يا فلان اختر النصف الأول وتعجل العافية: لعل الله سيرحمنا ويتم لنا النعمة، فلما كان في الليلة الثانية أتى الآتي فقال: ما اخترت؟ فقال: النصف الأول، فقال: ذلك لك، فأقبلت الدنيا عليه من كل وجه، ولما ظهرت نعمته قالت له زوجته: قرابتك والمحتاجون فصلهم وبرّهم وجارك وأخوك فلان فبههم..

فلما مضى نصف العمر وجاز حد الوقت رأى الرجل مثل الذي رآه أولاً في النوم فقال: إن الله تبارك وتعالى قد شكر لك ذلك، ولك تمام عمرك سعة مثل ما مضى^(١).

هكذا الخوف من الله

عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إن عابداً كان في بني إسرائيل فأضاف امرأة من بني إسرائيل فهمّ بها، فأقبل كلما همّ بها قرب إصبعاً من أصابعه إلى النار، فلم يزل ذلك دأبه حتى أصبح، قال لها: اخرجي لبئس الضيف كنت لي^(٢).

(١) مستدرک الوسائل: ج ١٢ ص ٣٦٨ باب ١٤ من أبواب فعل المعروف ح ٢.

(٢) بحار الأنوار: ج ١٤ ص ٤٩٢ - ٤٩٣ باب ٣٢ نوادر أخبار بني إسرائيل ح ١٢.

جلدة من عذاب الله

عن أبي جعفر عليه السلام قال: كان في بني إسرائيل جبار وإنه أقعد في قبره ورد إليه روحه فقيل له: إنا جالدوك مائة جلدة من عذاب الله.
قال: لا أطيقها.

فلم يزالوا ينقصونه من الجلد وهو يقول: لا أطيق، حتى صاروا إلى واحدة.
قال: لا أطيقها.

قالوا: لن نصرفها عنك.

قال: فلماذا تجلدونني؟

قالوا: مررت يوماً بعبد لله ضعيف مسكين مقهور فاستغاث بك، فلم تغته ولم تدفع عنه.

قال: فجلدوه جلدة واحدة، فامتلاً قبره ناراً^(١).

لا تهن الفقراء

روي: أن رجلاً من بني إسرائيل بنى قصراً فجوده وشيده، ثم صنع طعاماً فدعا الأغنياء وترك الفقراء، فكان إذا جاء الفقير قيل: لكل واحد منهم إن هذا طعام لم يصنع لك ولا لأشباهك، قال: فبعث الله ملكين في زي الفقراء فقيل لهما مثل ذلك، ثم أمرهما الله تعالى بأن يأتيا في زي الأغنياء فأدخلا وأكرما وأجلسا فأمرهما الله تعالى أن يخسفا المدينة ومن فيها^(٢).

(١) قصص الأنبياء، للراوندي: ص ١٨٧ ح ٢٢٦.

(٢) قصص الأنبياء، للجزائري: ص ٥٢١.

المشي بالعصا

روي: إن بني إسرائيل الصغير منهم والكبير كانوا يمشون بالعصي مخافة أن يختال أحد في مشيته^(١).

كل هنيئاً مريئاً

عن أبي جعفر عليه السلام قال: كان في بني إسرائيل رجل عابد وكان مُحَارِفاً^(٢) لا يتوجه في شيء فيصيب فيه شيئاً، فأنفقت عليه امرأته حتى لم يبق عندها شيء، فجاجعوا يوماً من الأيام فدفعت إليه نصلاً من غزل وقالت له: ما عندي غيره انطلق فبعه واشتر لنا شيئاً نأكله.

فانطلق بالنصل الغزل لبيعه فوجد السوق قد غلقت ووجد المشتريين قد قاموا وانصرفوا، فقال: لو أتيت هذا الماء فتوضأت منه وصببت علي منه وانصرفت، فجاء إلى البحر وإذا هو بصياد قد ألقى شبكته فأخرجها وليس فيها إلا سمكة رديئة قد مكثت عنده حتى صارت رخوة منتنة، فقال له: بعني هذه السمكة وأعطيك هذا الغزل تنتفع به في شبكتك، قال: نعم، فأخذ السمكة ودفع إليه الغزل وانصرف بالسمكة إلى منزله، فأخبر زوجته، فأخذت السمكة لتصلحها، فلما شقتها بدت من جوفها لؤلؤة، فدعت زوجها فأرته إياها فأخذها فانطلق بها إلى السوق فباعها بعشرين ألف درهم وانصرف إلى منزله بالمال فوضعه، فإذا سائل يدق الباب ويقول: يا أهل الدار تصدقوا رحمكم الله على المسكين، فقال له الرجل: ادخل، فدخل فقال له: خذ إحدى الكيسين فأخذ إحداهما وانطلق، فقالت له امرأته: سبحان الله بينما نحن مياسير إذ ذهب بنصف يسارنا فلم يكن ذلك بأسرع من أن دق السائل الباب فقال له

(١) بحار الأنوار: ج ١٤ ص ٤٩٤ باب ٣٢ نوادر أخبار بني إسرائيل ج ١٦.

(٢) المحارف، بفتح الراء: الذي قُتر عليه رزقه، رجل محدود محروم وهو خلاف قوله: مبارك.

الرجل: ادخل، فدخل فوضع الكيس في مكانه ثم قال: كُلْ هنيئاً مريئاً، إنما أنا ملك من ملائكة ربك إنما أراد ربك أن يبلوك فوجدك شاكراً، ثم ذهب^(١).

درهمان من حل

عن أبي عبد الله عليه السلام قال: كان في بني إسرائيل رجلاً وكان محتاجاً فألحت عليه امرأته في طلب الرزق، فابتهل إلى الله في الرزق، فرأى في النوم أيماً أحب إليك درهمان من حل أو ألفان من حرام؟ فقال: درهمان من حل. فقال تحت رأسك فانتبه فرأى الدرهمين تحت رأسه، فأخذهما واشترى بدرهم سمكة، فأقبل إلى منزله فلما رأته المرأة أقبلت عليه كاللائمة وأقسمت أن لا تمسها، فقام الرجل إليها فلما شق بطنها إذا بدرتين فباعهما بأربعين ألف درهم^(٢).

نعم الأرض الشام

عن أبي عبد الله عليه السلام قال: كان أبو جعفر عليه السلام يقول: نعم الأرض الشام وبئس القوم أهلها اليوم^(٣)، وبئس البلاد مصر، أما أنها سجن من سخط الله عليه من بني إسرائيل ولم يكن دخول بني إسرائيل مصر إلا من سخطه ومعصيته منهم لله، لأن الله عز وجل قال: ادخلوا الأرض المقدسة التي كتب الله لكم، يعني الشام، فأبوا أن يدخلوها فقاتلوا في الأرض أربعين سنة في مصر وفيها فيها ثم دخلوها بعد أربعين سنة، قال: وما كان خروجهم من مصر ودخلهم الشام إلا من بعد توبتهم ورضا الله عنهم^(٤).

(١) الكافي: ج ٨ ص ٣٨٥ - ٣٨٦ ح ٥٨٥.

(٢) وسائل الشيعة: ج ٢٥ ص ٤٥٣ باب ١٠ من كتاب اللقطة ح ٢.

(٣) أي أهل الشام آنذاك، ومن الواضح أنه لا يشمل أهل الشام في كل عصر وزمان.

(٤) تفسير العياشي: ج ١ ص ٣٠٥ - ٣٠٦ سورة المائدة: ٢١ ح ٧٥.

ذم النفس أفضل العبادات

عن الحسن بن الجهم قال: سمعت أبا الحسن عليه السلام يقول: إن رجلاً في بني إسرائيل عبد الله أربعين سنة ثم قرب قرباناً فلم يُقبل منه، فقال لنفسه: وما أُتيت إلا منك وما الذنب إلا لك، قال: فأوحى الله تبارك وتعالى إليه: ذمك لنفسك أفضل من عبادتك أربعين سنة ^(١).

ملك يختار دار الآخرة

في كتاب تنبيه الخاطر: بنى ملك في بني إسرائيل مدينة فتتوق في بنائها ثم صنع للناس طعاماً ونصب على باب المدينة من يسأل عنها فلم يعجبها إلا ثلاثة عليهم الأكسية فإنهم قالوا: رأينا عيين!

فسألهم، فقالوا: تخرب ويموت صاحبها.

فقال: هل تعلمون داراً تسلم من هذين العيين؟

قالوا: نعم الآخرة، فخلى ملكه وتعبّد معهم زماناً، ثم ودّعهم فقالوا: هل رأيت منا ما تكرهه؟ قال: لا ولكن عرفتموني فإنكم تكرموني، فأصبح من لا يعرفني ^(٢).

(١) الكافي: ج ٢ ص ٧٣ باب الاعتراف بالتقصير ح ٣.

(٢) تنبيه الخاطر: ج ١ ص ٧٤. عنه بحار الأنوار: ج ١٤ ص ٥٠٠ ب ٣٢ ح ٢٤.

من فوائد الصدقة

عن أبي جعفر محمد بن عليّ عليه السلام أنه قال: كان في بني إسرائيل رجل له نعمة، ولم يرزق من الولد غير واحد وكان له محباً وعليه شقيقاً، فلماً بلغ مبلغ الرجال زوجته ابنة عم له، فأتاه آت في منامه فقال: إن ابنك هذا ليلة يدخل بهذه المرأة يموت! فاغتم لذلك غمّاً شديداً وكتمه، وجعل يسوّف الدخول حتّى ألحّت امرأته عليه وولده وأهل بيت المرأة، فلماً لم يجد حيلةً استخار الله وقال: لعلّ ذلك كان من الشيطان، فأدخل أهله عليه وبات ليلة دخوله قائماً يصليّ وينتظر ما يكون من الله، حتّى إذا أصبح غداً عليه فأصابه على أحسن حال، فحمد الله وأثنى عليه. فلماً كان الليل نام فأتاه ذلك الذي كان أتاه في منامه فقال: إن الله عز وجل دفع عن ابنك وأنساً أجله^(١) بما صنع بالسائل، فلماً أصبح غداً على ابنه فقال: يا بني هل كان لك صنع صنعته بسائل في ليلة ابتنائك بامرأتك؟ فقال: وما أردت من ذلك.

قال: تخبرني به، فاحتشم منه فقال: لا بدّ من أن تخبرني بالخبر. قال: نعم لما فرغنا ممّا كنّا فيه من إطعام الناس بقيت لنا فضول كثيرة من الطعام وأدخلت إلى المرأة فلماً خلوت بها ودنوت منها وقف سائل بالباب فقال: يا أهل الدار واسونا ممّا رزقكم الله، فقمت إليه وأخذت بيده وأدخلته وقربته إلى الطعام وقلت له: كلّ من الطعام فأكل حتّى صدر^(٢)، وقلت: ألك عيال؟ قال: نعم، قلت: فاحمل إليهم ما أردت، فحمل ما قدر عليه وانصرف وانصرفت أنا إلى أهلي، فحمد الله أبوه وأخبره بالخبر^(٣).

(١) أي: أخر أجله.

(٢) أي: شبع وانصرف من تناول الطعام.

(٣) مستدرک الوسائل: ج ٧ ص ١٧٢ - ١٧٣ باب ٨ من أبواب الصدقة ح ٢.

كيف عقله؟

عن محمد بن سليمان الديلمي عن أبيه قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام فلان من عبادته ودينه وفضله كذا، فقال: كيف عقله؟ قلت: لا أدري، فقال: إن الثواب على قدر العقل، إن رجلاً من بني إسرائيل كان يعبد الله في جزيرة من جزائر البحر، خضراء نضرة، كثيرة الشجر، ظاهرة الماء، وإن ملكاً من الملائكة مرَّ به فقال: يا رب أرني ثواب عبدك هذا، فأراه الله تعالى ذلك، فاستقله الملك، فأوحى الله تعالى إليه أن اصحبه. فأتاه الملك في صورة إنسي فقال - العابد - له: من أنت؟ فقال: أنا رجل عابد بلغني مكانك وعبادتك في هذا المكان فأتيتك لأعبد الله معك، فكان معه يومه ذلك، فلما أصبح قال له الملك: إن مكانك لنزه وما يصلح إلا للعبادة، فقال له العابد: إن لمكاننا هذا عيباً، فقال له: وما هو؟ قال: ليس لربنا بهيمة، فلو كان له حمار رعيناه في هذا الموضع، فإن هذا الحشيش يضيع، فقال له الملك: وما لربك حمار، فقال: لو كان له حمار ما كان يضيع مثل هذا الحشيش، فأوحى الله إلى الملك إنما أثيبه على قدر عقله^(١).

الخوف من الله

عن أبي حمزة الثمالي عن علي بن الحسين عليه السلام قال: إن رجلاً ركب البحر بأهله، فكسر بهم فلم ينج ممن كان في السفينة إلا امرأة الرجل، فإنها نجت على لوح من ألواح السفينة حتى ألجأت إلى جزيرة من جزائر البحر، وكان في تلك الجزيرة رجل يقطع الطريق ولم يدع لله حرمة إلا انتهكها، فلم يعلم إلا والمرأة قائمة على رأسه، فرفع رأسه إليها فقال: إنسية أم جنية؟

ف قالت: إنسية. فلم يكلمها كلمة حتى جلس منها مجلس الرجل من أهله، فلما

(١) الكافي: ج ١ ص ١٢ كتاب العقل والجهل ح ٨.

أن همّ بها اضطربت ، فقال لها : ما لك تضطربين ؟
 فقالت : أفرق من هذا ، وأومات بيدها إلى السماء .
 قال : فصنعت من هذا شيئاً ؟ قالت : لا وعزته .
 قال : فأنت تفرقين منه هذا الفرق ولم تصنعي من هذا شيئاً ، وإنما استكرهتك استكراهاً ، فأنا والله أولى بهذا الفرق والخوف وأحق منك .
 قال : فقام ولم يحدث شيئاً ورجع إلى أهله وليس له همة إلا التوبة والمراجعة ،
 فبينما هو يمشي إذ صادفه راهب يمشي في الطريق ، فحميت عليهما الشمس ، فقال
 الراهب للشاب : ادع الله يظللنا بغمامة فقد حميت علينا الشمس .
 فقال الشاب : ما أعلم أن لي عند ربي حسنة فأتجاسر على أن أسأله شيئاً .
 قال : فادعوا أنا وتؤمن أنت . قال : نعم .
 فأقبل الراهب يدعو والشاب يؤمن ، فما كان بأسرع من أن أظلتهما غمامة ،
 فمشياً تحتها ملياً من النهار ، ثم انفرجت الجادة جادتين ، فأخذ الشاب في واحدة ،
 وأخذ الراهب في واحدة ، فإذا السحاب مع الشاب ، فقال الراهب : أنت خير مني لك
 استجيب ولم يستجب لي ، فخبّرني ما قصتك ؟ فأخبره بخبز المرأة ، فقال : غفر لك ما
 مضى حيث دخلك الخوف ، فانظر كيف تكون فيما تستقبل^(١) .

ما حالي عندك ؟

روي أن عابداً في بني إسرائيل سأل الله تبارك وتعالى فقال : يا رب ما حالي
 عندك ، أخير فأزداد في خيري أو شر فاستعبت قبل الموت ؟
 قال : فأتاه آت فقال له : ليس لك عند الله خير .
 قال : يا رب وأين عملي ؟
 قال : كنت إذا عملت خيراً أخبرت الناس به ، فليس لك منه إلا الذي رضيت

(١) بحار الأنوار : ج ١٤ ص ٥٠٧ - ٥٠٨ باب ٣٢ نوادر أخبار بني إسرائيل ح ٣٢ .

به لنفسك.

قال: فشق ذلك عليه وأحزنه، قال: فكرر الله إليه الرسول فقال: يقول الله تبارك وتعالى فمن الآن فاشتر مني نفسك فيما تستقبل بصدقة تخرجها من كل عرق كل يوم صدقة.

قال: يا رب أو يطيق هذا أحد؟

فقال تعالى: لست أكلفك إلا ما تطيق.

قال: فما ذا يا رب.

فقال: «سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله» تقول هذا كل يوم ثلاثمائة وستين مرة، يكون كل كلمة صدقة عن كل عرق من عروقك.

قال: فلما رأى بشارة ذلك قال: يا رب زدني.

قال: إن زدت زدتك^(١).

من حقوق الحيوان

عن أبي عبد الله عليه السلام قال: كان رجل شيخ ناسك يعبد الله في بني إسرائيل، فبينا هو يصلي وهو في عبادته إذ بصر بغلامين صبيين قد أخذاً ديكاً وهما ينتفان ريشه، فأقبل على ما هو فيه من العبادة ولم ينههما عن ذلك، فأوحى الله إلى الأرض: أن سيخي بعدي، فساخت به الأرض، فهو يهوي في الدردور^(٢) أبد الآبدين ودهر الداهرين^(٣).

(١) مستدرک الوسائل: ج ٥ ص ٣٧٨ باب ٤٠ من أبواب الذكر ح ١٠.

(٢) موضع في البحر يجيش ماءه ويدور مشكلاً ما يعرف بالدوامات المائية التي يخاف منها الفرق.

(٣) الأمالي، للطوسي: ص ٦٧٠ المجلس ٣٦ ح ١٥.

فليخالف بني إسرائيل

في كنز الفوائد قال: أصاب بعض عمال معاوية محمراً بمصر احتفروه بعض أهلها لحاجتهم، فأفضى بهم ذلك إلى مخضب^(١) عظيم مطبق، فظنوه مالا، فبعث العامل إليه أمناء ليحفروا ما فيه، فلما فتحوه أصابوا شاباً عليه جبة صوف وكساء صوف وخف إلى نصف ساقه، وأصابوا عند رأسه كتاباً بالعبرانية: أنا حبيب بن نوابجر صاحب رسول الله موسى بن عمران عليه السلام من أحب أن يأخذ بالناموس الأكبر فليخالف بني إسرائيل فإنهم قد تزاكوا الحكم وعملوا بالهوى وباعوا الرضا وتركوا المنهاج الذي أخذ عليه ميثاقهم^(٢).

الصمت

عن الإمام الرضا عليه السلام قال: إن الرجل كان إذا تعبد في بني إسرائيل لم يعد عابداً حتى يصمت قبل ذلك عشر سنين^(٣).

قضاء حوائج الناس

روي: إن عابد بني إسرائيل كان إذا بلغ الغاية من العبادة صار مشاءً في حوائج الناس، عانياً بما يصلحهم^(٤).

(١) المخضب هو المكن.

(٢) كنز الفوائد: ص ١٨٠.

(٣) وسائل الشيعة: ج ١٥ ص ٢٦٥ باب ٢٦ من أبواب جهاد النفس وما يناسبه ح ١.

(٤) منازل الآخرة والمطالب الفاخرة: ص ١٨٩.

من مكر النساء

روي عن جعفر بن محمد الصادق عليه السلام: إنه كان في بني إسرائيل رجل صالح وكان له مع الله معاملة حسنة وكان له زوجة وكان ضنيها بها، وكانت من أجمل أهل زمانها مفرطة في الجمال والحسن، وكان يقفل عليها الباب، فنظرت يوماً شاباً فهوته وهواها، فعمل لها مفتاحاً على باب دارها وكان يخرج ويدخل ليلاً ونهاراً متى شاء وزوجها لم يشعر بذلك، فبقيا على ذلك زماناً طويلاً، فقال لها زوجها يوماً، وكان أعبد بني إسرائيل وأزهدهم: إنك قد تغيرت عليّ ولم أعلم ما سببه وقد توسوس قلبي عليّ وكان قد أخذها بكرة، ثم قال: وأشتهي منك أنك تحلفي لي أنك لم تعرفي رجلاً غيري، وكان لبني إسرائيل جبل يقسمون به ويتحاكمون عنده، وكان الجبل خارج المدينة عنده نهر جار، وكان لا يحلف عنده أحد كاذباً إلا هلك.

فقال له: ويطيب قلبك إذا حلفت لك عند الجبل؟

قال: نعم.

قالت: متى شئت فعلت.

فلما خرج العابد لقضاء حاجته دخل عليها الشاب فأخبرته بما جرى لها مع زوجها، وأنها تريد أن تحلف له عند الجبل وقالت: ما يمكنني أن أحلف كاذبة ولا أقول لزوجي، فبهت الشاب وتحير وقال: فما تصنعين؟

فقالت: بكرة غداً والبس ثوب مكار وخذ حماراً واجلس على باب المدينة، فإذا خرجنا فأنا أدعه يكتري منك الحمار، فإذا اكتراه منك بادر واحملني وارفعني فوق الحمار حتى أحلف له وأنا صادقة أنه ما مسني أحد غيرك وغير هذا المكاري.

فقال: حبا وكرامة.

وإنه لما جاء زوجها قال لها: قومي إلى الجبل لتحلفي به.

قالت: ما لي طاقة بالمشي.

فقال: اخرجي فإن وجدت مكاريا اكتريت لك.

فقامت ولم تلبس لباسها، فلما خرج العابد وزوجته رأت الشاب ينتظرها، فصاحت به: يا مكاري أكتري حمارك بنصف درهم إلى الجبل، قال: نعم، ثم تقدم ورفعها على الحمار وساروا حتى وصلوا إلى الجبل، فقالت للشاب: أنزليني عن الحمار حتى أصعد الجبل، فلما تقدم الشاب إليها ألقت بنفسها إلى الأرض، فانكشفت عورتها فشتت الشاب، فقال: والله ما لي ذنب، ثم مدت يدها إلى الجبل فمسكته وحلفت له أنه لم يمسه أحد ولا نظر إنسان مثل نظرك إليّ مذ عرفتك غيرك وهذا المكاري، فاضطرب الجبل اضطراباً شديداً وزال عن مكانه وأنكرت بنو إسرائيل، فذلك قوله تعالى: ﴿وَإِنْ كَانَ مَكْرَهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ﴾^(١)،^(٢).

العابد المرائي

عن أبي جعفر عليه السلام قال: كان في بني إسرائيل عابد فأعجب به داود عليه السلام فأوحى الله عز وجل إليه: لا يعجبك شيء من أمره، فإنه وراء، قال: فمات الرجل فأتى داود عليه السلام وقيل له: مات الرجل، فقال داود عليه السلام: ادفنوا صاحبكم.

قال: فأنكرت بنو إسرائيل، وقالوا: كيف لم يحضره؟

قال: فلما غسل قام خمسون رجلاً فشهدوا بالله ما يعلمون منه إلا خيراً.

قال: فلما صلوا، قام خمسون آخرون فشهدوا بالله ما يعلمون منه إلا خيراً،

فلما دفنوه قام خمسون فشهدوا بالله ما يعلمون منه إلا خيراً، فأوحى الله عز وجل إلى داود عليه السلام: ما منعك أن تشهد فلاناً؟

قال داود عليه السلام: الذي أطلعتني عليه من أمره.

فأوحى الله عز وجل إلى داود عليه السلام أنه كان كذلك ولكنه قد شهد قوم من

الأنصار والرهبان ما يعلمون منه إلا خيراً فأجزت شهادتهم عليه وغفرت له

(١) سورة إبراهيم: ٤٦.

(٢) بحار الأنوار: ج ٦١ ص ١٩٤ - ١٩٥ باب ٧ من أبواب الحيوان وأصنافها وأحوالها وأحكامها.

علمي فيه^(١).

هذا وفي رواية: إنه قام أربعون رجلاً فشهدوا له بالخير^(٢).

ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً

قال الإمام أبو جعفر محمد بن علي عليه السلام في حديث:

فإنما مثلنا ومثلكم مثل نبيّ كان في بني إسرائيل فأوحى الله عز وجل إليه أن ادع قومك للقتال فإنّي سأنصرك، فجمعهم من رءوس الجبال ومن غير ذلك، ثمّ توجّه بهم، فما ضربوا بسيف ولا طعنوا برمح حتّى انهزموا.

ثمّ أوحى الله تعالى إليه أن ادع قومك إلى القتال فإنّي سأنصرك، فجمعهم ثمّ توجّه بهم فما ضربوا بسيف ولا طعنوا برمح حتّى انهزموا.

ثمّ أوحى الله إليه أن ادع قومك إلى القتال فإنّي سأنصرك فدعاهم، فقالوا: وعدتنا النصر فما نصرنا.

فأوحى الله تعالى إليه: إمّا أن يختاروا القتال أو النار.

فقال: يا ربّ القتال أحبّ إليّ من النار، فدعاهم فأجابه منهم ثلاثمائة وثلاثة عشر عدّة أهل بدر فتوجّه بهم فما ضربوا بسيف ولا طعنوا برمح حتّى فتح الله عزّ وجلّ لهم^(٣).

وقال النبي ﷺ: «يكون في هذه الأمة كلّ ما كان في بني إسرائيل حذو النعل بالنعل وحذو القذة بالقذة»^(٤).

(١) تهذيب الأحكام: ج ٦ ص ٢٧٩ - ٢٨٠ ح ١٦٩.

(٢) انظر (مستدرک الوسائل): ج ٢ ص ٤٧١ باب ٧٧ من أبواب الدفن وما يناسبه ح ١.

(٣) الكافي: ج ٨ ص ٣٨٢ ح ٥٧٦.

(٤) من لا يحضره الفقيه: ج ١ ح ٦٠٩.

عضوا تعف نساؤكم

قال أبو عبد الله عليه السلام: «ما أقبح بالرجل من أن يرى بالمكان المعور^(١) فيدخل ذلك علينا وعلى صالحنا أصحابنا، يا مفضل أتدري لم قيل: من يزن يوماً يزن به؟ قلت: لا جعلت فداك، قال: إنها كانت بغية في بني إسرائيل وكان في بني إسرائيل رجل يكثر الاختلاف إليها، فلما كان في آخر ما أتاها أجرى الله على لسانها: أما إنك سترجع إلى أهللك فتجد معها رجلاً! قال: فخرج وهو خبيث النفس، فدخل منزله غير الحال التي كان يدخل بها قبل ذلك اليوم، وكان يدخل بإذن، فدخل يومئذ بغير إذن فوجد على فراشه رجلاً، فارتفعاً إلى موسى عليه السلام فنزل جبرئيل عليه السلام على موسى عليه السلام فقال: يا موسى من يزن يوماً يزن به، فنظر إليهما فقال: عفا تعف نساؤكم»^(٢).

تأجيل وتعجيل

عن أبي عبد الله عليه السلام قال: كان في بني إسرائيل نبي وعده الله أن ينصره إلى خمس عشرة ليلة، فأخبر بذلك قومه، فقالوا: والله إذا كان ليفعلن وليفعلن. فأخبره الله إلى خمس عشرة سنة، وكان فيهم من وعده الله النصر إلى خمس عشرة سنة فأخبر بذلك النبي (عليه السلام) قومه فقالوا: ما شاء الله، فعهله الله لهم في خمس عشرة ليلة^(٣).

(١) المكان الرديء أو الذي يستحق منه.

(٢) المهذب البارع: ج ٥ ص ١١.

(٣) الإمامة والتبصرة: ص ٩٤ - ٩٥ ح ٨٦.

الوصي بعد داود عليه السلام

عن أبي عبد الله عليه السلام قال: كان في بني إسرائيل رجل كان له كرم ونفشت فيه غنم لرجل آخر بالليل وقضمته وأفسدته، فجاء صاحب الكرم إلى داود عليه السلام فاستعدى على صاحب الغنم..

فقال: داود عليه السلام اذهبا إلى سليمان ليحكم بينكما.

فذهبا إليه، فقال سليمان عليه السلام: إن كانت الغنم أكلت الأصل والفرع فعلى صاحب الغنم أن يدفع إلى صاحب الكرم الغنم وما في بطنها، وإن كانت ذهبت بالفرع ولم تذهب بالأصل فإنه يدفع ولدها إلى صاحب الكرم، وكان هذا حكم داود عليه السلام، وإنما أراد أن يعرف بني إسرائيل أن سليمان عليه السلام وصيه بعده ولم يختلفا في الحكم ولو اختلف حكمهما لقال^(١): وكنا لحكمهما شاهدين^(٢).

مجاعة بني إسرائيل

عن أبي عبد الله عليه السلام قال: كان في بني إسرائيل مجاعة حتى نبشوا الموتى فأكلوهم، فنبشوا قبراً فوجدوا فيه لوحاً فيه مكتوب: أنا فلان النبي ينبش قبري ذ، ما قدمنا وجدناه، وما أكلنا ربنا، وما خلفنا خسرناه^(٣).

(١) حيث قال عز قائل: ﴿وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحَكْمِهِمْ شَاهِدِينَ﴾ سورة الأنبياء: ٧٨.

(٢) تفسير القمي: ج ٢ ص ٧٣-٧٤.

(٣) الأمالي، للصدوق: ص ٧٠٤ المجلس ٣٨ ح ١٣.

من بركات الرفق بالمؤمنين

عن أبي الحسن موسى عليه السلام قال: إنه كان في بني إسرائيل رجل مؤمن وكان له جار كافر وكان يرفق بالمؤمن ويؤليه المعروف في الدنيا، فلما أن مات الكافر بنى الله له بيتاً في النار من طين فكان يقيه حرها ويأتيه الرزق من غيرها، وقيل له: هذا بما كنت تدخل على جارك المؤمن فلان بن فلان من الرفق وتؤليه من المعروف في الدنيا^(١).

الفقيه العابد وامراته

روي: إنه كان في بني إسرائيل رجل فقيه عابد عالم مجتهد، وكانت له امرأة، وكان بها معجباً فماتت، فوجد عليها وجداً شديداً حتى خلا في بيت وأغلق على نفسه واحتجب عن الناس، فلم يكن يدخل عليه أحد.

ثم إن امرأة من بني إسرائيل سمعت به، فجاءته فقالت: لي إليه حاجة أستفتيه فيها، ليس يجزئني إلا أن أشافهه بها، فذهب الناس ولزمت الباب، فأخبر فأذن لها فقالت: أستفتيك في أمر؟

فقال: ما هو؟ قالت: إني استعرت من جارة لي حلياً فكننت ألبسه زماناً ثم إنهم أرسلوا إلي أفأرده إليهم؟

قال: نعم، قالت: والله إنه قد مكث عندي زماناً طويلاً؟

قال: ذاك أحق لردك إياه، فقالت له: رحمك الله، أفتأسف على ما أعارك الله

عز وجل ثم أخذه منك وهو أحق به منك.

فأبصر ما كان فيه، ونفعه الله بقولها^(٢).

(١) ثواب الأعمال: ص ١٦٩ باب ثواب الكافر يصنع المعروف إلى المؤمن.

(٢) مسكن الفؤاد: ص ١١١.

ارجع إلى قضائك

روي: إن قاضياً كان في بني إسرائيل مات له ابن، فجزع عليه وصاح، فلقيه رجلان فقالا له: اقض بيننا.
فقال: من هذا فررت.
فقال: أحدهما أن هذا مرّ بغنمه على زرعي فأفسده.
فقال الآخر: إن هذا زرع بين الجبل والنهر، ولم يكن لي طريق غيره.
فقال له القاضي: أنت حين زرعت بين الجبل والنهر ألم تعلم أنه طريق الناس؟
فقال له الرجل: فأنت حين ولد لك ولد ألم تعلم أنه يموت، فارجع إلى قضائك، ثم عرجا وكانا ملكين^(١).

قصة قارون

قال علي بن إبراهيم في تفسيره: في قوله: ﴿إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءَ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ﴾ والعصبة ما بين العشرة إلى تسعة عشر، قال: كان يحمل مفاتيح خزائنه العصبة أولو القوة، فقال قارون كما حكا الله: ﴿إِنَّمَا أُوتِيتهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي﴾ يعني ماله وكان يعمل الكيمياء فقال الله: ﴿أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرَ جَمْعاً وَلَا يَسْتَلِ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ﴾ أي لا يسأل من كان قبلهم عن ذنوب هؤلاء ﴿فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ﴾ قال: في الثياب المصبغات يجرها في الأرض ﴿قَالَ الَّذِينَ يَرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ فقال: لهم الخالص من أصحاب موسى ﷺ: ﴿وَلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً وَلَا يُلَاقَاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ﴾ فحسبنا به وبداره الأرض فما كان له من فئة ينصرونه من دون

(١) بحار الأنوار: ج ٧٩ ص ١٥٥ باب آخر في ذكر صبر الصابرين والصابرات.

الله وما كان من المنتصرين وأصبح الذين تمنّوا مكانه بالأمس يقولون ويكأنّ الله ﴿ قال: هي لفظة سريانية ﴾ يبسط الرّزق لمن يشاء من عباده ويقدر لولا أن منّ الله علينا لخسف بنا ويكأنّه لا يفلح الكافرون ﴿.

وكان سبب هلاك قارون أنه لما أخرج موسى بني إسرائيل من مصر وأنزلهم البادية أنزل الله عليهم المن والسلوى وانفجر لهم من الحجر اثنتا عشرة عينا بطروا وقالوا: ﴿لن نصبر على طعام واحد فادع لنا ربك يخرج لنا ممّا تنبت الأرض من بقلها وقثائها وفومها وعدسها وبصلها قال ﴿ لهم موسى ﴾ أتستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير اهبطوا مصراً فإنّ لكم ما سألتم ﴾ فقالوا كما حكا الله: ﴿إنّ فيها قوماً جبارين وإنّا لن ندخلها حتّى يخرجوا منها﴾، ثم قالوا لموسى: اذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون، ففرض الله عليهم دخولها وحرّمها عليهم أربعين سنة يتيهون في الأرض فكانوا يقومون من أول الليل ويأخذون في قراءة التوراة والدعاء والبكاء وكان قارون منهم وكان يقرأ التوراة ولم يكن فيهم أحسن صوتاً منه وكان يسمى المنون لحسن قراءته وقد كان يعمل الكيمياء، فلما طال الأمر على بني إسرائيل في التيه والتوبة وكان قارون قد امتنع من الدخول معهم في التوبة وكان موسى يحبه فدخل عليه موسى، فقال: يا قارون قومك في التوبة وأنت قاعد هاهنا ادخل معهم وإلا نزل بك العذاب، فاستهان به واستهزأ بقوله، فخرج موسى من عنده مغتماً فجلس في فناء قصره وعليه جبة شعر ونعلان من جلد حمار شراكهما من خيوط شعر بيده العصا، فأمر قارون أن يصب عليه رماداً قد خلط بالماء فصبّ عليه، فغضب موسى غضباً شديداً وكان في كفه شعرات كان إذا غضب خرجت من ثيابه وقطر منها الدم، فقال موسى: يا رب إن لم تغضب لي فلست لك بنبي، فأوحى الله إليه قد أمرت السماوات والأرض أن تطيعك فمرها بما شئت.

وقد كان قارون قد أمر أن يغلق باب القصر، فأقبل موسى فأوماً إلى الأبواب فانفجرت ودخل عليه، فلما نظر إليه قارون علم أنه قد أوتي، فقال يا موسى: أسألك بالرحم الذي بيني وبينك، فقال له موسى: يا ابن لاوي لا تزدني من

كلامك.. يا أرض خذيه ، فدخل القصر بما فيه في الأرض ودخل قارون في الأرض إلى ركبته ، فبكى وحلفه بالرحم ، فقال له موسى : يا ابن لاوي لا تزدني من كلامك ، يا أرض خذيه وابتلعيه بقصره وخزائنه . وهذا ما قال موسى لقارون يوم أهلكه الله .

فعيره الله بما قاله لقارون ، فعلم موسى أن الله قد عيره بذلك فقال : يا رب إن قارون دعاني بغيرك ولو دعاني بك لأجبتك ، فقال الله : ما قلت يا ابن لاوي لا تزدني من كلامك ؟ فقال موسى : يا رب لو علمت أن ذلك لك رضى لأجبتك ، فقال الله : يا موسى وعزتي وجلالي وجودي ومجدي وعلو مكاني لو أن قارون كما دعاك دعاني لأجبتك ولكنه لما دعاك وكلته إليك^(١).

برصيصا العابد

عن ابن عباس قال : إنه كان في بني إسرائيل عابد اسمه برصيصا ، عبد الله زماناً من الدهر حتى كان يُؤتى بالمجانين يداويهم ويعوذهم فيبءون على يده ، وإنه أتى بامرأة في شرف قد جنت ، وكان لها أخوة فأتوه بها فكانت عنده ، فلم يزل به الشيطان يزين له حتى وقع عليها ، فحملت ، فلما استبان حملها قتلها ودفنها ، فلما فعل ذلك ، ذهب الشيطان حتى لقي أحد إخوتها فأخبره بالذي فعل الراهب وأنه دفنها في مكان كذا ، ثم أتى بقية إخوتها رجلاً رجلاً فذكر ذلك له ، فجعل الرجل يلقي أخاه فيقول : والله لقد أتاني آت ذكر لي شيئاً يكبر عليّ ذكره ، فذكره بعضهم لبعض حتى بلغ ذلك ملكهم ، فسار الملك والناس فاستنزلوه ، فأقر لهم بالذي فعل ، فأمر به فُصِّل ، فلما رفع على خشبته تمثل له الشيطان فقال : أنا الذي ألقيتك في هذا ، فهل أنت مطيعي فيما أقول لك أخلصك مما أنت فيه ؟

قال : نعم .

قال : اسجد لي سجدة واحدة .

فقال: كيف أسجد لك وأنا على هذه الحالة؟

فقال: أكتفي منك بالإيمان.

فأوماً له بالسجود فكفر بالله وقتل الرجل^(١)، فأشار الله تعالى إلى قصته في هذه الآية: ﴿كَمَثَلَ الشَّيْطَانُ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾^(٢).

اللهم أنت لهما

عن أبي جعفر عليه السلام قال: كان في بني إسرائيل رجل وكان له بنتان فزوجهما من رجلين، واحد زراع وآخر يعمل الفخار، ثم إنه زارهما، فبدأ بامرأة الزراع فقال لها: كيف حالك؟ قالت: قد زرع زوجي زرعاً كثيراً فإن جاء الله بالسماء فنحن أحسن بني إسرائيل حالاً، ثم ذهب إلى الأخرى فسألها عن حالها فقالت: قد عمل زوجي فخاراً كثيراً فإن أمسك الله السماء عنا فنحن أحسن بني إسرائيل حالاً، فانصرف وهو يقول: اللهم أنت لهما^(٣).

قاضيان فاسقان

قال عليّ أمير المؤمنين عليه السلام: «إنّ دانيال كان يتيماً لا أمّ له ولا أب، وإنّ امرأة من بني إسرائيل عجوزاً كبيرة ضمته فربته، وإنّ ملكاً من ملوك بني إسرائيل كان له قاضيان، وكان لهما صديق وكان رجلاً صالحاً وكانت له امرأة بهيمة جميلة، وكان يأتي الملك فيحدثه، واحتاج الملك إلى رجل يبعثه في بعض أموره فقال للقاضيين: اختارا رجلاً أرسله في بعض أموري، فقالا: فلان، فوجهه الملك، فقال الرجل للقاضيين: أوصيكما بامرأتي خيراً، فقالا: نعم، فخرج الرجل، فكان القاضيان

(١) تفسير مجمع البيان: ج ٩ ص ٤٣٨.

(٢) سورة الحشر: ١٦.

(٣) قصص الأنبياء، للراوندي: ص ١٨١ ح ٢١١.

يأتيان باب الصديق فعشقا امرأته فراوداها عن نفسها فأبت، فقالا لها: والله لئن لم تفعلني لنشهدنّ عليك عند الملك بالزنى ثمّ لنرجمنك، فقالت: افعلما ما أحببتما.

فأتيا الملك فأخبراه وشهدا عنده أنها بغت، فدخل الملك من ذلك أمر عظيم واشتدّ بها غمه وكان بها معجباً فقال لهما: إنّ قولكما مقبول ولكن ارجموها بعد ثلاثة أيام، ونادى في البلد الذي هو فيه احضروا قتل فلانة العابدة فإنّها قد بغت فإنّ القاضيين قد شهدا عليها بذلك، فأكثر الناس في ذلك، وقال الملك لوزيره: ما عندك في هذا من حيلة؟ فقال: ما عندي في ذلك من شيء، فخرج الوزير يوم الثالث وهو آخر أيامها فإذا هو بغلمان عراة يلعبون وفيهم دانيال وهو لا يعرفه، فقال دانيال: يا معشر الصبيان تعالوا حتّى أكون أنا الملك وتكون أنت يا فلان العابدة ويكون فلان وفلان القاضيين الشاهدين عليها، ثمّ جمع تراباً وجعل سيفاً من قصب وقال للصبيان: خذوا بيد هذا فنحوه إلى مكان كذا وكذا، وخذوا بيد هذا فنحوه إلى مكان كذا وكذا، ثمّ دعا بأحدهما وقال له: قل حقاً فإنك إن لم تقل حقاً قتلتك، والوزير قائم ينظر ويسمع، فقال: أشهد أنها بغت، فقال: متى؟ قال: يوم كذا وكذا...، فقال: ردّوه إلى مكانه وهاتوا الآخر.

فردّوه إلى مكانه وجاءوا بالآخر فقال له: بما تشهد؟ فقال: أشهد أنها بغت، قال: متى؟ قال: يوم كذا وكذا، قال: مع من؟ قال: مع فلان بن فلان، قال: وأين؟ قال: بموضع كذا وكذا، فخالف أحدهما صاحبه.

فقال دانيال: الله أكبر شهدا بزور، يا فلان ناد في الناس أنهما شهدا على فلانة بزور فاحضروا قتلها.

فذهب الوزير إلى الملك مبادراً فأخبره الخبر، فبعث الملك إلى القاضيين، فاختلفا كما اختلف الغلامان، فنادى الملك في الناس وأمر بقتلها^(١).

(١) الكافي: ج ٧ ص ٤٢٦ - ٤٢٧ باب النوادر من كتاب القضاء والأحكام ج ٩.

من هو الوارث الحقيقي؟

عن أبي جعفر عليه السلام قال: كان في بني إسرائيل رجل عاقل كثير المال، وكان له ابن يشبهه في السمائل من زوجة عفيفة، وكان له ابنان من زوجة غير عفيفة، فلما حضرته الوفاة قال لهم: هذا مالي لواحد منكم، فلما توفي قال الكبير: أنا ذلك الواحد، وقال الأوسط: أنا ذلك، وقال الأصغر: أنا ذلك، فاختصموا إلى قاضيهم.

قال: ليس عندي في أمركم شيء، انطلقوا إلى بني غنام الإخوة الثلاثة، فانتخوا إلى واحد منهم فأروا شيخاً كبيراً فقال لهم: ادخلوا إلى أخي فلان فهو أكبر مني فاسألوه، فدخلوا عليه فخرج شيخ كهل فقال: سلوا أخي الأكبر مني فدخلوا على الثالث، فإذا هو في المنظر أصغر، فسألوه أولاً عن حالهم ثم مبيناً لهم، فقال: أما أخي الذي رأيتموه أولاً هو الأصغر وإن له امرأة سوء تسوؤه وقد صبر عليها مخافة أن يتلي ببلاء لا صبر له عليه فهرمته، وأما الثاني أخي فإن عنده زوجة تسوؤه وتسره فهو متماسك الشباب، وأما أنا فزوجتي تسرني ولا تسوؤني ولم يلزمني منها مكروه قط منذ صحبتني فشبابي معها متماسك، وأما حديثكم الذي هو حديث أبيكم فانطلقوا أولاً وبعثوا قبره واستخرجوا عظامه وأحرقوها ثم عودوا لأقضي بينكم، فانصرفوا فأخذ الصبي سيف أبيه وأخذ الإخوان المعاول فلما أن هما بذلك قال لهم الصغير: لا تبعثوا قبر أبي وأنا أدع لكم حصتي.

فانصرفوا إلى القاضي، فقال: يقنعكما هذا ابنتوني بالمال، فقال للصغير: خذ المال، فلو كانا ابنيه لدخلهما من الرقة كما دخل على الصغير^(١).

(١) بحار الأنوار: ج ١٤ ص ٤٩٠ - ٤٩١ باب ٣٢ نوادر أخبار بني إسرائيل ح ٩.

خوفاً من نار جهنم

عن أبي جعفر عليه السلام قال: خرجت امرأة بغية على شباب من بني إسرائيل فأفتنتهم، فقال بعضهم: لو كان العابد فلاناً رآها أفتنته، وسمعت مقاتلتهم فقالت: والله لا أنصرف إلى منزلي حتى أفتنه. فمضت نحوه في الليل، فدقت عليه. فقالت: آوي عندك، فأبى عليها، فقالت: إن بعض شباب بني إسرائيل راودوني عن نفسي فإن أدخلتني وإلا لحقوني وفضحوني، فلما سمع مقاتلتها فتح لها، فلما دخلت عليه رمت بثيابها، فلما رأى جمالها وهيئتها وقعت في نفسه فضرب يده عليها، ثم رجعت إليه نفسه، وقد كان يوقد تحت قدر له، فأقبل حتى وضع يده على النار، فقالت: أي شيء تصنع؟ فقال: أحرقها لأنها عملت العمل.

فخرجت حتى أتت جماعة بني إسرائيل فقالت: ألقوا فلاناً فقد وضع يده على النار. فأقبلوا فالحقوه وقد احترقت يده^(١).

من دسائس الشيطان

عن أبي عبد الله عليه السلام قال: كان عابد في بني إسرائيل لم يقارف من أمر الدنيا شيئاً، فنخر إبليس نخرة فاجتمع إليه جنوده فقال: من لي بفلان؟ فقال بعضهم: أنا له، فقال: من أين تأتیه؟ فقال: من ناحية النساء. قال: لست له، لم يجرب النساء.

فقال له آخر: فأنا له، قال: من أين تأتیه؟ قال: من ناحية الشراب واللذات، قال: لست له ليس هذا بهذا.

قال آخر: فأنا له، قال: من أين تأتیه؟ قال: من ناحية البر! قال: انطلق فأنت صاحبه.

فانطلق إلى موضع الرجل فأقام حذاءه يصلي قال: وكان الرجل ينام والشيطان

لا ينام، ويستريح والشيطان لا يستريح، فتحول إليه الرجل وقد تقاصرت إليه نفسه واستصغر عمله، فقال: يا عبد الله بأي شيء قويت على هذه الصلاة؟ فلم يجبه، ثم أعاد عليه فلم يجبه، ثم أعاد عليه، فقال: يا عبد الله إنني أذنبُ ذنباً وأنا تائب منه فإذا ذكرت الذنب قويت على الصلاة.

قال: فأخبرني بذنبك حتى أعمله وأتوب، فإذا فعلته قويت على الصلاة.

قال: ادخل المدينة فسل عن فلانة البغية فأعطها درهمين ونل منها.

قال: ومن أين لي درهمين، ما أدري ما الدرهمين؟

فتناول الشيطان من تحت قدمه درهمين فناوله إياهما، فقام فدخل المدينة بجلابيه يسأل عن منزل فلانة البغية، فأرشدته الناس وظنوا أنه جاء يعظها، فأرشدوه فجاء إليها فرمى إليها بالدرهمين وقال: قومي.

فقامت فدخلت منزلها وقالت: ادخل، وقالت: إنك جئتني في هيئة ليس يؤتى مثلي في مثلها، فأخبرني بخبرك؟

فأخبرها، فقالت له: يا عبد الله إن ترك الذنب أهون من طلب التوبة، وليس كل من طلب التوبة وجدها، وإنما ينبغي أن يكون هذا شيطاناً مثلاً لك فانصرف، فإنك لاترى شيئاً.

فانصرف، وماتت من ليلتها، فأصبحت فإذا على بابها مكتوب: احضروا فلانة فإنها من أهل الجنة!!

فارتاب الناس، فمكثوا ثلاثاً لم يدفنونها ارتياباً في أمرها، فأوحى الله عزوجل إلى نبي من الأنبياء ﷺ لا أعلمه إلا موسى بن عمران عليه السلام أن ائت فلانة فصل عليها ومُر الناس أن يصلوا عليها فإني قد غفرت لها وأوجبت لها الجنة بتشريطها عبيدي فلاناً عن معصيتي^(١).

طعم الموت

عن أبي جعفر عليه السلام قال: إن فتية من أولاد ملوك بني إسرائيل كانوا متعبدين، وكانت العبادة في أولاد ملوك بني إسرائيل، وإنهم خرجوا يسيرون في البلاد ليعتبروا، فمروا بقبر على ظهر الطريق قد سقى عليه السافي، ليس يتبين منه إلا رسمه، فقالوا: لو دعونا الله الساعة فينشر لنا صاحب هذا القبر فساءلناه كيف وجد طعم الموت؟ فدعوا الله وكان دعاؤهم الذي دعوا الله به: «أنت إلهنا يا ربنا، ليس لنا إله غيرك والبديع الدائم غير الغافل، الحي الذي لا يموت، لك في كل يوم شأن، تعلم كل شيء بغير تعليم، انشر لنا هذا الميت بقدرتك».

قال: فخرج من ذلك القبر رجل أبيض الرأس واللحية ينفذ رأسه من التراب فزعاً شاخصاً بصره إلى السماء، فقال لهم: ما يوقفكم على قبري؟ فقالوا: دعوناك لنسألك كيف وجدت طعم الموت؟ فقال لهم: لقد سكنت في قبري تسعا وتسعين سنة ما ذهب عني ألم الموت وكربه، ولا خرج مرارة طعم الموت من حلقي.

فقالوا له: مت يوم مت وأنت على ما نرى أبيض الرأس واللحية؟ قال: لا، ولكن لما سمعت الصيحة اخرج اجتمعت تربة عظامي إلى روحي، فبقيت فيه فخرجت فزعاً شاخصاً بصري مهطعاً إلى صوت الداعي فابيض لذلك رأسي ولحيتي^(١).

(١) بحار الأنوار: ج ٦ ص ١٧١ باب ٦ من أبواب الموت ح ٤٨.

صابرة بني إسرائيل

قال رسول الله ﷺ: الحمد لله الذي جعل في أمتي مثل صابرة بني إسرائيل،

فقيل: يا رسول الله ﷺ ما كان من خبرها؟

فقال ﷺ: كانت في بني إسرائيل امرأة وكان لها زوج ولها منه غلامان فأمرها

بطعام ليدعو عليه الناس ففعلت واجتمع الناس في داره، فانطلق الغلامان يلعبان

فوقعا في بئر كانت في الدار، فكرهت أن تنقص على زوجها الضيافة فأدخلتهما البيت

وسجتهما بثوب. فلما فرغوا دخل زوجها فقال: أين ابناي؟

قالت: هما في البيت، وإنها كانت تمسحت بشيء من الطيب وتعرضت للرجل

حتى وقع عليها. ثم قال: أين ابناي؟ قالت: هما في البيت فنادهما أبوهما فخرجا

يسعيان. فقالت المرأة: سبحان الله والله لقد كانا ميتين ولكن الله تعالى أحياهما ثوبا

لصبري^(١).

لقمة بلقمة

عن الإمام الرضا عليه السلام قال: كان في بني إسرائيل قحط شديد سنين متواترة،

وكان عند امرأة لقمة من خبز فوضعتها في فيها لتأكلها فنادى السائل: يا أمة الله

الجوع، فقالت المرأة: أ تصدق في مثل هذا الزمان؟ فأخرجتها من فيها فدفعها إلى

السائل، وكان لها ولد صغير يحتطب في الصحراء فجاء الذئب فحملة فوقعت الصيحة

فعدت الأم في أثر الذئب فبعث الله تبارك وتعالى جبرئيل عليه السلام فأخرج الغلام من فم

الذئب فدفعه إلى أمه، فقال لها جبرئيل عليه السلام: يا أمة الله أرضيت لقمة بلقمة^(٢).

(١) مسكن الفؤاد: ص ٧٠.

(٢) ثواب الأعمال: ص ١٤٠ باب ثواب الصدقة.

خاتمة

لماذا تقدّم اليهود؟

أما بالنسبة إلى الصهيونية وصراعهم مع المسلمين وغلبتهم عليهم حيث غصبوا فلسطين والقدس ومناطق أخرى من بلاد المسلمين، وقتلوا من المسلمين مقتلة عظيمة؛ فلأن المسلمين ضعفوا في زماننا هذا حيث تركوا الإسلام وقوانينه، فلا ترى الأخوة الإسلامية، ولا الأمة الواحدة، ولا الحريات، ولا الشورى، ولا غيرها مما أمر به القرآن الكريم.

على عكس من ذلك اليهود حيث أخذوا بأسس التقدم والانتصار، من الأخوة فيما بينهم، والأمة الواحدة عندهم، ومبدأ الاستشارة، والحريات لشعوبهم، وغيرها.

نقل أحد الوكلاء في أمريكا وقال: جمع الرئيس الأمريكي علماء الدين في الولايات المتحدة من مختلف الأديان والمذاهب، فدعيتُ كُنائب عن الشيعة هناك، بالإضافة إلى جماعة أخرى من رجال الدين، كان فيهم أربعة من أبناء العامة، وعشرون من اليهود، وثمانون من النصارى. وكانت الدعوة في القصر الأبيض، فاستقبلنا الرئيس بكل حفاوة ثم استشارنا فيما يرتبط بأمر الجاليات الدينية وما أشبه، فأشار عليه كل بما يراه.

ثم توجهت إليه وقلت: أريد أن أسألك عن موضوعين:

الأول: لماذا أبقيتَ صداماً إلى هذا اليوم مع أن بوش الأب كان يقول: نريد زواله، لكنه لم يزل حتى ذهب هو وبقي صدام على ظلمه وفساده، وأنت قلت مكرراً: نريد إزالته، ولم يبق من حكمك إلا مقدار سنة وصدام باق على صدر

العراقيين؟.

فأجابني قائلاً: لقد استشرت أعضاء الحكومة في كيفية إزالته.. وإننا سنزيله عن الحكم قريباً ونريح الشعب منه.

قلت: وأما الموضوع الثاني فهو أن اليهود في أميركا حسب الإحصاءات خمسة ملايين، بينما المسلمون في أميركا عشرة ملايين، فلماذا تقديم اليهود على المسلمين، فإن الأمور بيد اليهود ولا شيء للمسلمين، والحال أنكم تدعون الديمقراطية وأن الحكومة علمانية غير مرتبطة باليهودية ولا بالإسلام ولا بغيرهما، فلماذا هذه المحاباة؟.

قال: إنا لا نقدم اليهودي على المسلم، وكما قلت فإن حكومتنا علمانية، لكن اليهود يعملون ليل نهار وبكل جهودهم حتى وصلوا إلى ما وصلوا إليه، بينما المسلمون يتكاسلون، وإلا فالباب مفتوح أمام الجميع، وإذا سمعت يوماً أن الحكومة قدمت يهودياً على مسلم فلك حق الاعتراض.

أقول: لا شك أن أميركا تساند اليهود، إلا أن تكاسل المسلمين عن العمل هو الذي سبب تأخرهم كما سبب غضب اليهود لفلسطين وبقائهم فيها منذ نصف قرن، والحال أن المسلمين العرب فقط ثلاثمائة مليون بينما لا يتجاوز يهود فلسطين خمسة ملايين. أما كل اليهود في العالم فأربعة عشر مليوناً فقط، والمسلمون قرابة المليارين. نعم، إن أميركا لها علاقات مع اليهود، ولكنها أيضاً لها علاقاتها مع الدول الإسلامية كالسعودية وغيرها لأموالها الطائلة وللنفط وغير ذلك، وللمصريين لأعدادهم ولكثير من الدول الإسلامية.

وعلى كل فإن اليهود يعملون عملاً كثيراً، والدنيا دار عمل وأسباب ومسببات، فقد قال سبحانه: ﴿وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾^(١)، وقال تعالى: ﴿كُلًّا نُّنِدُّ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ﴾^(٢).

(١) سورة النجم: ٣٩.

(٢) سورة الإسراء: ٢٠.

ومن مصاديق ذلك أنه قرأت في تقرير: إن اليهود على قلتهم في الكيان الصهيوني يصنعون ستمائة قسم من السلاح، أما المسلمين على كثرتهم وادعاءاتهم لا يصنعون أبسط الأمور.

تقدير الكفاءات

نقل أحد أصدقائنا العراقيين، وهو دكتور خريج من جامعة بغداد: أنه بعد ما تم إخراجهم من العراق لأسباب طائفية، ذهب إلى أميركا وبقي هناك يعمل في مستشفى.. فقال: بعد فترة مات رئيس المستشفى الذي كنت أعمل فيه فاختلفوا في تعيين مدير للمستشفى. وتردد الأمر بيني، لتفوقي على كثير من الدكاترة العاملين هناك، وبين يهودي كان دكتوراً هناك أيضاً، إلى أن اجتمع الأطباء وحددوا ثلاث عشرة نقطة لامتحاننا ولكي يختاروا الأكفأ، وكان اليهودي يفوقني ببعض الأمور فإنه كان من جنسية أمريكية وأنا كنت أحمل جنسية عراقية، والأهم من ذلك كان من ورائه اللوبي اليهودي وأنا لم يكن ورائي شيء.

وعند الامتحان نجحت أنا في إحدى عشرة نقطة من النقاط الثلاثة عشر بينما لم يتمكن هو من غلبتي؛ لأن نجاحه كان في عشرة نقاط فقط. فسلّمت إدارة المستشفى إليّ وبشرط أنني إذا غبت أو مت يتسلم اليهودي إدارة المستشفى من بعدي.

وأمثال هذه القصص موجودة في كثير من الصحف والإذاعات والكتب وما أشبه ذلك، مما تدل على أنه بإمكان المسلمين أيضاً أن يتقدموا في مختلف جوانب الحياة إذا وفروا في أنفسهم مقومات التقدم.

احترام العلماء

نقل أحد أصدقائنا العلماء في أميركا: أنه أصيب في عينه بحيث أدت إلى تمزق الشبكية، قال: فأرشدني أحد الأخوة إلى دكتور يهودي يجيد العلاج بأشعة الليزر. فذهبت إليه وأعطاني موعداً، وقال: إن أجرة العلاج سبعة آلاف دولار. وكلما حاولت أن يخفف ولو بمقدار ألف دولار لم يقبل، فاضطرت أن أذهب إليه في الموعد المقرر. فقام بعلاج عيني بأشعة الليزر في ثلاث دفعات، وبعد انتهاء العملية قدمت له سبعة آلاف دولار، فأخذ نصفه وأرجع إليّ البقية. فتعجبت وقلت له: ألم تقل إن الأجرة سبعة آلاف ولم تنقص دولاراً واحداً؟.

قال: نعم، لكنني عرفت أنك رجل دين فلم آخذ إلا نصف المبلغ.

قلت: إني رجل دين مسلم ولا أرتبط باليهود.

قال: نعم، لكنني أخذت على نفسي أن أخفف قيمة العلاج لمطلق رجال الدين

سواء كانوا مسيحيين أو مسلمين أو يهود أو غيرهم.

نعم، هكذا يعملون ليل نهار ليتقدموا في البلاد.

يقول الشاعر^(١):

إذا أنت لم تزرع أو أبصرت حاصداً ندمت على التفريط في زمن البذر

ونحن المسلمين مفرطون لا في زمن البذر فحسب بل إلى عصرنا الراهن.

وقد قرأت في مجلة تصدر من لندن باللغة العربية أن في سنة ماضية طبع المسلمون

العرب ستة آلاف عنوان كتاب فقط، بينما طبع اليهود في إسرائيل وحدها في نفس

السنة أربعة آلاف وخمسمائة عنوان، أي أنهم أخرجوا لكل مليون ألف كتاب^(٢)

والمسلمون العرب أخرجوا لكل خمسين مليوناً ألف كتاب^(٣).

(١) دعبل الخزاعي (١٤٨-٢٤٦هـ).

(٢) وذلك لأن نفوس إسرائيل أربعة ملايين ونصف مليون يهودي.

(٣) وذلك لأن نفوس العرب ثلاثمائة مليون.

وهذا من مصاديق عملهم وتكاسلنا.

كما أنهم يعدون أنفسهم أمة واحدة، فاليهودي القادم من روسيا أو أميركا أو بريطانيا أو العراق أو مصر أو من أي بلد آخر إذا وصل إلى إسرائيل يكون من الأمة الواحدة، فلا فرق بينه وبين يهودي آخر.. والحال أن دينهم لا يدعو إلى ذلك، بينما نحن في ديننا أمة واحدة، وقد أمرنا ربنا بذلك حيث قال عز وجل: ﴿وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ﴾^(١) ومع ذلك تجد أشد الخلافات والنزاعات بيننا.

وكذلك بالنسبة إلى قانون (الأخوة) فهم يرون أنفسهم أخوة فيما بينهم، بينما نحن المسلمين نعتبر سائر المسلمين أجنب، فهذا عراقي وهذا إيراني، وهذا هندي وهذا مصري، وهكذا.. وهو خلاف صريح القرآن حيث يقول تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾^(٢) وخلاف صريح سيرة النبي ﷺ، فقد آخى رسول الله ﷺ بين أصحابه مرتين، الأولى في مكة المكرمة والثانية في المدينة المنورة.

وهكذا بالنسبة إلى كثير من القوانين الآخر مثل قوله سبحانه بالنسبة إلى الحرية: ﴿يَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾^(٣)، حيث إن دعواهم إلى الحرية بلغ حد الإفراط في بعض الأمور كالمرأة وما أشبه، بينما نحن لا نلتزم بذلك في حدود الشريعة الإسلامية.. ولكن القيود والشروط والقوانين الظالمة التي في بلادنا بكثرة هائلة وهي من أهم أسباب تأخر المسلمين، قال سبحانه: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾^(٤).

ولذا نرى المعيشة اليوم آلت إلى الضنك في بلادنا.

وقد سبق أن رسول الله ﷺ تزوج صفية اليهودية وقد كانت أسيرة فأعتقها النبي ﷺ، وفي اليوم التالي كان كبار المسلمين يسلمون عليها بقولهم: السلام عليك يا أم المؤمنين. ولما أذتها إحدى زوجات الرسول ﷺ قائلة: يا بنت اليهودية؟ علمها

(١) سورة المؤمنون: ٥٢.

(٢) سورة الحجرات: ١٠.

(٣) سورة الأعراف: ١٥٧.

(٤) سورة طه: ١٢٤.

النبي ﷺ أن تقول: «أبي هارون نبي الله، وعمي موسى كليم الله، وزوجي محمد رسول الله ﷺ»^(١).

هكذا كان الإسلام فتقدم .. ولكن المسلمين تركوا العمل به فتأخروا، بينما عمل اليهود ببعض قوانينه فتقدموا.

نسأل الله سبحانه وتعالى أن يوفق المسلمين للرجوع إلى ما تركوه من قوانين الإسلام، والسعي لما أمرهم القرآن الكريم بهداية الناس نحو الدين القويم بالحكمة والموعظة الحسنة، وأن يهتموا بهداية اليهود وإرشادهم إلى الصراط المستقيم كما كان عليه النبي ﷺ والأئمة الطاهرون عليهم السلام وعلمائنا الأبرار (رضوان الله عليهم أجمعين).



سبحان ربك رب العزة عما يصفون، وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على محمد وآله الطاهرين.

قم المقدسة

محمد الشيرازي

(١) راجع تفسير القمي: ج ٢ ص ٣٢١-٣٢٢ سورة الحجرات، الإفك على مارية.

الفهرس

٥	كلمة الناشر
٧	المقدمة
١١	الفصل الأول : اليهود في منظار القرآن الكريم
١٥	اليهود يتحاكمون إلى الرسول ﷺ
١٩	تحريف التوراة
٢٥	من مؤامرات اليهود
٣٦	بين اليهود والنصارى
٤٦	منهم المؤمنون
٤٨	العصيان والحرمان
٤٩	بقرة بني إسرائيل
٧٦	عيسى عليه السلام وبنو إسرائيل
٨٩	اقام عيسى عليه السلام بالسحر
٩٨	عبور البحر
١٠٢	كتاب موسى عليه السلام
١٠٥	فساد بني إسرائيل
١٠٧	الآيات التسع
١١١	في قصر فرعون
١١٦	المن والسلوى
١١٩	أضلهم السامري
١٣١	لقاء موسى عليه السلام
١٣٢	عندما عملوا بأحكام الله
١٣٣	جبل على رؤوسهم
١٤٣	القردة الخاسئون
١٤٨	قصة التيه
١٥٥	أرنا الله جهرة !!
١٦٥	الفصل الثاني : اليهود في عهد رسول الله ﷺ
١٧٤	أخلاق الرسول ﷺ مع اليهود
١٧٥	إسلام شاب يهودي

١٧٦	يا أخا اليهود!
١٨٩	إسلام عامة اليهود
١٩٠	يهودية سممت النبي ﷺ والعفو عنها
١٩٢	يهودية تصبح أم المؤمنين!
١٩٣	الفصل الثالث: اليهود في عهد أمير المؤمنين عليه السلام
١٩٧	افتراق الأمة بعد الرسول ﷺ
٢١٠	أستلة رؤساء اليهود
٢٢١	مع أحبار اليهود
٢٣٣	إيمان رأس اليهود
٢٣٨	يهودي يخاصم الإمام عليه السلام على درعه
٢٤١	الفصل الرابع: اليهود في عهد أهل البيت عليهم السلام
٢٤٣	من بركات الصديقة الطاهرة عليها السلام
٢٤٥	يهودي يسلم على رأس الحسين عليه السلام
٢٥١	الفصل الخامس: اليهود في العصور المتأخرة
٢٥٣	مع السيد الأصفهاني عليه السلام
٢٥٦	يهودي يسلم بركة السيدة رقية عليها السلام
٢٥٧	الفصل السادس: من قصص بني إسرائيل
٢٦٦	جريح العابد
٢٦٨	مع نباش القبور
٢٧٦	من فوائد الصدقة
٢٨١	من مكر النساء
٢٨٢	العابد المراثي
٢٨٩	برصيصة العابد
٢٩٠	قاضيان فاسقان
٢٩٦	صابرة بني إسرائيل / لقمة بلقمة
٢٩٧	خاتمة: لماذا تقدم اليهود؟
٢٩٩	تقدير الكفاءات
٣٠٠	احترام العلماء